2264
.11234
.389
.1961
V.6

2264.11234.389.1961 v.6
Amīn
al-Takāmul fī al-Islām

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

Princeton University Library
32101 073838367

التكامل في الإسلام

الجزء السادس

بقلم

احمد أمين

منشورات

التكامل في الاسلام

مطبعة النعمان النجف تلفون ٩٩٧ المسكن ٢٢٧ حي

١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م

Amīn, Aḥmad

al-Takāmul fī al-Islām

التكامل في الإسلام

كتاب يطلعك على فلسفة الاسلام الحقة ، ويزيل ، بأذن الله تعالى ، ما يختلج فى بعض الصدور من ريب ، ويريك : أن الاسلام دين العقل والمنطق الصحيح وان لاتنافى بينه وبين العلم الحقيقي ، لا الظنون والاهواء ! ....

الجزء السادس

بقلم :

أحمد امين

(RECAP)

2264
.11234
.389
.1961

v. 6

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي منع الأوهام أن تنال الى وجوده وحجب العقول أن تتخيل ذاته لامتناعها من الشبه والتشاكل. بل هو الذي لاتتفاوت ذاته ولا تتبعض بتجزية العدد فى كماله. الى أن يقول :

أيها الناس، إنه لا شرف أعلى من الاسلام، ولا كرم أعز من التقوى، ولا معقل أحرز من الورع. ولا شفيع أنجح من التوبة، ولا لباس أجل من العافية ولا وقاية أمنع من السلامة، ولامال أذهب بالفاقة من الرضى والقنوع، ومن اقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة، والرغبة مفتاح التعب، والاحتكار مطية النصب، والحسد آفة الدين. والحرص داع الى التقحم فى الذنوب وهو داع الى الحرمان. والبغي سائق الى الحين (١) والشره (٢) جامع لمساوي العيوب.

---

(١) الحين : بفتح المهملة : الهلاك والمحنة.

(٢) الشره : غلبة الحرص والغضب والطيش والحدة والنشاط وفي بعض النسخ : (الشره) : هو الحرص أيضاً.

الى أن يقول : أيها الناس ، انه لا كنز أنفع من العلم ولا عز أنفع من الحلم ، ولا حسب أبلغ من الأدب ، ولا نصب أوجع من الغضب ، ولا جمال أحسن من العقل ولا قرين شر من الجهل ، ولا سوأة أسوء من الكذب ، ولا حافظ أحفظ من الصمت . ولا غائب أقرب من الموت (١) .

---

(١) من كلام لمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلاة والسلام مقتبس من تحف العقول . طبع دار الكتب الاسلامية ، ص : ٩٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

ان الانقلاب الصناعي وما أعقب من ويلات والانحلال الخلقي والتفكك الاجتماعي وعدم الايمان بالمقدسات ومعاداة الكنيسة للعلماء الكونيين وإعدامها كثيراً منهم وكتابات الفلاسفة الماديين وتفنيدهم ماقررته الكنيسة أو المسيحية من أخلاق وعادات، والحرية المطلقة في الأعراض كل اولئك اولدت فلاسفة وجوديين ورجالا ماديين صاروا يستهزئون بالدين والفضائل وما كان يسمى شرفا ونبلا واخلاقا وفضيلة، حتى صار أحدهم يفتخر أن يوم وفاة امه قام بمعانقة بغية من البغايا وآخر يقول مخاطباً رب العباد: « انت رب. الا أني حر » (١): كلام سوفسطائي من مستهتر لا يعلم معنى الحرية على الوجه الصحيح، ولا يقدر ضآلة نفسه أمام عظمة الله التي لا تحد.

إن شبابنا اليوم يقتبس فكرته الاجتماعية والخلقية بل الدينية مما يقرأ في كتب الغرب والروايات التمثيلية وغيرها. وهو يرى أن كل ذلك

---

(١) من كلمات (سارتر) الوجودي

يترشح من مدنية راقية ، تطلق الصواريخ وتسير بين الكواكب ، فتصل الى القمر وعطارد وزهرة الى ما هنالك . فيلتبس عليه الأمر . فيظن بل يعتقد أن أفكار أوربا وفلسفتها الاجتماعية والدينية هي كعلومها المادية حقائق ناصعة لا غبار عليها وهي واجبة الاتباع لنيل مدارك الكمال وقد فاته أن النفس لامارة بالسوء ، فتميل نحو ما يحقق شهواتها ونزواتها على ضوء الفلسفة المادية ، فيسخر نتيجة هذا الاتباع مما كان يعتقد قبلا من مقدسات ويظنها خرافة . ويجزم أنه قد خرج من عالم كله قيود الى عالم آخر كله إنطلاق وحرية وسرور .

وهذه (سوئد) بلد الحرية والحضارة النموذجية ، قد وجد فيها منذ زمن غير بعيد شباب متخنثون ، يتشبهون بالبنات من حيث شعر الرأس واستعمال المساحيق ويرتدون البسة الفتيات من الداخل والفساد ضارب باطنابه بينهم وبين الآخرين الى اقصى حد .

وفي المانية الغربية من اصل مائة شارب في مصح المدمنين على الخمر يوجد ١٤ فتى اعمارهم دون الـ ٢٥ سنة . وكثير من هؤلاء اعترفوا بأنهم تناولوا الكأس الاولى على يد أحد الكبار ، بل منهم من تناولها من احد الابوين ! ودلت الاحصاءات اخيراً ان اكثر من نصف الـ ١٠ مليار ليتر خمراً التي تشرب في المانيا سنويا تشرب داخل البيوت .

وجاء فى تقرير رسمي : ان ثلث الشباب الامريكيين الذين هم فى الثامنة عشر لا يصلحون للخدمة العسكرية ويؤكد ان السبب فى ذلك

يعود الى كثرة ارتكاب الموبقات من الآباء مما يؤدى الى إنجاب ذرية ضعيفة غبية ولكثرة ادمان الخمر والفواحش .

وفي تقرير آخر نشر في استوكهولم ان نسبة الاصابات بالامراض التناسلية تزداد في أوربا من جديد .

وفي تقرير آخر : إن الاصابات بالسيلان في بريطانية والسويد وبلغاريا قد ازدادت زيادة كبيرة في السنوات الاربع الماضية وان الاصابات بالزهرى ازدادت في الدانمرك والسويد وفرنسا خلال السنوات الخمس الماضيـــة .

وفي (نيويورك) ، (١٥٠٠) عصابة محترفة : شأنها السرقة ، كل عصابة تتألف من ١٠٠ شخص أو اكثر ، وفيهم حملة الشهادات العالية ! ؟

وان أهالي شيكاكو في امريكا يدفعون في كل سنة ١٦٥ مليون دولار الى السراق المحترفين وقاية لأموالهم ، وما يقدم في الولايات المتحدة كلها كمهدية للسراق يبلغ ١٢ مليون دولار في السنة ، وهناك في أمريكا فئة خاصة تصطنع الاسناد والاوراق الرسمية . وواردها السنوي ٤٠٠ مليون دولار .

وان (روبرت بورن) كان يسرق في السنة ٣٠٠ سيارة ويبيعها وان بعض الموظفين كانت لهم حصة في الموضوع .

يقول الدكتور : السكسيس كاريل . في كتابه : « الانسان ذلك المجهول » في معرض انتقاده للحضارة الغربية ما نصه :

« إن الحضارة العصرية تجد نفسها في موقف صعب لانها لاتلائمنا، لقد انشئت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية ، اذ أنها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية ، وشهوات الناس وأوهامهم ونظرياتهم ورغباتهم . وعلى الرغم من أنها أنشئت بمجهوداتنا ، الا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا » ص : ٣٨

ويقول في مكان آخر :

« وهؤلاء النظريون يبنون حضارات ، بالرغم من أنها رسمت لتحقيق خير الانسان . الا أنها تلائم فقط صورة غير كاملة أو مهولة للانسان . ان نظم الحكومات التي أنشأها أصحاب المذاهب في عقولهم عديمة القيمة . فمبادىء الثورة الفرنسية وخيالات ماركس ولينين ، تنطبق فقط على الرجال الجامدين (غير الأحيـــاء أو المتحركين) . فيجب أن نفهم بوضوح أن قوانين العلاقات البشرية ما زالت غير معروفة . فان علوم الاجتماع والاقتصاديات علوم تخمينية » . . (ص : ٤٣)

ويقول في مكان آخر :

« يجب ان يكون الانسان مقياساً لكل شيء . ولكن الواقع هو عكس ذلك ، فهو غريب في العالم الذي ابتدعه ، انه لم يستطع أن ينظم دنياه بنفسه ، لأنه لا يملك معرفة عملية بطبيعته . ومن ثم ، فان التقدم الهائل الذي أحرزته علوم الجماد على علوم الحياة ، هو إحدى الكوارث التي عانت منها الانسانية . فالبيئة التي ولدتها عقولنا واختراعاتنا

غير صالحة لا بالنسبة لقوامنا ولا بالنسبة لهيئتنا ، اننا قوم تعساء ، لأننا ننحط اخلاقياً وعقلياً ان الجماعات والأمم التي بلغت فيها الحضارة الصناعية أعظم نمو وتقدم ، هي على وجه الدقة الجماعات والامم الآخذة في الضعف ، والتي ستكون عودتها الى البربرية والهمجية أسرع من عودة غيرها اليها ، ولكنها لا تدرك ذلك . إذ ليس هناك مايحميها من الظروف العدائية التي شيدها العلم حولها . وحقيقة الأمر أن مدنيتنا ـ الحضارة الغربية ـ مثل المدنيات التي سبقتها أوجدت أحوالا معينة للحياة ، من شأنها أن تجعل الحياة نفسها مستحيلة ، وذلك لأسباب لا تزال غامضة ! » . . ص : ٤٤ .

ويقول الفيلسوف جود : فى كتابه : philosophy : by Joad

« ان العقل البشري لا يزال يافعاً ، فلا يتوقع حالياً أن يستطيع فهم الكثير جداً عن العالم الذي وجد نفسه فيه ، فنحن في الحقيقة نشعر أننا كلما ازدادت معرفتنا صرنا أكثر ادراكا لمدى مانحن فيه من جهل . افرض : ان المعرفة الانسانية تمثل رقعة ضئيلة مضيئة في بحر يلفه الظلام الدامس من جميع نواحيه ، فهذه المساحة اللا نهائية من الظلام هي التي تمثل الجهل ، وكلما وسعنا مساحة الرقعة المضيئة (المعرفة) وسعنا كذلك مدى تماس محيط معرفتنا بظلام الجهل من حولنا » .

ويظن كثير من شبابنا انه لم يكن للاسلام قسط في حقل الحضارة الصناعية ، ويردهم : كوستاولوبون في كتابه : النفسية السياسية ، بقوله :

« قد يكون من الاوربيين مستعمرون ماهرون ، ولكن منذ عهد رومية كان المسلمون من الشعوب الوحيدة التي حملت علم التمدن حقيقة ، وهم الذين فازوا وحدهم بنشر المواد الجوهرية من المدنية وأعني بها : الدين والمصانع والصناعة بين ظهري عناصر جديدة من غير عنصرهم » .

ويقول في مكان آخر :

« هـل من الواجب ان نذكر ان العرب ، والعرب وحدهم ، هم الذين هدونا الى العالم اليوناني واللاتيني ، وان الجامعات الاوربية ، ومنها جامعة باريز ، عاشت مدة ستمائة سنة من مترجمات كتبهم وجرت على أساليبهم في البحث ، وكانت المدنية العربية من أدهش ماعرف التاريخ » .

ويقول في مكان آخر :

« كلما تعمق المرء في دراسة المدنية العربية ، تجلت له أمور جديدة واتسعت الآفاق أمامه ، وثبت له أن القرون الوسطى لم تعرف الأمم القديمة الا بواسطة العرب ، وان جامعات الغرب عاشت خمسمائة سنة بكتب العرب خاصة . وان العرب هم الذين مدنوا أوربا في المادة والعقل والخلق ومتى درس المرء ماعمل العرب وما كشفوه في العلم يثبت له انه مامن أمة أنتجت مثل ما أنتجوا . في هذه المدة القصيرة التي كتب لملكهم قضاؤها »

« وإذا نظر المرء في صناعاتهم وفنونهم . لايسعه الا الاعتراف بأنه

كانت لهم ميزة خاصة لم تبلغها أمة . ولئن كان تأثير العرب في الغرب عظيما ، فان تأثيرهم في الشرق أعظم ، وما من عنصر أثر مثل تأثيره قط ، فان الشعوب التي دانت الارض لسلطانهم كالاشوريين والفرس والمصريين واليونان والرومان قد عفت الايام آثارهم . ولم يخلفوا سوى آثار ضئيلة . بحيث لم يبق سوى ذكريات أديانهم وألسنتهم وفنونهم » ويقول :

« وقد اضمحل امر العرب ايضاً ، ولكن أهم عناصر مدنيتهم : وهي الدين واللسان والفنون لا تزال حية » . وقال أيضاً : « ان العرب أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين » .

ان الشباب في أمريكا واوربا قد تدهور الى حد بعيد لا يرجى فيه الخير وقد تأسى بهم بعض شباب الشرق مع الاسف الشديد ، وان علماء النفس والاجتماع يعملون في اصلاح الحالة ولا يستطيعون . ذلك لان التسيب والانحراف قد بلغا (كما سنجد في بعض صفحات هذا الجزء) حداً قاصياً من جراء هذه الحرية المفسدة للنفوس والمضللة للعقول . وقد قال الفيلسوف الفرنسي ، كوستاولوبون قبل عشرات السنين : « وقد وصلنا الى طور من الحياة تجعل خطر الاخلاق أجل من خطر الذكاء فليس للذكاء قيمة اذا لم يعتمد على القوة والارادة وضبط النفس . والتربية وحدها خليقة أن توجد هذه الاخلاق اذا لم تكفلها الوراثة » ! ؟

ولكن من الواضع لأسس هذه التربية ومن المطبق لها ؟ ! . فاذا كانت

الاسس التربوية بشرية حالكة فلا أثر لها في إصلاح النفوس . لأن الناقص لا يترشح منه الا شيء ناقص مبتور . وان حالة الغرب الراهنة بما فيها من مؤسسات تربوية ضخمة خير شاهد على صحة ما أقول :

فلابد من الرجوع الى دساتير تربوية جاءت من وراء هذه النفوس الضالة ، جاءت من وراء المادة الظلماء ، جاءت من جانب الله تعالى على لسان أنبيائه عليهم السلام .

إذن : فلا نجاة إلا بالتمسك بدين لم تمسه يد البشرية المحرفة : دين الاسلام القويم . وقد قال الله تعالى بشأنه :

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (١) .

لا نجاة الا بايجاد الخشية في نفوس الشباب ، حتى يخافوا الله ، ولا يرتكبوا ما نهى الله عنه في خلواتهم ومحاضرهم فقد قال رسول الله (ص) « رأس الحكمة مخافة الله » .

لا نجاة إلا باعتقاد رصين بيوم الجزاء ، « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » (٢) .

فلو تذكر الشاب : يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا » (٣) . « يوم يسمعون الصيحة بالحق ، ذلك يوم الخروج » (٤) « يوم تشقق الارض عنهم سراعا ، ذلك حشر علينا يسير » (٥) .

---

(١) سورة الحجر ٩ (٢) سورة الشعراء : ٨٨ ـ ٨٩

(٣) سورة طه : ١٠٢ (٤) سورة ق : ٤٢ (٥) سورة ق : ٤٤

« يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون ، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة . وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون ، فذرني ومن يكذب بهذا الحديث . سنستدرجهم من حيث لا يعلمون . وأملي لهم ان كيدي متين » (١) . وأثرت الخشية في جميع أجزاء بدنه فهو اذ ذاك يرتدع عما نهى الله تعالى ، فلا يرتكب ما حرم الله وما يفسد النفس فيبعدها عن الصراط المستقيم .

ذلك لان الخروج عما سنه الله على لسان انبيائه : اسراف وهو بدوره يؤدي الى الضلال والعمى والكبرياء والغرور . وقد قال تعالى :

« كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب : (المؤمن : ٣٤)

« والذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم . كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا ، كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار » (سورة المؤمن : ٣٥) .

فعلى الشاب ان يراقب الله تعالى في جميع أموره ويتذكر قوله تعالى حيث يقول : ألم يعلم بأن الله يرى (١ وان يعبد الله كأنه يراه . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه ، فانه يراك » .

وفي الحديث القدسي : « انما يسكن جنات عدن الذين اذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني ، والذين انحنت أصلابهم من خشيتي ،

(١) سورة . القلم : ٤٢ - ٤٥ (١) سورة العلق : ١٤

وعزتي وجلالي إني لأهم بعذاب أهل الارض . فاذا نظرت الى أهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب » .

حكي ان زليخا لما خلت بيوسف ، قامت وغطت وجه صنمها . فقال يوسف : « مالك . أتستحين من مراقبة جماد ولا أستحي من مراقبة الملك الجبار » .

وقد ورد في الاخبار : ان العاقل ينبغي أن يكون له أربع ساعات : ساعة يناجي فيها ربه . وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكر في صنع الله ، وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب .

وقال الصادق عليه السلام : طوبى لعبد جاهد في الله نفسه وهواه ، ومن هزم جند هواه ظفر برضى الله ، ومن جاوز عقله نفسه الأمارة بالسوء بالجهد والاستكانة والخضوع على بساط خدمة الله تعالى فقد فاز فوزاً عظيماً ، ولا حجاب أظلم وأوحش بين العبد وبين الله تعالى من النفس والهوى ، وليس لقتلها وقطعها سلاح وآلة مثل الافتقار الى الله ، والخشوع والجوع والظمأ بالنهار والسهر بالليل ، فان مات صاحبه مات شهيداً ، وان عاش واستقام أداه عاقبته الى الرضوان الأكبر . قال الله عز وجل : والذين جاهدو فينا لنهدينهم سبلنا ، وان الله لمع المحسنين » .

فانت أيها الشاب . بين يديك حقائق ناصعة عن الدين القويم دين الاسلام ، خاتم الأديان بل أكملها ، ترشدك الى الصراط السوي .

وتنير لك الطريق ، كي تسلك مسلكا يؤدي بك الى تكامل نفسك وإبلاغها أسمى مراتب الكمال . وهل هناك هدف أسمى من التكامل ؟ ولأجله وُجدنا في هذا العالم . فشمر عن ساعد الجد في تطبيق ما أمر به الاسلام كي ترى نفسك كيف تتجلى يوما بعد يوم مشرقة ، وضاءة منيرة . مطمئنة : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » (١) .

« يا بني آدم ، قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ، ولباس التقوى ذلك خير ، ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون » (٢) .

« يا بني آدم ، لا يفتننكم الشيطان كما اخرج أبويكم من الجنة ، ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما . انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون » (٣) .

---

(١) سورة الرعد ٣٠ (٢) الاعراف : ٢٦ (٣) الأعراف : ٢٧

قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ؟

من حقائق القرآن العلمية

في القرآن الكريم آيات هي عصارة العلم الحديث وما ستنتجه المكتشفات العلمية في الكون الرحيب في مستقبل قريب أو بعيد . وليس لأحد مهما أوتي من علم غزير وكفاءة فائقة ونبوغ مرموق أن يفسر جميع الآيات الكونية في القرآن تفسيراً علمياً ناصعاً كاملاً غير ناقص . وهكذا كلما تكامل العلم المادي كلما ظفرنا بحقائق جديدة سبق كلام الله المجيد الى ذكرها بايجاز . وإن علوم القرآن التي كانت موضوع بحث المفسرين في القدم . كعلم القراءات وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم الرسم القرآني وعلم المحكم والمتشابه والتفسير التاريخي والحكمي واللغوي والأدبي لفي معزل عن التفسير الفيزياوي والفلكي والطبقاتي والجغرافيائي والطبيعي . حتى أن القدماء لم يتوسعوا في تفسير القرآن في النواحي الاجتماعية والادارية والسياسية والحربية التي يتناولها القرآن الكريم .

وهناك من لا يؤمن بالعلم المادي ويرى أن العلم المادي يضاد الدين

فلا يهمه تفسير القرآن على ضوء العلم الحديث ، ظناً منه ان العلم المادي في تغير مستمر ، وقد فاته أن ما اكتشفه العلم الحديث وحققته التجارب مرات ثابت لا يتغير ، بل تتغير النظريات التي توضع لتفسير الطاقات ، كالطاقة الكهربائية أو الجاذبية أو الضوء ، ذلك لأن الطاقة ليست من المادة في شيء . لذلك لم يعلم لحد الآن (ولن يعلم على ما أعتقد) حقيقة الطاقات على اختلاف أنواعها من حرارية وحركية وكهربائية وجاذبية وكيف تتبدل هذه الطاقات بعضها الى بعض .

فنحن بقدر ما نعرف طرقا شتى لاستخدام الكهرباء في التدفئة والعلاج والانارة وإدارة الآلات وتسيير القاطرات والسيارات ونحوها لا نعرف تماماً ما هي الكهرباء وقس على ذلك الضوء والحرارة . فكلها نطلق عليها لفظاً مبهماً هو الطاقة التي اودعت بين ثنايا الكون ويمكن أن يتحول بعضها الى بعض : الا انه لا يمكن خلقها أو استحداثها من العدم .

لذلك لم يتمكن المادي من معرفة حقيقة المادة بعد أن رآها تتحول الى طاقات ، لا سيما وقد تمت منذ سنوات معدودة كشوف جديدة في عالم الكونيات تناولت صميم تكوين الذرة وأثارت اهتمام العلماء وعلى رأسهم رجال الفلك وأهم نتائج هذه الكشوف العثور على البروتون السالب او البروتون المضاد للبروتون الذي نعرفه ـ والكهرب الموجب ـ وهو الالكترون المضاد للالكترون الذي نعرفه ـ ومعنى ذلك ان في هذا

الوجود نوعين مختلفين من المادة (١) تبنى منهما النجوم والشموس والكواكب وسائر الاجسام ، واذا حدث أن التقى نوع منهما بالآخر او تصادم معه تحدث عمليات إفناء ذرية تختفي معها معالم المادة من الوجود بينما تنطلق طاقات هائلة منها تلك التي استخدمت في الأصل في ربط جسيمات او نويات وذرات تلك المواد . فكيف يفسر لنا المادي عملية الإفناء الذري وانقلاب المادة الى طاقات !

فلا تنافي بين العلوم المادية . والحقائق الدينية إذ هما من مصدر واحد . ولولا أهمية العلوم المادية فى تثبيت عقيدة التوحيد لما دون الله تعالى (٧٥٠) آية كونية او اكثر في كتابه الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » .

وإني أرى ان هذا النوع من التفسير ، أي تفسير القرآن الكريم على ضوء العلوم الحديثة من فلك وفيزياء وكيمياء ورياضيات ، وعلم الحياة وعلم النبات والحيوان وطبقات الأرض والجغرافية على ما فيها من اقسام والطب الحديث والتاريخ والعلوم الاجتماعية والسياسية يزيد في إيمان الشاب الجامعي ويجعله يعتقد ان دين الاسلام هو دين العلم الصحيح ودين العصر الحديث ودين الأجيال القادمة مهما تقدم العلم وبلغ شأواً قاصياً . وذلك لان العلم مهما تقدم فى كشوفه تجلت حقائق القرآن اكثر فأكثر . ولا يصح الاعتماد على ما جاء في الكتب الفلسفية القديمة من علوم طبيعية مغلوطة

---

(١) « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » سورة ياسين .

تخالف الواقع وتفندها التجارب . وصارت تستند الكشوف الفيزيائية على الرياضيات العاليـة وأين الفلسفة القديمة من الرياضيات العالية . لذلك كان يقول (پوانكاره الفرنسي) : « نحن الرياضيين إنما نعمل للفيزياء والفلسفة » .

كانت الفلسفة القديمة تستند في كثير من استنتاجاتها على الظن ، فكان يقول أحدهم : إن الأرض كروية ، ذلك لأن الكرة اكمل الاشكال وان حركة الشمس حول الأرض دائرية لأن الدائرة أكمل الاشكال وهكذا . . . والله تبارك وتعالى ينهانا عن إتباع الظن ، وذلك بقوله عز من قائل :

« وما يتبع اكثرهم إلا ظناً ، ان الظن لا يغني من الحق شيئاً » .

وبقوله تعالى :

« قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن » .

فلا يجوز تفسير الآيات الكونية التي تقوى ناحية التوحيد في النفوس استناداً الى الظن وما لايؤيده التجارب والمعادلات والدساتير الرياضية والفيزيائية كتفسير (المد والجزر) مثلا بملاك البحر الذي تصوروه عندما يضع ابهامه في البحر يفيض الماء وعندما يخرج ابهامه يغور الماء ويكون الجزر حين أن القضية قضية جاذبية القمر والشمس لمياه البحار والانهار .

كما أنهم بدلا من أن يفسروا العمد الذي لا يرى بالعين ، بالجاذبية في الآية الآتية .

« الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها » .

استندوا الى خرافة يونانية القائلة : إن الارض قائمة على قرن ثور والثور قائم على بطن حوت . . . (اما الحوت ! ؟ .)

وكم من نظريات سخيفة وظنون فاسدة دخلت من الفلسفة اليونانية البائدة في الاسلام ورآها الفلاسفة والمتفلسفون حقائق لا غبار عليها وصاروا يدافعون عنها بحماس لا مزيد عليه .

والحق يقال : إن النهضة العلمية في الغرب ما قامت الاعلى أسس من المشاهدة الصحيحة والتجارب السليمة . وما القوانين العلمية سوى تفسير لما يشاهد في عالم المادة . ورغم اننا لا ندعى اطلاق صحة هذه القوانين ، الا أننا نسلم بأنها تمثل جانباً كبيراً من الصحة والدقة وانها تقترب من الكمال بتقدم العلوم والفنون فبمرور الوقت واتساع أفق المعرفة وازدياد الدقة في عمليات الرصد والملاحظة والمشاهدة يضيف العلماء من آن لاخر جانباً من التعديلات او التحويرات الى بعض القوانين العلمية لجعلها أقرب للحقيقة او أعم للنفع .

فان دساتير الجاذبية التي اكتشفها (نيوتون) لم تلغ من قبل (أينشتين) وانما عدلت حتى يمكن تطبيقها في مسافات شاسعة بين الانجم والكواكب النائية جداً وان دساتير نيوتون لا تزال تطبق وهي صحيحة في مسافات محدودة أي على الكرة الارضية .

لذلك كله أرى من الضروري ان يلم العالم الديني بشيء من العلوم

العصرية العامة قبل مرحلة الاختصاص ، وان يتخصص في بعض الفروع لا سيما الفيزياء ان وجد متسعاً من الوقت والكفاءة .

فليس من الصواب في شيء ان يبني الناس معتقداتهم الدينية أو صرح نظرياتهم العلمية على مجرد الخيال او الاستنتاج دون برهان أو تجربة ، فان مثلهم في ذلك كمثلنا عندما نجلس للتفكير في خواص المادة أو ظواهر الكون دون ان ندرس الاشياء ونرصدها ! او كمثل أولئك الذين يرثون عقائدهم دون اختبار موادها من حيث الخطأ والصواب ، وفي امثال هؤلاء يقول القرآن الكريم :

« واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون » (سورة المائدة) .

* * *

إنه تعالى يأمرنا ان نسير في الارض فننظر كيف بدأ الله الخلق حتى نزداد ايماناً ويقيناً ، ونخضع تجاه عظمته التي لا تتناهى . « وان من شيء الا يسبح بحمده »

لا يزال العلم الحديث يجهل كيف ابتدأ خلق العالم . والله تعالى يقول : « ما أشهدتهم خلق السماوات والارض ولا خلق أنفسهم » إذ نحن لم نكن حين خلق الله تعالى السماوات والارض وكيف نشاهد خلق

انفسنا ونحن بعد لم نتكامل من حيث التكون والوجود. ولا نعلم لحد الآن كيف دبت الحياة على وجه البسيطة وكيف كانت النباتات والحشرات والحيوانات على اختلاف انواعها . انما هي نظريات تجرح وتعدل من حين لآخر . كما في تشكل المجموعة الشمسية . وعادة تبدأ كل نظرية علمية تحاول تفسير أصل الوجود من فروض خاصة لا سبيل للبرهنة عليها أو من نقطة خاصة لا سبيل للذهاب الى أبعد منها . فالعلم الطبيعي لا يتعرض لمسألة الخلق من العدم وانما ينصب على دراسة خصائص ما هو كائن فعلا من مادة وطاقات وحياة ولا يريد الله تعالى في الآية المتقدمة :

« قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق » اكثر من ذلك . ان علينا ان نبحث مستندين على ما كشف في علم الجيولوجي Geologie والاحياء Biologie وعلم الذرة والاشعاع وعلوم أخرى تمس الموضوع عن مراحل الخليقة .

ولا ريب أن العالم الاكبر قد تكوّن باذن الله تعالى وأمره من العالم الأصغر ، فلنتكلم شيئاً عن العالم الأصغر ممثلا في أصغر لبنات او دقائق بنيت منها المواد وهي الذرة .

***

وقوام الذرات أشياء متناهية الصغر غير مادية تتشابه في جميع ذرات العناصر المختلفة ، ويتوقف على عددها وترتيبها داخل كل ذرة تحديد

نوع المادة او العنصر التي تتكون من هذه الذرات . وأبسط الذرات تركيباً على الاطلاق ذرة الايدروجين ، وهو المعروف باسم الغاز الكوني او الغاز الذي خلق منه الكون وتطورت عنه سائر المواد المعروفة .

وتتركب ذرة الايدروجين من (نواة) عبارة عن : بروتون موجب التكهرب يدور من حوله على كثب منه : الـكترون وهو كهرب سالب كما في العالم الاكبر وهو الشمس وما حولها من كواكب تسعة ، ويتحقق قوله تعالى : « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » (١) .

ويتعقـد تركيب الذرة كلما صعدنا قدما في سلم العناصر المادية .

وكان المعتقد الى عهد ليس ببعيد (منذ خمسة وعشرين عاماً تقريباً) ان الذرات غير قابلة للتجزئة الى جسيماتها الأولى ، وكانت الطرق المستخدمة في محاولات تحطيمها طرقا عقيمة غير مجدية ، ولكن لما عرفت وسائل تحطيم الذرة في هذا العصر امكن الجزم نهائيا بأن طاقات عظمى تدخر بين ثنايا الذرة أساسها الطاقة التي استخدمت اصـــلا في ربط جسيماتها الأولية ، خصوصاً فيما يختص بمكونات النواة التي نشأت أول ما نشأت داخل النجوم تحت درجات من الضغوط والحرارة تفوق حدود الوصف والخيال . وكل ما يلزم لتفتيت الذرة هو بذل نحو هذا القدر من الطاقة الرابطة بطريقة من الطرق .

وفي أغلب العناصر لا تقتصر النواة على البروتون الموجب ، بل قد

---

(١) سورة الملك : ٣

توجد أيضاً : النيوترونات وهي الجسيمات او اللبنات التي ليس لها شحنة تميزها ، والمعروف ان المحدد الاول لصفات الذرة هو نواتها ، فنواة الهليوم مثلا ـ وهو غاز ينجم عن تفجير الايدروجين ـ قوامها اثنان من النيوترونات واثنان من البروتونات . وعندما نصعد في سلم النويات حتى نصل الى العناصر الثقيلة ممثلة في عنصر اليورانيوم مثلا نجد أن نواة هذا العنصر الاخير تتكون من ٩٢ من البروتونات مع ١٤٦ نيوتروناً . وفي العادة تكون الشحنات السالبة داخل أي ذرة مساوية للشحنات الموجبة ، وبذا تكون الشحنة الكهربية للذرة في مجموعها صفراً .

فذرة الهليوم تتكون من نواة فيها بروتانان يدور حولها اثنان من الألكترونات او الكهارب السالبة لاحداث التعادل الكهربي .

اما ذرة اليورانيوم فيسبح حول نواتها (٩٢) الكتروناً .

وتدور الألكترونات حول النواة في أفلاك شبه دائرية تتعدد بازدياد عدد الألكترونات ، اذ يتشبع كل فلك بعدد معين منها . ولا يتسع أقرب الأفلاك او المدارات الى النواة لأكثر من الكترونين اثنين ويشبع المدار الذي يليه ٨ الكترونات وهكذا ، ويبقى الفائض عن تشبع الطبقات الداخلية في الطبقة الخارجية وهي التي يسهل فصلها واعادة ترتيبها .

ومن الممكن أن يفصل الكترون واحد أو اكثر من الذرة ، وبذلك تنفصل شحنتان احداهما موجبة والأخرى سالبة ، وتسمى هذه العملية

علمياً باسم (التأين) . وأبسط الاجهزة التي يتم فيها تأين الغازات هي الأنابيب الكهربية المستخدمة في الاضاءة او اللافتات والاعلانات ، حيث يتوهج الغاز تحت ضغوط منخفضة بسبب تصادم الالكترونات مع ذرات الغاز . وينجم عن هذا التصادم مع بعض الذرات اضافة طاقات اليها تنطلق في صورة ضوء هو مصدر الوهج المعروف ، بينما يتأين البعض الآخر من الذرات .

* * *

ومنذ سنوات معدودات تمت كشوف جديدة فى عالم الكونيات تناولت صميم تكوين الذرة وأثارت اهتمام العلماء وعلى رأسهم رجال الفلك وأهم نتائج هذه الكشوف العثور على البروتون السالب ـ أو البروتون المضاد للبروتون الذي نعرفه ـ ، و الكهرب الموجب ـ وهو الالكترون المضاد للالكترون الذي نعرفه ـ ومعنى ذلك أن في هذا الوجود نوعين مختلفين من المادة تبنى منهما النجوم والشموس والكواكب وسائر الأجسام « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » (١) .

واذا حدث ان التقى نوع منهما بالآخر أو تصادم معه تحدث عمليات إفناء ذرية تختفي معها معالم المادة من الوجود ، بينما تنطلق طاقات هائلة منها تلك التي استخدمت فى الاصل فى ربط (جسيمات) نويات وذرات تلك المواد . « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم

(١) سورة الذاريات : ٤٩

حتى يتبين لهم انه الحـــق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » (١) .

ونحن نستطيع ان نرمز للنوع الاول من المادة ذات البروتونات الموجبة بالحرف (م) مثلا وهي التي تكون الكتروناتها سالبة التكهرب كما نستطيع أن نرمز للنوع الثاني من المـــادة المضادة ذات البروتونات السالبة والالكترونات الموجبة بالحرف (س) .

واستفاد علماء الفلك من هذه الكشوف عن طريق تلك الامكانيات والتطبيقات الواسعة التي تكمن من ورائها وتفسر كثيراً من ظواهر الكون الغامضة ، مثل ظهور أرجاء في المجرات برمتها مظلمة وخاصة في السدم الحلزونية ، ومثل ظاهرة النجوم البراقة ونحوها .

وهنـاك بعض كهارب نووية ، أو (جسيمات) ذات شحنات كهربية فى نويات الذرات الثقيلة تسمى الميسونات ، واذا تحول بروتون الى نيوترون فانه يفقد شحنته الموجبة التي تنفصل بانفصال ميسون موجب اما اذا تحول نيوترون الى بروتون فالميسون يحمل في هذه الحالة شحنة سالبه ، وعندما يتصادم بروتون موجب مع آخر سالب ، او عندما يتصادم كهرب سالب مع آخر موجب ، يعدم احدهما الآخر من عالم الوجود بينما تنطلق الطاقة الكلية حسب معادلة اكتشفها (أينشتاين) :

ط تساوي ك في س^{٢} : ط = ك س^{٢} .

---

(١) سورة حم ـ سجدة : ٥٣

أي : الطاقة المنطلقة تساوي الكتلة المادية المختفية في مربع سرعة الضـــوء .

وهكذا نرى عندما تدخل ذرة من المادة (م) الى عالم المادة (س) أو العكس تفنى الكهارب أولا ثم يعقب ذلك إفناء البروتونات ، ومهما يكن من شيء فنحن لا نعرف ـ ولو على وجه التقريب ـ ما اذا كان عدد البروتونات الموجبة المودعة في الكون يساوي تماماً عدد البروتونات السالبة فيه أم لا ؟ الا ان هذه الحالة يرى فريق من العلماء ضرورتها ووجوبها فى عالم نشأ من العدم الذي هو نفس النتيجة المتوقعة لو أتيحت الفرصة لتلاقي المجرات وتصادمها مع بعضها .

« وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر » (١) .

« إنما امره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن ، فيكون » (٢) .

« كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » (٣)

وعلى أية حال ، فان امكان زوال السموات والأرض مسألة يقرها العلم ولا ينكرها ويفسرها تفسيراً طبيعياً على النحو الذي وصفناه ، برغم اننا قد لا نستطيع ان نقرر ان البروتونات الموجبة والبروتونات السالبة نشأت أول ما نشأت كأكداس من الأزواج انفصلت الى افراد بحيث لم يزد مجموع شحناتها جميعاً على الصفر . او انها نشأت هكذا حسب أي

---

(١) سورة القمر : ٥٠ : (٢) سورة يـاسين : ٨٢ :

(٣) سورة الرحمن : ٢٦ ـ ٢٧ :

احتمال (كجسيمات) فردية منفصلة ، وكذلك برغم انه لم يقل احد بتوزيع البروتونات والالكترونات توزيعاً منتظماً فى سائر أرجاء هذا الكون ، اما احتمال التعادل الكهربي بين الشحنات السالبة والشحنات الموجبة فى مكان معين بمضى الوقت فهو امر تدعمه المشاهدة .

وما قلنا تفسير لهذه الآية الكريمة :

« ان الله يمسك السماوات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده ، انه كان حليما غفوراً » (١) .

وعلى اية حال ، فان الآية الكريمة تشير باعجاز رائع الى امكان إفناء ما فى الكون من سدم ومجرات اذا هي تغير نظام توزيعها ، بأن تتداخلت مثلا او اعترض بعضها بعضاً اثناء سبحها فى الفضاء ، ثم هي بالاضافة الى تقرير تلك الحقيقة تظهر ضعف الكائنات جميعاً وعجزها عن إمساك السماوات والارض من الزوال اذا قدر الخالق لها تلك النهاية : كما يقول الله تعالى :

« يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار » (٢) :

« يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب » (٣) .

« واذا السماء كشطت » (٤) . (أي : نزعت عن اماكنها) :

---

(١) سورة فاطر : ٤١

(٢) سورة ابراهيم : ٤٨ (٣) سورة الانبياء : ١٠٤

(٤) سورة التكوير : ١١

« واذا الشمس كورت » (١) (أي : رفعت) :

« واذا النجوم انكدرت » (أي : اظلمت) .

« واذا الجبال سيرت » : (أي : ذهبت) :

---

(١)سورة التكوير : ١ ـ ٣

ثم استوى الى السماء وهي دخان [١]

والمقصود بالدخان هنا : الغاز . والمتفق عليه في العلوم الكونية ان اصل هذا الكون بدأ حين انتشر فى الفراغ الكوني غاز (الايدروجين) وهو المعروف علمياً باسم الدخان أو الغاز الكوني . وأعقب ذلك بأمر من الله تعالى سلسلة من الخطوات او التطورات التي صحبها ازدياد تركيز الغاز الكوني رويدا رويدا بفضل الجاذبية التي اودعها الله تعالى بين الأجسام ، قبل ان يظهر فى صورة السدُم (٢) والمجرات (٣) ، فالنجوم ، ثم الكواكب ، وتلخص هذه الخطوات كما يلي :

الغاز الكوني ، المجرات ، النجوم ، الكواكب السيارة .

وبديهي ان نجد درجة تضاغط الغاز الكوني ليكوّن المجرات اقل بكثير من درجة تضاغطه داخل النجوم ، وتبلغ كثافة او درجة تركيز هذا

---

(١) سورة حم سجدة : ١١ (٢) السدُم : جمع سديم

(٣) المجرة : منطقة طويله تمتد فوق رؤوسنا كالقوس وقد تركزت فيها النجوم بمقدار كثير وتكثفت فيها الى حد بعيد ، بعضها فوق بعض ، تشبه بياض ماء النهر في سواد الارض .

الغاز الكوني من القلة انه يوجد منه نحو ذرة واحدة في فراغ يبلغ حجمه علبة الكبريت العادية . وبالرغم من هذا فان كتلة هذا الغاز فى الوجود تزيد الف مرة فى عصرنا هذا على كتلة المواد المكدسة فى جميع المجرات رغم انه قد مضى على عمليات التحور التي صحبت ظهور الكون آلاف ملايين السنين ، ولعل السبب فى ذلك ان المجرات رغم اتساعها وكبرها المتناهي لا تشغل من الفضاء الكوني المترامي الأطراف الا جزءاً ضئيلا جداً .

فان الآية : « ثم استوى الى السماء وهي دخان » تنبئنا بأن اجرام السماء إنما بدأت بصورة دخان وهي عين ما افترضته كافة النظريات الفلكية مهما اختلفت تفاصيلها . وكلها تقول : ان الوجود بدأ فى صورة الدخان الكوني أو الايدروجين ، وعندما ينتهي دور الارض والسماوات ترجع هذه الأجرام الى حالتها الاولى الى دخان وطاقات هائلة :

« فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين » (١) .

« يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب ، كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعداً علينا انا كنا فاعلين » (٢) .

« يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات وبرزوا لله الواحد

---

(١) سورة الدخان : ٤

(٢) سوره الأنبياء : ١٠٤

القهار » (١) .

ويعترف العلماء ان الغاز الكوني الذي هو أساس الخليقة يخلق فى الفضاء خلقاً ، أي يخلق من العدم وهكـذا بقية العناصر التي يتكون منها الكون كله .

ثم انه تعالى يقول : « أو لم يَرَ الذين كـفروا ان السماوات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما » (٢) .

وهى اشارة رائعة ومعجزة خالدة تُعتبر من الوجهة العلمية عن عملية انفصال أجرام السماء والأرض عن بعضها بعـد أن كانت دخانا يملأ الفضاء ، ثم سُدُما . فمجرات تكدست فيها النجوم والكواكب . كل ذلك ، بفعل الدوامات التي انتابت الغـاز الكوني والجاذبية ، والقوى الطاردة المركزية ونحوها من سنن الطبيعة ومعاول الخلق التي لعبت دورها فى تكوين اجرام السماء والأرض وانفصالها عن بعضها من الغاز الكوني .

ثم عـلم أخيراً أن الفضـاء الكوني الذي يقع بين اجرام السماء ليس فراغا خالياً من كل شيء كالمادة ومعالمها وانما تنتشر فيـه أيضاً جسيمات غير مرئية على غرار ما كشف العلم فى عصر الفضـاء ، وهو قوله تعالى :

« ولله ملك السماوات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء » (٣) .

---

(١) سورة ابراهيم : ٤٨

(٢) سورة الانبياء : ٣٠ (٣) سورة المائدة ١٩

« ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما واليه المصير » (٣) .

وان الغاز الكوني بين النجوم والمجرات هو بحالة تخلخل شديد جداً اذ قدرت كثافته بنحو ميليغرام واحد فى كل مليون ميل مكعب في الفضاء . وهذا الغاز مكون كله تقريباً من غازي الايدروجين والهليوم ومن دقائق ترابية .

والدخان الكوني هو مادة الكون الأولى وهو لا يفنى إلا بمشيئة الله تعالى ولا تقل كمياته في كوننا المرئي بشكل مستمر ، ولهذا يتساءل العلماء من اين يقبل هذا الدخان أو الغاز ؟

أهو يقبل من الفضاء اللانهائي في تتابع مستمر ليعوض النقص في كمياته بسبب تولد المجرات الجديدة ؟

أم هو يأتي من مكان خفي ؟

أم هو يخلق خلقاً ؟

ولكن القرائن والمشاهدات العلمية كلها تدل دلالة واضحة ان هذا الدخان الكوني لا يأتي من مكان معين ، وانما يخلق خلقاً ، فاحياناً لا توجد ذرات هذه المادة وبعد ذلك تظهر ، واذن فان عملية خلق الايدروجين هى عملية مستمرة . والا نفد هذا الغاز من الوجود بسبب استمرار تكدسه ، ومن ثم استنفاده داخل المجرات المتباعدة .

ويتكدس الايدروجين كذلك داخل النجوم ويتضاغط بدرجات

---

(١) سورة المائدة : ٢٠

اكبر فاكبر بفعل الجاذبية ، وينجم عن هـذا التضاغط ارتفاع درجة الحرارة الى حدود الملايين من الدرجات فى مراكز تكون النجوم والشموس وعند ذلك تنشط العمليات الذرية ، ويتحول هـذا الدخان الى رماد (غاز الهيليوم) والى عناصر أخرى بأمره تعالى تحت الضغوط المختلفة

وهذه السلسلة كلها غير تراجعية ، أي انها لا يمكن ان تعود القهقرى ، الى الوراء ، لتنتهي بظهور الايدروجين من جديد وتحت أي ظرف آخر . وبديهي ان بقاء الغاز في الفراغ الكوني حتى الآن رغم تدخل هذه العوامل كلها لهو اكبر دليل على انه في تجديد مستمر أو خلق مستمر ، ولهـذا السبب يبقى متوسط كـثافة الغـاز ثابتاً في الفضـــاء .

والحق يقال : ان معدل خلق مادة الكون الأولى هو معدل بطيء جداً . ولا يظهر هـذا الدخان فجأة متكتلا في مكان معين . ويمكن ان يقدر ظهوره بنحو خلق ذرة واحدة فى العـام داخل فراغ يعادل حجم قاعة كبيرة ! ! نعم . ان مثل هـذا المعدل لا يمكن قياسه ولا مشاهدته عملياً ، ولكن يمكن حسابه رياضياً ، بحيث اذا طبقنـاه على فراغ الكون المرئي كله تمخضت قيمة المـادة المخلوقة عن كميات تفوق حدود الوصف والخيال . فهي تربو على ١٠٠ مليون مليون مليون مليون مليون طن فى الثانية الواحدة ! ! وتسبب هذه المادة الجديدة من الضغط والحركة في الكون ما يدفعه على التمدد وما يجعل المجرات فيه تتباعد

بسرعة هائلة . قد تبلغ نصف سرعة الضوء فى الثانية : (١٥٠٠٠٠ كيلومتر / ثانية) ، ويتحقق قوله تعالى (وهو الحق قبلا وبعداً) حيث يقول :

« والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون » (١) .

والحديث العلمي عن السماء فى هذه الآية انما يتناول حدود الكون المرئي واتساع هذه الحدود أو تمددها بمضي الزمن . وهى ظاهرة أو نتيجة من أعجب ما توصل اليه العلم فى السنين الأخيرة . ومعاني الآية فى غاية الوضوح والجلاء ، لا تحتاج الى شرح أو بيان . الا أن إعجازها العلمي اوضح وأروع .

فالمعروف علمياً ان وحدات الكون العظمى أو المجرات انما تتباعد عن بعضها البعض بسرعة فائقة . ويزداد بذلك حجم الكون أو يتمدد ، وكلما تباعدت المجرات ازدادت سرعة انطلاقها فى الفضاء اللا نهائي ، فقد شوهد قبلا ان المجرات القريبة من مجرتنا بالذات انما تتباعد بسرعة تقدر فى حدود بضعة ملايين الأميال في الساعة الواحدة ، وتصل سرعة تباعد المجرات الواقعة على اضعاف هذه المسافات من مجرتنا الى حدود سرعة الضوء . اما فيما وراء ذلك من حدود فان سرعة انطلاق المجرات الى أعماق الفضاء قد تزيد على سرعة الضوء نفسه ! خلافاً لنظرية (أينشتين) في نظرياته النسبية بشأن السرعة والكتلة لجسم ما .

---

(١) سورة الذاريات . ٤٧

فلا يمكن بذلك للاضواء المنبعثة منها ان تصل الينا . أي أنها في الكون غير المرئي ، وعلى اية حال ، فان الحد الفاصل بين ما يمكن ان نراه من الوجود المادي وما لا يمكن ان نراه هو المجرة التي تتباعد عنا بسرعة الضوء ، وتبعد مثل هذه المجرة عن مجرتنا في هذا العصر بنحو ٤ آلاف مليون سنة ضوئية .

ومجمل القول انه نظراً لازدياد حجم الكون الذي نحن فيه ، أو نظراً لتباعد مجراته تباعداً كبيراً بمضي الوقت ، فاننا نستطيع ان نعرف نهاية هذا الكون بانه الحد او السماء الذي لا تستطيع المناظير المكبرة أو التلسكوبات الكبيرة جداً ان ترى ما بعده .

ويحتوي هذا الكون على أكثر من (١٠٠) الف مليون مجرة . كلها آخذة في التباعد ، وبذلك ، فانه من الممكن ان تختفى كلها وراء حدود الكون المرئى رويدا رويدا بمضي الوقت وازدياد سرعة تباعدها عن مجرتنا فوق سرعة الضوء وعندها تتوحد في كون فارغ من المجرات الا مجرتنا ! الا ان الحقيقة ان هذا لن يحدث تماماً ، ولن يصبح الوجود فارغا على النحو الذي صورناه في يوم من الأيام . بل سيظل يعج بالمجرات كما نراه اليوم . على وجه التقريب . وعلة ذلك أنه تتولد فيه مجرات جديدة كلما اختفت المجرات البعيدة وراء الحدود المرئية . ويتم توليد هذه المجرات الجديدة من الدخان الكونى على نفس النمط الذي تولدت به المجرات القديمة .

وقد وضعت في نشوء الكون نظريات كثيرة على ضوء علم طبقات الأرض والكيمياء والفيزياء وعلم الأنواء والرياضيات ، قبل لابلاس العالم الرياضي وبعده . نظريات تفند وتجرح من حين الى حين ، ثم تأتي نظريات اخرى وتفند ايضاً وهكذا لحد اليوم . وقد يستنتج من النظريات السابقة ما يستفاد منها فى وضع نظرية جديدة ، ولكن العلم المادي لا يزال ناقصاً وسيبقى ناقصاً مهما كملت الآلات والاجهزة ومهما توغل العلم في استقصاء حقائق الذرة والاشعاع ومعادلاتها ، وهكذا تكون النظريات التي توضع على ضوئها ، ناقصة متزلزلة قابلة للجرح والتعديل .

ومن أراد استقصاء موضوع نشوء الكون باسلوب علمي أي على ضوء الرياضيات العالية وعلم الذرة والكيمياء العالية والفيزياء العالية فليراجع كتاب : (نشوء الكون) لمؤلفه (جورج گاموو) (١) .

انه تعالى يقول : « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » (٢) .

« قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً » (٣) .

مع العلم ان النظرية : (theoreme) ليست معادلة رياضية

---

(١) the creation of universe

(٢) سورة اسرى : ٨٥

(٣) سورة الكهف : ١١٠

مجردة عن التطبيق على الكونيات حتى تكون حقيقة ناصعة لا تقبل النقاش والرد .

فالمعادلات المجردة عن حدود التطبيق أي تطبيق الابعاد والكتل والزمان وما الى ذلك هي معادلات صحيحة منطقية لا تقبل الشك والارتياب ولها جواب يحقق التعادل أو المساواة في تلك المعادلة أو المتطابقة الى ما هنالك .

ولكن لو كانت المعادلة تربط أجزاء هذا الكون بعضها ببعض أو تفسر الحوادث الكونية كدستور نيوتون في الجاذبية تظهر فيها مواضع النقص أو الضعف ، فتأتي دساتير (أينشتين) مصححة لها . وقد يأتي بعد (أينشتين) من يصحح نظريات (أينشتين) ويجد فيها مواطن للطعن والنقد وهكذا .

فلا ينبغي لدارس هذه النظريات ان يراها حقائق ناصعة لا تقبل الشك والتعديل ، لا سيما النظريات التي توضع عن بزوغ الحياة وخلق الأحياء على وجه البسيطة ، فانها ، مهما حاول المتتبع الاستقصاء والتحقيق لا تتجاوز عن كونها نظرية قابلة للجرح والتعديل كما يعرفنا بذلك كبار علماء الطبيعة مثل (الكسيس كارل) في كتابه « الانسان ذلك المجهول » .

ولكن هنالك متطفلين على العلم الحديث ، لم يبلغوا من العلم ولا سيما الرياضيات العالية والفيزياء العالية وهما دعامتا العلم الحديث شأوا

يعتد به ، يحكمون ويحتمون ويهوسون ويأخذهم الغرور الى حد بعيد . فيرون النظرية حقيقة ، فيسخرون من الذين يعارضونهم في الرأي . حين ان الموضوع لا يتجاوز مشاهدات معدودة لا يمكن الاستنتاج منها بالاستقراء الا حكما مبتوراً بعيداً عن الحق والحقيقة .

انه تعالى يقول :

« إن يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون » (١) .

« وإن تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ، ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون » (٢) .

« قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون » (٣) .

« إن يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى » (سورة النجم : ٢٣) .

« وما لهم به من علم ، ان يتبعون الا الظن ، وان الظن لا يغنى من الحق شيئاً » (سورة النجم : ٢٨) .

* * *

يقول « جورج واينايس بيشوف » في كتابهما : الشمس والأرض والانسان : (ص : ٤٤) .

ولقد مر على الارض مئات الملايين من السنين منذ تكونت ، ثم

---

(١) سورة يونس : ٦٦ (٢) و (٣) سورة الانعام : ١١٦ و ١٤٨

جاء اغرب حدث واعجبه في تاريخ الكرة ، وهـذا الحدث هو بداية الحيـاة ، اما كيف جاءت الحياة في بدايتها أو كيف كـان مظهرها ، فان العلم لعاجز عن معرفة ذلك ، وكل ما يمكن ان يقال بشيء من التوكيد هو ان الحياة بدأت في المحيط الدافىء : الماء . وان أول كائن حي لم يكن لا بالنبات ولا بالحيوان بل كان أبا للاثنين ، وربما كانت الحياة الأولى على هيأة بقع من مادة حية أو كتل من مادة هلامية تشبه الجيلاتين في الشكل .

ثم هما يقولان : « وكان أعجب العجائب بعد بداية الحياة هو نموها وتطورها الى النباتات والحيوانات المختلفة التي عاشت على هذه الأرض يوماً ما . ويطلق على دراسة هذه الكائنات الحية وكيفية نشوئها وتطورها الواحد من الآخر أو الأصح تلو الآخر ، اسم : التطور » .

ذلك لأن كل تغيير انما يكون عن حكمة بالغة وهدف صحيح . ولا مجال للصدفة ان تلعب دوراً ولو بسيطا في هذا المضمار . اذ توالى مالا نهاية له من مراحل في عالم الخليقة وتشكلها بادىء ذى بدء من اجزاء شتى . ثم قطعها مراحل لا تعـد ولا تحصى . مراحل مترتبة بعضها إثر بعض ، مراحل متسقة ومتزنة . مراحل علمية ينحصر بها وجود هذا الكائن الجديد لا يمكن ان تحدث بالصدفة . وقد أثبت حساب الاحتمالات استحالة ذلك . اذ درجة الاحتمال تساوى $\frac{1}{\infty}$ وهي الصفر وقـد برهنا على ذلك بطريق رياضي في أوائل الجزء الثالث

من هذا الكتاب .

والطبيعة عمياء ، لا تبصر المستقبل ولا تعلم الى ماذا سيؤول الامر وكيف يعيش الحي في ظروف مختلفة وتحت عوامل متعـــددة . لا سيما الطفرات (١) التي يشاهدها المتتبعون في الكائن الحي ، حتى يصبح شكلا آخر ونمطاً آخر .

لذلك يقول العالم الطبيعي : (وهو قد لا يؤمن بالقـــدرة الالهية ، والدور العلمي الذي يسير عليه الوجود المادي) :

« قـد نشأت الخلية الأولى قبل نحو سبعمائة مليون سنة او اكثر حين شرعت الارض تبرد . وتتخثر الغازات الى سوائل ، ثم تجمدت هذه الى مواد صلبة . ومن العسير علينا ان نعرف تلك الحال الأولى حين نبض الطين بالحياة ، اذ أين كان النتروجين والكاربون والاوكسيجين والهيدروجين ، وكيف كانت الاشعة الشمسية وأثرها في الغيوم التي كانت تكسو الكرة الارضية ، مع العـلم ان الكرة الارضية كانت تدور أسرع ما تدور الآن حول نفسها وحول الشمس . . كل هذا نجهله كما يجهل أحدنا ما يقوم به الكيماوي في معمله المقفل .

فترون انه لا بد لنشوء الخلية الأولى من عوامل متعددة جـداً . قد تعد بالآلاف ، لان لكل عامل ، أيضاً ، عوامل أخرى . وهكذا دواليك ! حتى ينتهي الى واجب الوجود ، وهو الله الذي لابد من

(١) motation

وجوده من الأزل ، قبل كل شيء ، حيث لا زمان ولا مكان ، لابد من وجوده كلما رجعنا الى الماضي السحيق في حدود لا تتناهى .

وخير مثال لهذا ، تركيب الصاروخ ، إذ هو يتألف من ٣٠٠٠٠٠ قطعة على أقل تقدير . فهل يمكن ان تترتب هذه القطع بالصدفة . ثم لابد من وجود هذه القطع أو الأجزاء قبل تركيب الصاروخ . مهندسة كل واحد منها هندسة صحيحة من حيث الأبعاد والتركيب بحساب هندسي دقيق كي ينشأ من تركيبها على أساس علمي ومنطقي هذا الصاروخ الذي نراه .

وهل يمكن ان يقال : إن القطعة الأولى من هذا الصاروخ تعلمت كيف تنشيء وتهيء القطعة الثانية وهكذا دواليك الى ٣٠٠٠٠٠ قطعة فأكثر .

ولسائل ان يسأل : مم تعلمت القطعة الأولى ، من كان المعلم لها ؟ فان قلنا بالتجربة ، ففي أى مختبر اجريت التجارب حتى حصل بعد مشاهدات واستنتاج علم عن كيفية تهيئة القطعة الثانية بصورة هندسية صحيحة ومناسبة من قبل القطعة الأولى .

فاذا كان هذا القول بعيداً عن المنطق ، فكذلك القول :

« كذلك تكونت اجنحة لبعض الزواحف الأخرى وتعلمت الطيران ! » .

من الذي كون هذه الاجنحة ، ولم تكن هنالك مدرسة عالية تعلم

هندسة الطائرات وصنعها . فالطبيعة عمياء . ليس لها ان تفكر فى المستقبل والصدفة لا تهندس ولا تنشيء . انما تأتي الصدفة في دور التركيب بعد الانشاء الهندسي .

ولو فكرنا فى أنفسنا وتراكيب بدننا ، علمنا اننا لم نتصرف فيها يوما لتكون كذا ولا تكون كذا . لماذا لم نكون لانفسنا أجنحة كالطيور ولمَ لم نتعلم الطيران كما (تعلمت الزواحف) على ما جاء في التفكير المادي ، حتى نغير فى اجسادنا تغييراً يريحنا من عناء السفر المرير .

ويقول أيضاً مؤلفا كتاب : الشمس والأرض والانسان (١) :

« وقد مضت ملايين السنين قبل أن تظهر أولى النباتات على اليابسة ، وبظهورها تكونت لها جذور تعلقت بالتربة الحديثة وبالصخور كما انها كانت تمتص الماء بواسطتها . كما تعلمت هذه النباتات بطريقة ما كيف تستخدم (الكربون) الموجود فى الجو مع الماء في صناعة الغذاء » ! .

انظروا الى هذه الفلسفة المبتورة والمنطق السقيم ، فانه يقول : مضت ملايين السنين قبل ان تظهر أولى النباتات . ولكن المؤلف يسكت عن بيان كيفية الظهور ومراحل الظهور وتكون الجذور وتعلقها بالتربة وبالصخور وكيف امتصت الماء بواسطة الجذور . ومم تعلمت هذه النباتات بطريقة ما حتى تستخدم الكربون الموجود في الجو مع الماء في صناعة الغذاء . وكيف وجد الكربون في الجو وكذا الماء . أو ليس

---

(١) ص : ٤٦

الغذاء يصنع من عدة أجزاء وبعوامل مختلفة ، وقد اثبتنا ان الصدفة منتفية في جمع العوامل والاجزاء لصناعة الغذاء في الجزء الثالث من هذا الكتاب. فلابد من حكيم مدبر ، دبر الامور ورتبها أيما ترتيب حتى كان هذا الوجود بجماده ونباته وحيوانه وانسانه .

« قل أرأيتم ان اخـذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم ، مَن اله غير الله يأتيكم به ، انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون » (١) . . . . (يعرضون) .

* * *

أما الصدفة التي تلعب دوراً هاماً فى الاكتشاف والاختراع ، فانها لطف رباني يتيحها لهذا الانسان كي يستفيد مما أودع الله تعالى فى الطبيعة من خواص للشفاء والغذاء والصناعات المفيدة الى ما هنالك .

فالصدفة التى لعبت دوراً هاماً فى كشف الاشعة السينية (Rayon X) هي لطف رباني ، كان قد من الله بها على (كروكس) وكذلك الصدفة في ربط الاسلاك الكهربائية بطريقة التوازي ، والصدفة التي أتاحت لباستور العالم الفرنسي في استعمال التطعيم للقضاء على مرض الجدري وأمراض أخرى .

فالصدفة التي يمنحها الله تعالى تفضلا منه للعالم حين تتبعه وقيامه بالتجارب ليس الا لجعله واقفاً على ما أودع الله من قوانين وأنظمة

---

(١) سورة الانعام : ٤٦

وخواص موجودة قبل حدوث الصدفة في هذا الكون من جانب الله تعالى .
والصدفة المتاحة نوع تعليم من جانب الله تعالى لهذا الانسان . فكأن الله يريد ان يكافىء هذا المخترع أو بلفظ أصح هذا المكتشف على تتبعه وجهوده ، فيجعله يقوم بأعمال لا يعلم ماذا ينتج منها واذا به يقف دونما انتظار سابق على خواص جديدة ومكتشفات حديثة .

لذلك ، يرى كثير من المكتشفين ان يداً سحرية ترافقهم في مكتشفاتهم حتى المرحلة الأخيرة من ربط الآلات او وضع المعادلات والدساتير !

أما الملحد الذي لا يؤمن بالله الذي بيده ملكوت كل شيء ، يرى التغيرات والتطورات تأتي تباعا وبطريق منطق وتدرج علمي ، فكيف يفسر كل ذلك وهو لا يؤمن بالله الذي خلق المرحلة الأولى والاصل والاساس بما فيه من أجزاء وقوى وطاقات والمراحل التالية وما يحيط بها من عوامل ومؤثرات . . و . . . .

ان الملحد ليعترف بالقصور الذاتي (Inestie) في الفيزياء فاذا جاء دور عزو المراحل وحدوثها وانتظاماتها : هذه المراحل التي لا تعد ولا تحصى ، هذه المراحل التي تكاد لا تتناهى . . . . الى خالقها وموجدها ومرتبها أحكم ترتيب ، وهو الله تعالى ، توقف الملحد وعزا كل ذلك الى قوة يراها موجودة في ذلك الكائن الحي أو غير الحي ، كالاكسيجين والنيتروجين ، وقال بتطورات ذاتية في ذلك الموجود الحي أو

غير الحي . تطورات متسلسلة على ضـــوء المنطق الصحيح . فكأنه يريد أن يقول : ان في ذلك الكائن الحي أو غير الحي عقلا يدبر نمو وتكاثر هذا الكائن حين ان هذا الملحد مع ما أوجد الله فيه من عقل لا يقوى على ان يغير مما في نفسه او بدنه شيئاً ، ولا يعلم كيف وجدت عينه او اذنه او شامته . . . الخ . . .

* * *

وهكذا ، ترون ، يقول أحد هؤلاء الماديين : « ليس لأحد يمكنه الآن ان يجزم في شيء عن أصل المادة ونهايتها » . وقد قرر (كوستاولوبون) بالتجربة ان المادة تفنى وتعود أثيراً غير محسوس .

ويقول المادي : لا نعلم شيئاً عن كيفية تطور المادة ، والشك لا يزال قائماً عن هذا الكون . هل هو متناه أو غير متناه .

فترون : ان المادي ، يبنى فلسفته على أشياء يجهلها هو ولا يعلم حقيقتها وكيفية نشوئها وتطورها وقطعها المراحل ثم وجود هذا الكائن الحي بعد ذلك على وجه البسيطة .

كان يقول « بركسون : (Bergson) الفيلسوف الفرنسي : ان الحياة مبدأ أو عنصر أو فكرة مستقلة عن المادة ، وانها إنما تستخدم المادة فقط كي تبدو او تتمثل في أجسام الأحياء . ويقول : انه ليس بعيداً ان تتخلص الحياة من المادة في المستقبل وتحيي الأحياء بلا أجسام .

والمادي يعترف قائلا : لسنا نعرف ماهية الحياة الأولى ، فربما

كانت أبسط من الخلية ، وذلك لأن الخلية الأولى كانت من الصغر ولين المادة الهلامية بحيث اذا ماتت لم يبق لها أثر يشهد على وجودها كبقية المتحجرات Focils ، ثم يعرِّف المادة قائلا : لا نعرف كيف دبّت الحياة في الخلية الأولى . . . ويقول المادي : « لقد مضى زمن كان يحسب فيه الناس أن هناك تشابهاً عظيماً بين تكون البلورات كالبرَد والثلج والالماس وبين تكون الحياة . ولكن الفرق عظيم بين الاثنين ، فالتبلور يحدث بالاضافة الخارجية ، اما الحي فينمو بالتمثيل الداخلي ، أي انه يحتوي على مادة جامدة أو حية ، ثم يهضمها ويجعلها مثله ، وهو يقول : ان دبيب الحياة الأولى في الجماد لا يزال سرا ، وانما المقرر المعروف : انه ليس فى الحي عنصر أو مركب لا نجده خارجاً في الجماد .

فالجسم الحي مؤلف من الكاربون والنيتروجين والأوكسيجين والايدروجين والكبريت وجملة أملاح أخرى . وبعض المركبات التي يصنعها الجسم الحي مثل النشا والبول والكثول يمكن صنعها الآن في المعامل الكيميائية . إلا اننا لو جمعنا المواد المؤلف منها الحي لما أمكننا مع ذلك ان نصنع خلية حية (١) .

وهذا اعتراف جميل : ان الحيوية شيء آخر ، غير المواد . وان العلم الحديث يجهل تكون الخلية الأولى بما فيها من حيوية ، ولقد بسطنا

(١) نظرية التطور واصل الانسان . لسلامة موسى . ص : ٤٥

القول في هذا المقام فى الجزء الأول من التكامل ص : ٢١٣ وفي الجزء الثاني : ص : ١٠٣

* * *

وعندما كنت اكتب هذا المقال ، شاهدت عصفوراً كان قد دخل من ثقب فى نافذة من نوافذ الغرفة ، ولم يستطع العود الى الحديقة فصار يطير ساعات هاهنا وهاهنا ، ويصطدم بالنافذة والزجاج تارة بعد أخرى ، وهو لا يهتدى الى سبيل ، مع اني قد فتحت له نافذة كان في امكانه ان يفر منها ، لان الشبكة السلكية كانت ممزقة والطريق مفتوح أمامه . وهكذا بقي حائراً مضطربا ، حتى جاء ولدي محمد أخذه وأخرجه الى الحديقة بيده !

فلو كان لهذا العصفور أدنى تصرف فى صنع أجهزة بدنه الدقيقة التي قد بلغت من الدقة وإتقان الصنع ما يجب ان يكتب فيه آلاف الصفحات لوجد طريقه من تلك النافذة المفتوحة الى الخارج ونجا فوراً .

كل ذلك يدلنا على أن الكائن الحي بأنواعه المتنوعة وتطوراته المختلفة وتكامله المادي البطىء أو السريع وطفراته ونموه العقلي أو الغريزي ، ليس له أدنى تصرف من تلقاء نفسه ، وكل ما يحدث فى داخله وكيانه إنما هو بأمر من الله وارادة الله ومشيئة الله وقدرة الله التى لا تتناهى .

فليست نظرية التطور ان صحت في بعض المجالات الا بياناً لما ألهم

الله هذا الكائن الحي من مراحل لا تعد واراد تحقيقها بمشيئته ، إذ هو الذي هيأ له الظروف والكفاءات والقابليات الى ما هنالك .

وخير دليل على ذلك بقاء كثير من الكائنات الحية فى حدود معينة من التكامل المادي ، مع ان جهاز الهضم مثلا من حيث الدقة وحسن الصنع هو نفس الجهاز في كائن حي آخر أرقى في عالم التفكير والحياة الاجتماعية .

فالتفكر فى الموجودات في معزل عن يد ربانية مسيرة بشكل لا نفهمه ولا نعلمه تفكير مبتور يؤدي الى فلسفة ضالة ، مضللة ، تسوق الانسان الى جهل مرير .

« فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى في الصدور » (١) .

***

فالنفوس الضالة ، أو بالاحرى : النفوس الشريرة التى تحجرت بآثامها وفسوقها وكبريائها ، فجحودها ، تكون فلسفتها فلسفة خيالية ، مضلة فلا تتوجه الى الحق المتعال ، بل يكون استنتاجها الفكري الحاداً وزندقة لعمى القلب من جراء الفسوق ، « وان أعمى العمى عمى القلب » . كما جاء في الحديث .

« بل ادّارك علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها بل هم منها عمون » (٢) .

---

(١) سورة الحج : ٤٦ (٢) النمل : ٦٦

« أفمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق ، كمن هو أعمى ، انما يتذكر أولو الالباب » (١) .

« قل من رب السماوات والأرض ، قل الله ، قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لانفسهم نفعاً ولا ضراً . قل هل يستوى الاعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور ، ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه ، فتشابه الخلق عليهم ، قل الله خالق كل شيء ، وهو الواحد القهار » (٢) .

« قل هل يستوى الأعمى والبصير ، أفلا تتفكرون » (٣) .

وفى الحديث : « ما ضرب ابن آدم بعقوبة أشد من قسوة القلب » .

وان الله لا يضل الا من تردى وضل بسوء اختياره وكثرة آثامه « وما الله يريد ظلماً للعباد » (٤) .

انه تعالى يقول : « ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد فى السماء ، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون » (٥) بسوء اختيارهم وذلك لذنوب كثيرة أدبرت لذاتها وأقامت تبعاتها .

فطريق الحق مغلق على النفوس المتحجرة « وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا » فتكون فلسفتها الحادية غير

---

(١) الرعد : ١٩ (٢) الرعد : ١٦ (٣) الانعام : ٥٠

(٤) آل عمران : ١٠٨ (٥) الانعام : ١٢٥

منطقية ، مبتورة ، مستندة على اساس اوهن من بيت العنكبوت ، ذلك لانك لو تدرجت مع هـذا الفيلسوف ! نحو المراحل الأولى من الخليقة ، قال لك : « اني لا أعلم ، ولا يزال العلم يجهل ذلك ، أو ، لم يحن الوقت ليكتشف العلم حقيقة هذا السر . ولكن الزمان كفيل بذلك » ! ! . . كلام سوفسطائي يدع النفوس المنحرفة ، الأثيمة الحالكة التي لا تبصر نفسها ومالها من عوالم شتى ليس لها ادنى تصرف في تغييرها وتعديلها لذلك يقول تعالى : « وفي انفسكم أفلا تبصرون » (١) .

« والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات » (٢) .

ولا يكون التكذيب الا من جراء تلوث النفوس بالذنوب والظلم والفساد في الأرض .

هذه سنة الله في أرضه : « فلن تجـد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا » (٣) .

والله تعالى قد اخبرنا فى كتابه المجيد ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، عن هذا الانسان الجاحد العـــدو لله الذي مَنَّ عليه بأنواع النعم ، نعم لا تعد ولا تحصى ، بقوله جل من قائل : « أَوَ لم يرَ الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين » (٤) .

* * *

(١) سورة الذاريات : ٢١ (٢) سوره الأنعام . ٣٩

(٣) سورة فاطر : ٤٣ (٤) سورة يس : ٧٧

كيف يفسر لنا المادي ما يصنعه النمل الآبيض فى افريقيا من مستعمرات ضخمة من الطين مخلوطاً بلعاب فمه ، وكل منها برج شامخ فى الهواء ارتفاعه عن سطح الارض حوالي ٦ امتار ومحيط قاعدته قد تصل الى ١٥ متراً ولا يمكن هدم هذا البرج الا بالديناميت . ويصنع النمل بالقرب من هذا البرج في جهة أخرى حصنا صمم بطريقة خاصة اذا سألت عنه أحد الأهلين فسيخبرك انه البوصلة . وبواسطة هذا المبنى يستطيع الأهالي معرفة الجهات الأصلية في الصحارى والجبال . ذلك لان لها سطحين عريضين أحدهما يشير الى الشرق والآخر يشير الى الغرب وسطحين ضيقين متجهين الى الجنوب والى الشمال ولا يمكن ان تشذ عن هذه القاعدة أي مستعمرة من مستعمرات هذا النوع من النمل . ولهذا يثق الأهالى في ذكائه الغريب ، ولم يستطع احد ان يعرف الحكمة التي تكمن وراء هذا النظام .

ففي أية مدرسة عالية تعلم النمل الابيض صنع بروج شامخة لا يمكن هدمها لما فيها من صلابة إلا بالديناميت ، وممّ تعلم صنع المزولة لتعيين الجهات الاربع ؟ لماذا لا يستطيع القرد صنع المزولة وجعل لعاب فمه من حيث التركيب الكيمياوي كما في النمل الابيض ، وهو على ما يقوله البعض أقرب الى الانسان من حيث التشكيلات الجسدية فحسب ؟

اذن ليس التطور فى الحيوانات والحشرات وغيرها بتطور ذاتي ، وانما يد ربانية ومشيئة إلهية تتصرف في ما خلق عن حكمة بالغة كي

يري الناس آثار عظمته تعالى في الآفاق والأنفس: « سنريهم آياتنا في الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أوَ لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد » (١) .

« هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون (٢) ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ، ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره . ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم فى الارض مختلفاً ألوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذّكرون . وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وألقى فى الارض رواسيَ ان تميدَ بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون ، أفمن يخلق كمن لا يخلق ، أفلا تذّكرون ، وان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم » (٣) .

---

(١) حم سجدة : ٥٣ (٣) سورة النحل : ١٠ ـ ١٨

(٢) تسيمون : ترعون دوابكم ، ذرأ : خلق ، مواخر : تشق الماء بجريها رواسي : جبالا ثوابت .

عوالم القدس

ليس الانسان هذا البدن فحسب ، أي ليس الانسان مجموعة كذا غراما من الآزوت وكذا غراماً من الكالسيوم وكذا غراماً من الفوسفور وكذا غراما من الهايدروجين ومن الاوكسيجين ، الى ما هنالك من عناصر ، كما يقوله المادي . انما هو نفس حساسة وروح فياضة وعقل وشعور واحساسات وأمان وعواطف وميول الى ما هنالك .

فالانسان انسان بنفسه لا بعضلاته وعظامه ودمه ولحمه وبما يؤلف بدنه من عناصر .

ان الاعضاء المادية التي تشكل هذا البدن تساعد الانسان لبلوغ أمانيه ولبلوغ تلك الغاية التي خلقه الله تعالى لاجلها . الا وهي معرفة الله جل وعلا . وقوله تعالى : « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » (١) دليل واضح على ان العلة الغائية من وجودنا فى هذه الدنيا انما هي عبادة الله تعالى وتوحيده وتقديسه والتقرب اليه ، ثم معرفته . ذلك ، لأن العبادة بما فيها من تسبيح وتحميد وخشوع

(١) سورة الذاريات : ٥٦

وخضوع وصلاة وصوم وحج وزكاة وخمس وصبر على النوائب واخلاق فاضلة والقيام بأعمال صالحات والامر بالمعروف والنهي عن المنكر مقدمة لمعرفة الله تعالى .

فلا يمكن الوصول الى معرفة الله : معرفة تتناسب والاستعداد البشري الا بعبادة مقبولة ، بكل ما في العبادة من معنى واسع مع خشوع وخضوع . فكلما شعر الانسان أنه يذوب حباً لله ويزداد له خشوعاً وإنابة علم انه يتقرب الى الغاية التي خلق لأجلها ، الا وهى معرفة الله جلت قدرته .

هل شعرت في صلاتك بانجذاب نحو المبدأ الأعلى وحبور وسرور من جراء هذا الانجذاب اللاهوتى ؟

هل دمعت عيناك وانت في صلاتك عند تلاوة بعض الآيات من كتاب الله المجيد ؟ . وهل عرجت نفسك اثنـــاء القنوت وانت رافع يديك نحو السماء الى معالم قدسية تفوق حدود الوصف والتعريف ؟

وهل أحسست عنـد قراءتك دعاء كميل ليلة الجمعة وانت تناجي ربك عن قريب ، ذليلا ، خاشعاً ، معترفاً بذنوبك ، ودموعك تنهمل على خديك ندما وتأسفاً بانجذاب روحي نحو الله الذي لا تتناهى عظمته . فزدت فرحا لا يشبه أفراح الدنيا المشوبة الزائلة في شيء ؟ .

وهل شعرت بعد الانتهاء من دعاء كميل كأن حملا قـد وضع عن كاهلك ، وقد أصبحت فى عالم آخر قد رفع عنك أوزار الذنوب والآثام ورفع عنك الحجاب على قـدر معرفتك بالله المتعال . . أو بالأحرى

على قدر طهارة نفسك ؟

وهل حضرت المآتم الحسينية ، فصرت تذكر تلك التضحية الغالية التي عجز عنها الانبياء (ع) ، تذكر مناجاة أصحاب الحسين (ع) في ليلة العاشر من محرم ولهم دوّى كدوّي النحل بين راكع وساجد وقائم وقاعد ؟ هل ذكرت كيف يستسقى عليه السلام لطفله الرضيع والقوم أبوا أن يرحموه ، فقال (ع) : « هوّن علىَّ ما نزل بى أنه بعين الله » وانهملت دون ارادة منك دموعك ، فدخلت في ذلك العالم الروحانى الرقيق الذي كان قد دخل فيه أصحاب الحسين عليهم السلام ليلة العاشر من محرم ويومه ؟

وهل وُفقتَ ان تقوم جوف الليل وتصلى ركعات ثم تناجي ربك بقلب ملؤه الاخلاص وقد اغرورقت عيناك بالدموع حزناً على ما فرطت في جنب الله ، وفرحاً بهذا المثول اللاهوتى ، المثول بين يدي رب العالمين ، وصرت تفكر فى عوالم الآخرة وعظمة الله تعالى وموقفك الضئيل منه ، وشعرت اذ ذاك انك تدخل فى عالم جديد ، عالم بعيد عن عالم المادة الحالك كل البعد ، عالم كله صفاء وعلو وارتفاع ؟

وهل وُفقتَ ان تخاطب الله تعالى فى قنوتك قبيل الفجر قائلا بكل خشوع واسترحام : « الهى أسأت وظلمت نفسي وبئس ما صنعتُ وهذه يداي يا رب جزاءاً بما كسبت وهذه رقبتي خاضعة لما أتيت وها أنا ذا بين يديك ، فخذ لنفسك من نفسي الرضا حتى ترضى ، لك العتبى ، لا اعود . . . ثم ، تقول وقد ملئت حزناً وبكاءاً وندامة

هذا مقام العائذ بك من النار (٧ مرات) ؟ .

وهل ناجيت الله تبارك وتعالى ، بعد الانتهاء من صلاة الليل ، صلاة المتهجدين ، الخاشعين ، صلاة المستغفرين بالأسحار (١) قائلا : « الهي غارت نجوم سماواتك وهجعت عيون أنامك وأبوابك مفتحات للسائلين ، جئتك لتغفر لي وترحمني وتريني وجه محمد صلى الله عليه وآله في عرصات يوم القيامة ، ثم تبكي وتقول ـ كما كان يفعل إمامنا زين العابدين عليه السلام ـ وعزتك وجلالك ، ما أردت بمعصيتي مخالفتك وما عصيتك اذ عصيتك وانا بك شاك ولا بنكالك جاهل ، ولا لعقوبتك متعرض ، ولكن سولت لي نفسي واعانني على ذلك سترك المرخى عليَّ فالآن من عذابك مَن يستنقذني وبحبل مَن اعتصم ان قطعت حبلك عني ، فواسوأتاه غداً من الوقوف بين يديك اذا قيل للمخفين جوزوا والمثقلين حطوا ، أمع المخفين اجوز ، ام مع المثقلين أحط ، ويلي ، كلما طال عمري كثرت خطاياي ولم أتب ، اما آن لي أن استحيي من ربي ، وتبكي وتقول :

أتحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي ثم أين محبتي
أتيت بأعمال قباح زرية ومافي الورى شخص جنى كجنايتي

وهل خاطبت الله تعالى يوماً في معزل عن الناس وناجيته مناجاة

---

(١) « الذين يقولون : ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار » . (سورة آل عمران : ١٦ ـ ١٧) .

التائبين ، قائلا : « الهى البستنى الخطايا ثوب مذلتي ، وجلانى التباعد منك لباس مسكنتى وامات قلبي عظيم جنايتي ، فأحيـــه بتوبة منك يا أملي وبغيتى ويا سؤلي ومُنيتى ، فوعزتك ما أجد لذنوبي سواك غافراً ، ولا أرى لكسري غيرك جابرا ، وقـد خضعت بالانابة اليك وعنوت بالاستكانة لديك ، فان طردتني من بابك فبمن الوذ ، وان رددتني عن جنابك فبمن أعوذ . . . . الخ » .

فدخلت فى عالم جديد من عوالم القدس ، قد رفع الحجاب اذ ذاك بينك وبين خالق السماوات والارضين وبلغت مرتبة مرموقة من اليقين .

وهل تلوت القرآن قُبيلَ الفجر بصوت حزين ، مفكراً في آياته ، متدبراً معانيه ، وقد ألهمت من جانب الله تعالى معاني جديدة لم تكن تتلقاها فى وقت آخر او بالتعلم ، وقـد عرجت بك هذه المعاني الى عوالم سامية رفيعة يستحيل بيانها وشرحها باللسان والبنان ؟ .

وهل وقفت مع الحجاج يوم عرفة عند العصر عندما تأخذ الشمس بالأفول وقرأت دعاءاً كان يقرأه ابو عبد الله الحسين عليه السلام : بخشوع وخضوع ودموع . فترى كيف ان النفس تخرج من عوالم الناسوت صاعدة نحو عوالم الملكوت ، وكيف تخرج من حضيض المـادة العمياء الى العالم العلوي ، الى معالم القدس ، فتسبح فى عوالم قدسية ليس لهذه الألفاظ ان تعبرّ عنها ، فقد بلغت من القدسية مرتبة تفوق تعبير المعبرين وبيان البلغاء المفوهين ؟ .

وهل وفقت الى خدمة جارك المريض من اول الليل الى السحر .

تجلب له الطبيب وتقدم له الدواء وتسليه وتداريه وتقرأ له الادعية المأثورة للشفاء وخالفت هواك في ميلها الى الراحة والنوم . كل ذلك طلبا لمرضاة الله وشعرت اذ ذاك براحة الضمير وحبور ناصع لا يشبهه أي حبور ، حبور يسمو على البيان والتعبير ، فكنت مصداق هذا الحديث النبوي : « من سرته حسنته وأساءته سيئته فذلكم المؤمن » فبلغت إذ ذاك مرتبة مرموقة من الايمان تقارب مرتبة اليقين : ان الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين » (١) .

وهل وفقت ان تذهب من تلقاء نفسك الى قرية من القرى لوجه الله دون ان تعلم احداً بذلك ، فتجتمع بالمؤمنين وتستعين بهم في هداية الشباب الى دين الله القويم ، ودفع ما يختلج في صدورهم من شبهات جاءت من دسائس المستعمرين وكيد الكائدين . فتنور قلوبهم بعالم الدين وسنة سيد المرسلين والأئمة الاطهار سلام الله عليهم أجمعين ؟

كل ذلك من عوالم القدس يقربك الى سعادة حقيقية ، سعادة فيها الزلفى والقربى من الساحة الملكوتية وهي غاية الغايات .

ليست السعادة فى نيل أموال طائلة وقصور مشيدة وجاه ورئاسة الى ما هنالك ، فقد قال الله تعالى : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » (٢) . وفى الحديث ، عن أبي الحسن (ع) انه ذكر رجلا فقال : انه يحب الرئاسة

---

(١) سورة هود : ١١٥

(٢) القصص : ٨٣

فقال : ماذئبان ضاريان (١) في غنم تفرق رعا ، ، ، من الرئاسة (٢) .

وعن أبي عبد الله (ع) : قال : من طلب الرئاسة هلك .

وعن عبد الله بن مسكان ، قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : إياكم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون ، فو الله ، ما خفقت النعال خلف رجل الا هلك وأهلك .

وقد قال أبو عبد الله عليه السلام : ملعون من ترأس ، ملعون من همّ بها ، ملعون من حدث بها نفسه (٣) .

وعن أبي حمزة الثمالي ، قال : قال لي ابو عبد الله (ع) : إياك والرئاسة وإياك ان تطأ أعقاب الرجال ، قال : قلت : مجعلت فداك ، اما الرئاسة فقد عرفتها ، واما أن أطأ أعقاب الرجال ، فما ثلثا مافي يدي الا مما وطئت أعقاب الرجال ، فقال لي ليس حيث تذهب ، إياك ان تنصب رجلا دون الحجة ، فتصدقه في كل ما قال .

عن أبي الربيع الشامي ، عن ابي جعفر عليه السلام : قال : ويحك يا أبا الربيع ، لا تطلبن الرئاسة ولانك ذئباً . ولا تأكل بنا الناس ، فيفقرك الله ، ولا تقـــل فينا مالا نقول في أنفسنا ، فانك موقوف ومسؤول لا محالة ، فان كنت صادقاً صدقناك ، وان كنت كاذبا كذبناك .

---

(١) الضاري : من الحيوانات كالاسد والنمر .

(٢) اصول الكافي ج ٢ / ٢٩٧

(٣) اصول الكافي — ج ٢ ، ص / ٢٩٨ ، ط : طهران .

وعن ابن مياح عن أبيه ، قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : من اراد الرئاسة هلك .

وعن محمد بن مسلم ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : أترى لا أعرف خياركم من شراركم . بلى والله وان شراركم من أحب ان يوطأ عقبه ، انه لابد من كذاب او عاجز الرأي .

انما تتحقق السعادة فى قطع مراحل في عوالم التقوى والتزكية ، مراحل تقرب هذا الانسان الى ربه المتعال ، توصله الى الغاية التي خلقه الله لأجلها .

« والسابقون السابقون ، اولئك المقربون ، في جنات النعيم » (١) .

ليست السعادة على ما جاء في بعض كلمات فلاسفة الغرب : ان يتناول الانسان صبيحة يوم ممطر بارد أشد البرد كوبا من الحليب على فراش وثير فى غرفة دافئة ، انها نظرة مادية حالكة سخيفة ، توصل الفرد الى الحضيض » . لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ، ثم رددناه اسفل سافلين ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فلهم أجر غير ممنون » (٢) .

* * *

فالسعادة ان تُصلح ما بك من صفات وقوى على وجه يريده الله ، تصلحها جميعاً دون تبعيض وبصورة دائمة ، حتى تتكون فيك عادة متأصلة

---

(١) سورة الواقعة : ١٠ ـ ١٢

(٢) سورة التين : ٤ ـ ٦ .

لا تغيرها الاحوال والأزمان ، ولا تزول مع الحوادث والمصائب . فيقينك اذ ذاك ثابت لا تؤثر فيه الشبهات ، وشكرك دائم لا يزول مع المحن والنوائب . وصبرك حاكم لا يزول مع الفتن والأحداث ، واحسانك أبدي لا يزول بالاساءة ، وصداقتك مستقرة لا تزول بالعداوة ، فالسعيد من تطهر من جميع الخبائث الجسمانية والاقذار الحيوانية ، فلا يحوم حوله شيء من العوارض الطبيعية (١) ، انه ممتلىء من الأنوار الالهية والمعارف الحقيقية ، فعلينا ان نتأسى برسول الله (ص) لنيل بعض هذه المراتب « ولكم في رسول الله أسوة حسنة » . فمن بلغ هذه المرتبة فقد فاز بالبهجة الالهية واللذة الحقيقية ، لذة تفوق اللذات بأسرها ، وانتعاش نفسي لا يدنو منه أي انتعاش .

السعادة لحظات انخطاف تحلق بالنفس البشرية وراء حدود المكان والزمان . فتضع عنها آصار المادة وتحررها من اوضار الحقد والاثرة فلا ترى الا الجمال ولا تستشعر سوى الحب .

فاذا هي واقع يعيشه المؤمن سلاما لا قلق فيه ، وغبطة لا كدر معها وطهرا روحيا لا يتسلل اليه ضغن .

واية غبطة يمكنها ان تضاهي تلك التي يستشعرها المؤمن هناك ؟

وفي هذه الغمار النورانية يعيش الانسان آمن السرب ، مطمئن القلب ، خالي الذهن من كل شاغل يصرفه عن الاستغراق في ملكوت الله .

أو ليس في هذا السلام والطمأنينة والاخوة الضالة التي يفتش عنها

---

(١) جامع السعادات ج ١ / ١٤٧

المفكرون ، ويتلهف اليها الحزانى والمعذبون .

فالانسان باخذه المعارف الالهية واقتفاء الفضائل الخلقية يعرج الى أفق الملائكة .

ولنصغ الى موعظة اخلاقية للشيخ الفاضل احمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه : الاستاذ في علم الاخلاق وأقـدم المسلمين فى تدوينه . انه يقول :

« اني تنبهت من نوم الغفلة بعد الكبر واستحكام العادة ، فتوجهت الى فطام نفسى عن رذائل الملكات وجاهدت جهاداً عظيماً حتى وفقني الله لاستخلاصها عما يهلكها ، فلا ييأسنّ احد من رحمة الله ، فان النجاة لكل طالب مرجوة وأبواب الافاضة ابدا مفتوحة .

« فبادروا إخواني الى تهذيب نفوسكم قبل ان يصير الرئيس مرؤوسا والعقـل مقهوراً . فيفسد جوهركم وتمسخ حقيقتكم ويدرككم الانتكاس في الخلق الذي هو خروج عن افق الانسان ودخول في زمرة البهائم والسباع والشياطين نعوذ بالله من ذلك ونسأله العصمة من الخسران الذي لا نهاية له . وقد شبه الحكماء من أهمل سياسة نفسه الغافلة بمن له ياقوتة شريفـــة حمراء فرماها في نار مضطرمـــة فيحرقها ، حتى تصير كلساً لا منفعة فيها » (١) .

فطوبى لنفوس عاشت ما ذكرنا من عوالم قدسية ، فبلغت في عوالم

---

(١) جامع السعادات . ج ١ / ص : ٤٩ ، من كلام المولى محمـد مهدي النراقى

القدس مقامات رفيعة ، وتخلصت من ادرانها وأوضارها ، فشعرت حبورا فوق حدود الوصف بهذا الاتصال اللاهوتي واطمأنت بأذكارها واورادها ومثولها بين يدي رب العباد ليل نهار . « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » فاصبحت من النفوس المطمئنة ، بعد ان كانت لوامة ، فصار لها أنوار قدسية يمن بها الله على المطهرين من عباده الصلحاء : « أوَ من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها . كذلك ، زين للكافرين ما كانوا يعملون » (١) .

وطوبى لنفوس بلغت من الصفاء والجلاء حتى استفادت من الانوار الالهية والالهامات الحقة الربانية . وحصلت على علم هو « نور يقذفه الله في قلب من يشاء » . فكانت مصداق قول علي عليه أفضل الصلاة والسلام . حيث يقول :

« ان من احب عباد الله اليه عبداً اعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف . فزهر مصباح الهدى فى قلبه » الى ان يقول : « قد خلع سرابيل الشهوات . وتخلى من الهموم الا هما واحداً انفرد به فخرج من صفة العمى ومشاركة اهل الهوى ، وصار من مفاتيح ابواب الهدى . ومغاليق ابواب الردى ، قد أبصر طريقه وسلك سبيله وعرف مناره ، وقطع غماره (٢) ، واستمسك من العرى بأوثقها ومن الجبال

---

(١) سورة الانعام : ١٢٢

(٢) غمرة الشيء ، شدته ومزدحمه ، جمعه : غمرات وغمار ومنه غمرات الموت أي : مكارهه وشدائده .

بأمتنها فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس » .

ويقول عليه السلام في كلام آخر .

« قد أحيى قلبه وأمات نفسه حتى دق جليله ولطف غليظه ، وبرق له لامع كثير البرق ، فأبان له الطريق وسلك به السبيل ، وتدافعته الابواب الى باب السلامة ودار الاقامة ، وتثبت رجلاه لطمأنينة بدنه في قرار الأمن والراحة بما استعمل قلبه وأرضى ربه » .

العلوم الكونية في القرآن

سؤال :

دارت بيني وبين أحد الاخوان مناقشة حول الاختراعات الحديثة : الميكانيكية التي توصل اليها المخترعون على مختلف جنسياتهم ، مما دعا أحدنا ان يقول : ان لهذه المخترعات علاقة وثيقة بالقرآن الكريم ، وان هؤلاء المخترعين لم يتوصلوا الى ما توصلوا اليه لولا القران الكريم ، وقال الآخر عكس ذلك . نرجو توضيح هذا . واليكم قسماً من الاختراعات التي دارت المناقشة حولها :

التلفزيون ، الطائرة ، الراديو ، التلفون .

داود السعدون

بسم الله الرحمن الرحيم

الجواب :

ليس القرآن الكريم كتاباً يبحث عن علم الميكانيك العملي او الرياضي والكيمياء الصناعية أو العضوية أو علم الفيزياء النظرية أو العملية أو علوم اخرى لها علاقتها بالمخترعات الحديثة ، ذلك لأن هذه العلوم تستند الى مقدمات مفصلة وكثيرة يحتاج شرحها وبيانها الى آلاف الصفحات ، وان تاريخ العلوم يشرح لنا جانباً منها ، وما اكتشف فى الميكانيك أو الفيزياء أو الكيمياء قليل جداً بالنسبة الى ما اودع الله من قوانين كونية فى هذا الكون الرحيب . وان العلماء الكونيين ليعترفون بذلك فهم كلما اكتشفوا شيئاً نادوا بأعلى اصواتهم : انهم أمسوا امام اودية من المجاهيل ! حتى انهم ليشكوّن فى بعض ما اكتشف من قوانين لحد الآن ، ويرونها لا تنطبق إلا فى مجال محدود ، ولذلك عمد آينشتين الى تصحيح دساتير (نيوتون) في الجاذبية .

فلو أراد الله تعالى تعليم البشر العلوم الكونية أو المادية لاحتيج في تدوينها الى ما لا يتناهى من الصفحات ، ذلك لان ما اودع الله من خواص وصفات وكيفيات وقوانين ودساتير في ربط اجزاء هذا العالم المادية بعضها ببعض وانقلاب هـذه المادة الى طاقات أو الطاقات الى مادة الى ما هنالك من تفاعلات ومفاعلات تكاد لا تتناهى ، حسب

قوله تعالى : « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا » . (سورة الكهف : ١١٠)

ولكنه تعالى جهز العقل الانساني بقابليات وقوى من استنتاج واستقراء وتجريد وتعميم وتخيل وتصور وتداعي الافكار الى ما هنالك كي يتمكن الانسان بمعونتها من كشف ما يجهله باذن الله تعالى . على ان الصدفة تلعب دوراً كبيراً في المخترعات ، وليست الصدفة إلا يداً ربانية تهيىء للمخترع مصادفات تتجلى له كثير من الحقائق والصفات والحالات بل والدساتير .

وقد قال عز من قائل : « وعلم آدم الاسماء كلها (١) » وهذه الاسماء هي القابليات المكنونة في العقل الانساني والتي بها يتمكن من الكشف والاكتشاف باذن الله تعالى .

وهذا (پوانكاره) من اعاظم رياضيي فرنسا كان يقول : ان ريشة سحرية كانت تملي عليّ المعادلات وطرق الحل والدساتير . وبمثل ذلك كان يقول : أينشتين : اعلم علماء القرن العشرين .

ان القرآن ليس كتاب جبر أو هندسة أو الحساب التمامي والتفاضلي ، وانما هو مجموعة دساتير تهدي هذا البشر سواء السبيل : سبيل لا يقوى اعظم الفلاسفة أن يحدها أو يعينها ، لان نفس هذا الفيلسوف متأثرة بمحيطه وبيئته . فنفسه نفس غير متكاملة ، وأنى لنفس

---

(١) سورة البقرة : ٣١

غير متكاملة ان تأتي بدساتير كاملة لاسعاد البشر في النشأتين . ولذلك كان من لطف الله ان يرسل انبياء مبشرين ومنذرين لهداية البشر واسعادهم في النشأتين عملا بسنة الكمال ، ذلك لان الكمال ضارب باطنابه في عوالم المادة أي في كل ما خلق الله تعالى في هذا الكون المادي ، ولا ينبغي ان يشذّ هذا الانسان عن هذا الكمال ، ذلك لان الله تعالى وهو الكامل على الاطلاق لا يصدر منه الا الكمال . فأرسل الانبياء وانزل معهم الكتب المقدسة تحقيقاً لسنة الكمال وتعميماً لتحقق الكمال فى كل ما خلق من نفوس وارواح ومواد الى ما هنالك .

وان قوله تعالى « ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين » (١) أي ما من شيء إلا وعلمه عند الله تعالى او فى اللوح المحفوظ ولا يراد في الآية من (كتاب مبين) القران حتى نقول : ما من علم إلا وهو في القرآن .

فالقرآن كتاب تهذيب وهداية ، كتاب تزكية وتطهير لنفوس البشر الضالة . وهو القائل : « هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (٢) .

« هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » (٣) .

---

(١) سورة الانعام : ٥٩

(٢) سورة التوبة : ٣٤

(٣) سورة الجمعة : ٢

القرآن موصل هذا الانسان الي ما لا عين رأت أو اذن سمعت أو خطر على قلب بشر . القرآن يوصل البشر ـ لو عمل به ـ الى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين .

فى القرآن آيات جمة تبلغ ٧٥٠ آية تعطينا عصارات العلوم الحديثة وما توصلت اليه المكتشفات في شتى النواحي وما ستصل اليه في المستقبل فقد قال ابن عباس : « ان في القرآن معاني سيكشفها الزمن » .

كان العلم الحديث يجهل الى قبل ٥٠ عاماً أن للشمس حركة خاصة بها ، ولكن القرآن كان ينادي منذ ١٤ قرناً : « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » . حتى اذا تقدمت العلوم الرياضية بما فيها الميكانيك الرياضي واخترعت تلسكوبات كبيرة جداً علموا ان الشمس تتحرك فى الفضاء بحركة لولبية أي تسير فى الفضاء بسرعة قدرها ٧٢٠٠٠ كيلو متر في الساعة على وجه التقريب نحو نجمة تسمى بالنسر الواقع على شكل لولبي (المنحنى اللولبي) ، فالقرآن فى علومه سابق للعلم الحديث ولكن باعطاء النتيجة النهائية دون شرح المقدمات والدساتير والمعادلات كما في كتب الفلك العالي والميكانيك السماوي وغيرهما .

كان يقول القرآن بحركة الارض قبل (كوبرنيك وكبلر) و (گاليلة) بقرون وذلك بقوله :

« وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء » (١)

---

(١) سورة النمل : ٨٨

كذلك ، ما كان البشر يعلم ان الزوجية متحكمة بأمر الله في كل شيء ، حتى الجماد ، حتى اذا اكتشف بطن الذرة وعلم أن ذرة كل عنصر من العناصر من هايدروجين وهليوم وكالسيوم واورانيوم .. الخ تتألف من الكترون : كهربائية سالبة وبروتون : كهربائيـــة موجبة ونيوترون : كهربائية متعادلة . وان الالكترون يدور بسرعة فائقـــة حول البروتون فالالكترون بمثابة الانثى والبروتون بمثابة الذكر . ولكن الله قد ذكر ذلك منذ قرون في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بقوله جل من قائل : « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » وبقوله : « سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون » فالذي ما كان يعلمه البشر ثم علمه باذن الله هو هذه الزوجية فى الجماد أو العناصر أي الذرات برمتها .

وكذلك بالنسبة الى تشكل الامطار في قوله تعالى « ألم تر ان الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما » والتأليف هو الكهربائية التي تلعب دوراً هاماً فى هطول الامطار على حد قوله تعالى : « وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماءاً وما انتم له بخازنين » ، فهذا التلقيح هو التلقيح الكهربائي بين سحابة وسحابة او بين ذرات بخار المـــاء لقوله تعالى بعد : ارسلنا الرياح : (فأنزلنا من السماء ماءاً) فنزول الماء من السماء متوقف على هذا التلقيح الكهربائي . وهذا من مكتشفات القرن العشرين .

وهناك آيات اخرى كثيرة لا مجال الى ذكرها تنبيء عن آخر ما توصل اليه العلم الحديث . وآيات اخرى لا يزال المراد الحقيقي منها مجهولا الى ان يتقدم العلم المادي اشواطاً اخرى كي يعلم البشر حقيقتها والمراد منها . وكفى بالقرآن معجزة انه قد سبق العلم الحديث بآيات بينات هي عصارة العلم الحديث وما سيكتشفه الانسان باذنه تعالى فى مستقبل قريب أو بعيد .

هل يجوز لنا ان نقول : « رجل عظيم »

سؤال يسأله احد المؤمنين قائلا : هل من الجائز ان يقال : (رجل عظيم) مع العلم ان العظمة خاصة بالله تعالى ، لا يشاركه فيها احد .

الجواب : العظمة على نوعين : عظمة لا تتناهى وهي عظمة الله تعالى فى كل شيء : فى القدرة والعلم والهيمنة والسلطان والرحمة وهو القائل (ورحمتي وسعت كل شيء) (١) لذلك لا يقاس علم الانسان المحدود بعلم الله الذي لا يتناهى ، وقد قال جل من قائل : (ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم) (٢)

فلو فرضنا علم الانسان = ب ، فيكون علم الله تعالى = ∞ (لا نهاية) ونسبة علم الانسان الى علم الله = $\frac{ب}{\infty}$ ومعلوم ان مآل هذا الكسر الذي مخرجه غير متناه هو الصفر . فلا قيمة لعلم الانسان تجاه علم الله غير المتناهي .

---

(١) سورة الاعراف : ١٥٥ (٢) سورة لقمان : ٢٧

وكذلك القول بشأن قدرة الله تعالى وبقية صفاته التي هي عين ذاته . ذلك لان صفات الله من علم وقدرة و ... غير مكتسبة . كصفات الانسان التي تكتسب بالتدريج اما بالتعلم ، او بالتمرين والممارسة . فالانسان عالم بالاكتساب وبالهام من جانب الله تعالى .

واما قولنا : رجل عظيم ، فهذه عظمة محدودة ، مقتضبة ، عظمة نسبية ، بالنسبة الى عظمة اناس آخرين . ومعنى ذلك : ان ملكات هذا الرجل وقابلياته واستعداده اعظم أو اكثر من اقرانه فيسمى عظيما بالنسبة الى افراد آخرين محدودي العظمة . كما يقال : دار عظيمة بالنسبة الى دور اخرى . أو شجرة عظيمة بالقياس الى اشجار اخرى . وما دمنا نقصد المحدودية في قولنا : رجل عظيم ، فليس هنالك أية حرمة في ايراد هذا الوصف النسبي . مع العلم انه لا عظيم بصورة لا نهائية الا الله تعالى .

وهكذا قولنا : الله اكبر . فلا نقصد من لفظ : اكبر ، ما جاء في صيغة افعل التفضيل ، انما نقصد : ان لا شيء اكبر من الله دونما قياس وينتفي وينعدم مفهوم القياس في هذا المقام . ولا تتحقق اللانهائية بصورة حقيقية الا في الله تعالى وكل ما في الكون من فضاء ومجرات ونجوم وطاقات محدود بالنسبة اليه تعالى . وهو الذي خلقها وانشأها ورطها بدساتير ومعادلات رياضية رصينة تدهش الالباب : (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) (١) . وجميع ما هنالك من قابليات وصفات ، وطاقات

---

(١) سورة الملك : ٣

ونظم وكفاءآت في الجماد والنبات والحيوان والانسان وغيرها إنما هي من جانب الله تعالى وعظيم رفده وكمال لطفه .

لذلك يقول امامنا ومولانا سيد الساجدين علي بن الحسين عليهما السلام في دعاء علمه أبا حمزة الثمالي مخاطباً رب العباد : « من أين لي الخير ولا يوجد إلا من عندك » .

وبما ان الله تعالى لا نهائي ، فليس لأي انسان مهما سما في عوالم القدس ان يعرف الله تعالى حق المعرفة . ذلك لانه يستحيل على المحدود وهو الانسان : المحدود في جميع قابلياته وملكاته ، ان يحيط بغير المحدود وهو الله تعالى .

لذلك يقول رسول الله (ص) : « لا احصي ثناءاً عليك ، أنت كما اثنيت على نفسك » .

وقال علي (ع) : « الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد ، ولا تحويه المشاهد ، ولا تراه النواظر ولا تحجبه السواتر ، الدال على قدمه بحدوث خلقه وبحدوث خلقه على وجوده وباشتباههم ان لا شبهَ له » .

فعبثاً يحاول المادي ان يرى الله تعالى فى مختبره او مخبره Tube وهو محدود في مختبره ومخبره وعقله وكفاءاته . إنما يعرف الله بعقله : ذلك العقل الذي قد اودع الله فيه غريزة السؤال والعلية والسببية ، بحيث يسأل عن سبب حدوث كل شيء وعن الخواص والقوانين المترتبة بعضها على بعض . وكذلك عن المعادلات والدساتير الرياضية والقوانين التي تربط

اجزاء العالم من الذرة فصاعداً بعضها ببعض فيعزو كل ذلك الى الله المتعال ، لو كان هذا العقل باقياً على فطرته ، لم تفسده او تحرفه نفس جامحة شريرة بذنوبها وآثامها ، والا انقاد الى ما يمليه عليه شيطانه ، من الشكوك والريب والجحود . الى ما هنالك .

« ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين . وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين » (١)

« إنا جعلنا الشياطين اولياءَ للذين لا يؤمنون » (٢)

---

(١) سورة الزخرف : ٣٦ ـ ٣٨

(٢) سورة الاعراف : ٢٧

علي عليه السلام والتقويم

جاء احد علماء بني اسرائيل علياً عليه الصلاة والسلام وسأل ما مؤداه :

لماذا جاء فى قرآنكم ان مدة لبث اصحاب الكهف في كهفهم : ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا . من سورة الكهف . وذلك في الآية : ٢٥ « ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا » ولم يقل : ثلاث مائة وتسع سنين ، وفى كتبنا ان مدة لبث اصحاب الكهف في الكهف : ثلاث مائة سنة فقط .

فأجاب علي (ع) دونما تفكير : « سنوكم شمسية وسنونا قمرية » .

ومعنى ذلك ان الله جمع فى عبارة موجزة بين نوعين من السنين ، سنين شمسية وهي ٣٠٠ سنة وسنين قمرية المعادلة للسنين الشمسية وهي ٣٠٩ سنين .

توضيح ذلك : ان اليهود كانوا يعتبرون السنة الشمسية ٣٦٥ يوماً وان السنة القمرية تعتبر ٣٥٤ يوماً و ٨ ساعات و ٤٨ دقيقة .

وقد علم الاقدمون بعد تجارب عدة واختبارات شتى ان الفترة الزمنية بين هلالين متواليين هي ٢٩ يوماً و ١٢ ساعة و ٤٤ دقيقة .

فعليه لو ضربنا هذه الفترة الزمنية بين هلالين فى ١٢ أي :

١٢ × (٤٤ دقيقة / ١٢ ساعة / ٢٩ يوما) = ٤٨ دقيقة / ٨ ساعة / ٣٤٥ يوماً وإن ٣٠٠ سنة على ما كان معتبراً عند اليهود لتعادل :

٣٠٠ × ٣٦٥ = ١٠٩٥٠٠ يوم

و ٣٠٩ من السنين القمرية دون ملاحظة الكسر تساوي ٣٠٩ × ٣٥٤ = ١٠٩٣٨٦ يوما

وبما ان ٨ ساعات و ٤٨ دقيقة تعادل $\frac{١١}{٣٠}$ من اليوم الواحد .

فلنكرر $\frac{١١}{٣٠}$ ، ٣٠٠ مرة ايضاً

$$٣٠٠ \times \frac{١١}{٣٠} = ١١٠ \text{ ايام}$$

وبما ان في السنوات القمرية تحسب السنة الثانية والخامسة والسابعة والعاشرة كبيسة أي عدد ايام سنتها ٣٥٥ يوماً ، اذن في ٩ سنوات قمرية توجد ٤ سنين كبيسة ، لأن السنة التاسعة اقرب الى العاشرة اذن :

١٠٩٣٨٦ + ١١٠ + ٤ = ١٠٩٥٠٠ يوم

وهكذا يكون عدد ايام ٣٠٠ سنة شمسية مساوياً لعدد ايام ٣٠٩ سنة قمرية دونما فرق . (١)

---

(١) مترجمة عن مجلة (مكتب الاسلام) الصادرة في قم

ليلة ميلاد الحسن عليه السلام

ما ابهجها من ليلة وما أسعدها . انها ليلة يولد فيها أول السبطين سيدي شباب أهل الجنة وريحانتي رسول الله (ص) وأحد الخمسة اصحاب العباء .

فلما ولد عليه السلام قالت فاطمة (ع) لعلي (ع) : سمه ، فقال : ما كنت لأسبق رسول الله (ص) في تسميته ، فجاء النبي (ص) ، فأخرج اليه في خرقة صفراء ، فرمى بها وقال : ألم انهكم ان تلفوا المولود فى خرقة صفراء ، وأمر أن يلف فى خرقة بيضاء ، وسرّه (قطع سرته) وألباه بريقه (١) كما يصب اللبا في فم الصبي وقال : اللهم اني اعيذه بك وولده من الشيطان الرجيم ، وأذنّ في أذنه اليمنى وأقام فى اليسرى .

وعقّ رسول الله (ص) عن الحسن بيده ، وقال : بسم الله ، عقيقة عن الحسن ، وقال : اللهم عظمها بعظمه ، ولحمها بلحمه ، ودمها بدمه ، وشعرها بشعره ، اللهم اجعلها وقاءاً لمحمد وآل محمد ، وتصدق بزنة شعره فضة .

---

(١) أي صبه فى فمه .

وكان الحسن (على ما جاء في الارشاد للمفيد عليه الرحمة) أشبه الناس برسول الله (ص) خلقاً وهيأة وهدياً وسؤدداً .

وكان الحسن (ع) أعبد الناس فى زمانه وأزهدهم وأفضلهم ومن أوسع الناس صدراً وأسجحهم خلقاً .

وكان عليه السلام ، اذا حج حج ماشياً وربما مشى حافياً ، وكان اذا ذكر الموت بكى واذا ذكر القبر بكى واذا ذكر البعث والنشور بكى واذا ذكر العرض على الله تعالى شهق شهقة يغشى عليه منها ، واذا قام في صلاته ترتعد فرائصه وكان اذا ذكر الجنة والنـــار اضطرب اضطراب السليم وسأل الله الجنة وتعوذ بالله من النار .

وكان لا يقرأ من كتاب الله عزوجل : (يا ايها الذين آمنوا) الا قال : لبيك ، لبيك ، اللهم لبيك .

وكان عليه السلام : اذا توضأ ارتعدت مفاصله واصفر لونه ، فقيل له فى ذلك ، فقال : حق على كل من وقف بين يدي رب العرش أن يصفر لونه وترتعد مفاصله وكان اذا بلغ باب المسجد ، رفـع رأسه وهو يقول : إلهي ضيفك ببابك ، يا محسن قد أتاك المسيء ، فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عنـدك يا كريم . . . كل ذلك لان النفس القدسية تخاف الله الى حد بعيد ، فتزداد علماً ومعرفة بالله تعالى وقد جاء فى الحديث : « اعلمكم بالله اخوفـكم له » .

وكان رسول الله (ص) يحب الحسن والحسين حباً جماً ، وهو

القائل : من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة ،

وروى الترمذي بسنده عن أسامة بن زيد في حديث : أن الحسنين كانا على وركي رسول الله (ص) فقال : هذان ابناي وابنا ابنتي ، اللهم اني احبهما ، فأحبهما وأحب من يحبهما .

وكان رسول الله (ص) يصلي ، فاذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره ، فاذا ارادوا ان يمنعوهما أشار اليهم أن دعوهما ، فاذا قضى الصلاة وضعهما في حجره ، فقال من أحبني ، فليحب هذين .

وقد قال رسول الله (ص) : ان الجنة تشتاق الى اربعة : علي وفاطمة والحسن والحسين .

وان هذه الواقعة لتدل على ما للحسن والحسين من كرامة عند الله تعالى وذلك أن الحسن والحسين (ع) اصطرعا بين يَدَي رسول الله (ص) فقال رسول الله : ايها حسن خذ حسيناً ، فقالت فاطمة : يا رسول الله أتستنهض الكبير على الصغير ، فقال (ص) : هذا جبرائيل يقول : إيها حسين ، خذ حسناً .

وقال مدرك بن زياد لابن عباس وقد أمسك الحسن ثم للحسين بالركاب وسوى عليهما ثيابهما ، أنت أسن منهما ، تمسك لهما بالركاب ، فقال : يا لكع وما تدري من هذان . هذان ابنا رسول الله (ص) أوَ ليس مما انعم الله عليّ به أن امسك لهما وأسوّى عليهما .

وان هذه الحادثة تعلمنا آداب التعليم والجمال الاخلاقي وتوقير الكبير :

روي أن الحسن والحسين عليهما السلام مرّا على شيخ يتوضأ ولا يحسن الوضوء ، فاظهرا تنازعاً ، يقول كل منهما للآخر ، أنت لا تحسن الوضوء ، وقالا : ايها الشيخ كن حكماً بيننا ، فتوضئا وقالا أينا يحسن الوضوء . فقال الشيخ : كلاكما تحسنان الوضوء ، ولكن هذا الشيخ الجاهل هو الذي لم يحسن وقد تعلم الآن منكما وتاب على يديكما ببركتكما وشفقتكما على امة جدكما .

ومن سخاء الحسن (ع) انه قاسم الله ماله ثلاث مرات وخرج من ماله مرتين وقد روى ابن شهراشوب في المناقب : ان رجلا سأله فأعطاه خمسين الف درهم وخمسمائة دينار وقال إئت بجمال يحمل لك ، فأتى بجمال ، فأعطاه طيلسانه وقال : هذا كرى الجمال .

وقد خرج الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر حجاجاً ففاتتهم اثقالهم ، فجاعوا وعطشوا فرأوا عجوزاً في خباء فاستسقوها ، فقالت : هذه الشويهة ، احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا واستطعموها ، فقالت : ليس الا هذه الشاة فليذبحها احدكم ، فذبحها احدهم وكشطها ، ثم شوت لهم من لحمها فأكلوا وقالوا (١) عندها . فلما نهضوا قالوا ، نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه ، فاذا عدنا فألمي بنا ، فانا صانعون بك خيراً ثم رحلوا ، فلما جاء زوجها اخبرته ، فقال . ويحكِ ، تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم . ثم تقولين نفر من قريش ، ثم مضت الايام ،

---

(١) أي ناموا عند الظهيرة

فأضرت بها الحال فرحلت حتى اجتازت بالمدينة ، فرآها الحسن (ع) فعرفها ، فقال لها : أتعرفينني ؟ قالت . لا ، قال : أنا ضيفك يوم كذا وكذا ، فأمر لها بالف شاة والف دينار ، وبعث معها رسولا الى الحسين (ع) فأعطاها مثل ذلك ، ثم بعثها الى عبدالله بن جعفر فأعطاها مثل ذلك .

ومن تواضعه عليه السلام انه مرّ على فقراء قد وضعوا كسيرات على الارض وهم قعود يلتقطونها ويأكلونها فقالوا له : هلمّ يا ابن بنت رسول الله الى الغداء ، فنزل وقال : فان الله لا يحب المتكبرين وجعل يأكل معهم ، حتى اكتفوا والزاد على حاله ببركته ، ثم دعاهم الى ضيافته وأطعمهم وكساهم .

وروى الصدوق في كتاب التوحيد : انه جاء رجل الى الحسن (ع) فقال له : يا بن رسول الله ، صف لي ربك كأني انظر اليه ، فأطرق مليا ثم رفع رأسه فقال : الحمد لله الذي لم يكن له اول معلوم ولا آخر متناه ولا قبل مدرك ولا بعد محدود ولا أمد بحتى ولا شخص فيتجزى ولا اختلاف صفة فيتناهى . ولا تدرك العقول واوهامها ، ولا الفكر وخطراتها ولا الالباب واذهانها صفته ، فنقول : متى ، ولا بدىء مما ولا ظاهر على ما ولا باطن فيما ولا تارك فهلا ، خلق الخلق فكان بديا بديئا ، ابتدأ ما ابتدع وابتدع ما ابتدأ . وفعل ما اراد واراد ما استزاد ، ذلكم رب العالمين .

حقا ، ان ما جاء في كلام الامام هو غاية ما يقال في التوحيد ،

فاذا كان ما خلق الله من عوالم لا يمكن استقصاؤها فكيف بخالقها ومبدعها .

وقد علم اخيراً انه تعالى قد خلق من الاجرام والكواكب ما يبعد عنا آلاف الملايين من السنين الضوئية ، والسنة الضوئية عشر مليون مليون كيلو متر (١) فيجب ان تمضي آلاف الملايين من السنين حتى تصل الينا اشعة تلك الانجم وأما ارضنا هذه مع شمسنا وما يدور حولها من انجم تسعة لا تعد شيئاً بالنسبة الى ما خلق الله من انجم وكرات ، فأرضنا كهباءة ملقاة فى الفضاء وهي من انجم المجرّة المسماة بدرب التبانة التي نشاهدها فوق رؤسنا في ليلة صافية كالسحابة ، انها ليست بسحابة وانما ملايين النجوم تكدست واجتمعت بعضها الى جنب بعض وان مجموعتنا الشمسية هذه واقعة في مكان مدحور لا يعبأ به من هذه المجرة وهي تبعد عن مركز المجرة ٣٠٠٠٠ سنة ضوئية ، ومن بداية هذه المجرة الى نهايتها (٢٠٠٫٠٠٠) سنة ضوئية ويوجد مثل هذه المجرة في هذا الكون الرحيب ملايين من المجرات وهي تتباعد بعضها عن بعض بسرعات هائلة ، كذلك الانجم كلها تتباعد بعضها عن بعض بسرعة مدهشة ، قد تبلغ السرعة الى (١٥٠٠٠٠) كيلو متر فى الثانية أي بقدر نصف سرعة الضوء . وهكذا تتسع السماء ، حتى اصبحت عشرة امثال ما كانت عليه سابقاً ، ولا تزال آخذة بالاتساع بسرعة هائلة ويتحقق قوله تعالى : « والسماءَ بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون » .

---

(١) ١٠٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ كيلو متر تقريباً .

فينبغي ان لا يغتر هذا الانسان ، ولا يتكبر فيسجد لله شكراً وتعظيماً وتقديساً ، بعدما يرى هذه العظمة غير المتناهية فى مخلوقات الله تعالى ، انه تعالى يقول :

« يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك ، في أي صورة ما شاء ركبك » .

نعم ، حتى ان الطير في السماء تسبح الله تعالى وتقدسه ، ولكنا لا نفهم هذا النوع من التسبيح ، وهو القائل : « وان من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » . « ألم ترَ ان الله يسبح له من في السماوات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه » . فللطير صلاة وتسبيح ، فكيف بهذا الانسان ان لم يصلّ ولم يسبح الله تعالى .

انه تعالى يقول : « ما سلككم في سقر ؟ قالوا لم نكُ من المصلين ولم نكُ نطعم المسكين ، وكنا نخوض مع الخائضين » .

فأهل النار اول ما يعترفون به ، أنهم لم يكونوا من المصلين ، لم يكونوا من المسبحين ، لم يشاركوا حتى الجماد في تسبيحه ، على حد قوله تعالى : « وان من شيء إلا يسبح بحمده » . وبعد ذلك يعترفون بأنهم لم يطعموا المسكين ولم يقدموا فضول اموالهم الى الفقراء والمساكين ذلك لأن الله قد جعل قوت هؤلاء في اموال الاغنياء . ثم يعترفون بأنهم ولجوا فيما ولج فيه الناس من انحراف عن الطريق السوي وانغماس فى شهوات وفساد وافساد باسم التطور ومواكبة مفاهيم القرن العشرين

هذه المفاهيم التي صنعتها يد البشرية الأثيمة ! مفاهيم لا يقرها الدين ولا العقل السليم « فماذا بعد الحق الا الضلال ، فأنى تُصرفون » .

(سورة يونس : ٣٢)

لقد حدث انفجار في الشمس (شمسنا هذه) سنة ١٩٥٦ م كان قد أولد طاقة تعادل طاقة ١٠٠ مليون قنبلة هيدروجينية دفعة واحدة ، فأي قدرة أو طاقة قد أودع الله تعالى فى شمسنا هذه ، على ان الله تعالى قد خلق شموساً اخرى اعظم من شمسنا هذه آلاف المرات ، تدهش الالباب . فما اعظم ما اودع الله من طاقات في هذا الكون الرحيب !

أفلا يجدر بهذا البشر أن يسجد لله سجود خضوع وتعظيم « قتل الانسان ما اكفره ، من أي شيء خلقه ، من نطفة خلقه فقدّره ، ثم السبيل يسره ، ثم اماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره ، كلا ، لما يقضِ ما أمره » . (سورة : عبس)

* * *

ومما قال الحسن (ع) في الحكمة :

سئل عليه السلام : ما الغنيمة ؟ فقال : الرغبة فى التقوى والزهادة فى الدنيا .

وقد عرف الله تعالى التقوى والمتقين بقوله جل من قائل :

« ان المتقين فى جنات وعيون ، آخذين ما آتاهم ربهم ، إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ، كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ، وبالاسحار

هم يستغفرون ، وفي اموالهم حق للسائل والمحروم » (١) .

فمن صفات المتقين : الاستغفار بالاسحار وجعل حق للسائل والمحروم فى الاموال والتهجد في جوف الليل والاحسان الى الناس اجمعين .

وفي الحديث : التقوى ان لا يراك الله حيث نهاك وان لا يفقدك حيث امرك .

ثم يقول الله تعالى : « وفى الارض آيات للموقنين وفي انفسكم أفلا تبصرون » (٢) .

ومن الآيات في الارض : ان النمل الابيض فى افريقيا يصنع بوصلة بالقرب من عمارته (بنيانه الرفيع) وهي سطحان متعامدان ، احدهما متجه نحو الشمال والجنوب ولا يحيد عن هذا الاتجاه قيد شعرة والسطح الاخر متجه نحو الشرق والغرب كذلك . وان المهندسين ليعتمدون على بوصلة يصنعها النمل الابيض في اعمالهم الهندسية ويندهشون من هذه الهندسة العجيبة .

ويقول الله تعالى : « وفى انفسكم أفلا تبصرون » . حقاً ان الانسان فى تشكيلاته العضوية (عدا الروح) لشيء محير للالباب فان في جسم الانسان اكثر من ٢٠٠ عظم ، لكل واحد منها شكل خاص ، ولولا هذا الشكل الخاص لما تمكنا من الحركة . وفى جسم الانسان ٥٠٠ عضلة كل منها تتغذى بمئات الاوردة والعروق ، تديرها اعصاب كثيرة جداً ، والقلب وهو بين هذه العضلات ينبض في السنة (٣٠)

---

(١) سورة الذاريات : ١٥-١٩ ، (٢) الذاريات : ٢٠-٢١

مليون مرة . وللعين طبقات : القرنية والعدسية والمائية الزجاجية وتنتهي بالشبكية ، وان الشبكية لا تزيد عن ثخن الورقة وتتألف من تسع طبقات أبعدها تتألف من ٣ ملايين مخروط ونحو من ٣ ملايين اسطوانة . وقد حسب احد العلماء فعلم ان المادة السنجابية التي في تلافيف الدماغ فيها نحو ٦٠٠٠٫٠٠٠ خلية ، وكل خلية تتألف من الوف الدقائق الظاهرة وكل دقيقة تتألف من ملايين الجواهر .

وقد علم ان في المخ (٢٠٠٠٠٠٠٠٠) عصب ، قد رتبت ترتيباً عجيباً ولكل فعاليته . فاذا جسّ احد هذه الاعصاب حصلت حالة نفسية خاصة تختلف عن غيرها .

ومن حكمه عليه السلام : انه سئل : ما الغنى ؟ فقال : رضى النفس بما قسم الله وان قلّ وانما الغنى غنى النفس .

وسئل : فما الفقر ؟ قال : شره النفس الى كل شيء .

فما المجد ؟ ان تعطى في الغرم وتعفو عن الجرم .

فما السؤدد ؟ إتيان الجميل وترك القبيح .

فما الحزم ؟ طول الأناة والرفق بالولاة ، (والاحتراس من جميع الناس) .

ومن كلامه عليه السلام : يا بني ، لا تؤاخ احداً حتى تعرف موارده ومصادره ، القريب من قربته المودة وان بعد نسبه ، والبعيد من باعدته المودة وان قرب نسبه .

ومن كلامه (ع) : هلاك المرء في ثلاث : الكبر والحرص والحسد

فالكبر هلاك الدين وبه لعن ابليس ، والحرص عدو النفس وبه اخرج آدم من الجنة ، والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل .

وقال : لا أدب لمن لا عقل له ، ولا مروءة لمن لا همة له ، ولا حياء لمن لا دين له .

ومن قوله عليه السلام :

يا ابن آدم ، لم إنك تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن امك فخذ مما فى يديك لما بين يديك ، فان المؤمن يتزود والكافر يتمتع .

فهـذه الليالي المتبركة ، ليالي شهر رمضان المبارك هي ليال يتزود فيها المؤمن لآخرة سعيدة ، فيصلي ما شاء ويبتهل الى الله بخشوع وخضوع ويسأله تعالى المغفرة والرضوان ، فيخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه فيزداد ايمانـاً بالله وبعوالم الآخرة ، فهذا الشهر شهر تطهير وتزكية ، شهر تجلية وتصفية . فالنفوس بقدر خشوعها لله تتزكى وتتطهر . فلنحسن العبودية لله ، فما من شيء فى هذا الكون الرحيب الا ويظهر العبودية لله تعالى والخشوع والخنوع .

« ان كل من في السماوات والارض الا آتي الرحمن عبدا ، لقد احصاهم وعدهم عدا ، وكلهم آتيه يوم القيامة فردا » (١) (٢)

---

(١) سورة مريم : ٩٣ ـ ٩٥ (٢) القيت هذه الكلمة فى ليلة النصف من شهر رمضان المبارك فى حسينية الهاشمية : سنة ١٣٨٦ هـ

لماذا هذه الزلازل

سؤال يتشدق به كثير من الماديين وهم يريدون بسؤالهم هذا ان يصموا العالم بالتبلبل وعدم الانتظام وعدم التدبير من قبل خالق عالم بعواقب الامور وبكل ما يحدث : منظم الكون الى اقصى مرتبة من مراتب الانتظام .

انهم يقولون : لماذا هذه الاوبئة التي لا تبقي ولا تذر ، وهذه العواصف الهوجاء الهدامة للقرى والارياف ، وهذه الكوارث المميتة . ولقد سمعت احدهم وهو على فراش المرض ، يعزو العالم ، لمرض اصابه ، بعدم الانتظام والبلبلة .

وكثيراً ما سمعت من بعض المثقفين بثقافة العصر : لماذا هذه الصواعق والفيضانات المدمرة والموت جوعاً في بعض الاحيان ، ثم لماذا يسلب العقل من بعض الناس فيعيشون بين العقلاء عيشة البهائم . ولماذا يتنعم بعض الناس القلائل على حساب آلاف من الناس يكدحون ليل نهار لسد ما تحتاج اليه بطونهم على الأقل .

فهل هناك مفاضلة قبل ان يولد الانسان ؟

ثم هم يقولون : لاشك ان عقلا جباراً قد خلق هذه الكائنات

من جماد ونبات وحيوان وانسان بحكمة فائقة وتدبير عال دقيق ، والعالم سائر حسب قوانين محكمة تدل على عظمة خالقه ومبدعه ، فلماذا هذه المفاضلات والفروق ؟ ولماذا لم يحم الخالق هذا الانسان الضعيف من المفاجآت المهلكة الآنفة الذكر ؟

ان الاعتراف بحكمة المبدع : الباريء عزوجل لدليلٌ جلي على ان الحكمة المتجلية في كل ناحية من نواحي هذا الكون : في الذرة والتراكيب الكيمياوية والتفاعلات بين العناصر وفى دساتير الفيزياء والفلك والميكانيك الرياضي والميكانيك السماوي وفى عالم الميكروبات والنباتات والحيوانات والانسان .. الخ : حكمة يعجز العقل البشري أن يحيط بها تمام الاحاطة وانما يظفر ببعضها نتيجة جهد جهيد واختبارات متتالية وصدف متعاقبة بالهام من الله ، تفضلا منه ورحمة .

فهذا الاعتراف بعظمة الخالق في العلم والقدرة والتدبير والحكمة البالغة المتجلية فى ارجاء هذا الوجود لدليل ساطع على ان الحكمة متجلية ايضاً فى حدوث الزلازل والنوائب والعواصف والفيضانات وهجوم الجراثيم المؤذية ، المميتة ، إلا أنه قد تخفى علينا الحكمة والسبب ، وهذه الحكمة قد تنكشف للصلحاء من عباد الله من انبياء واوصياء ومؤمنين ابرار واخيار . وتخفى على كثير من الناس ، لأن نفوسهم لم تبلغ مرتبة من الكمال لتتجلى لهم الحقائق وتنكشف لهم الاسباب .

* * *

لو تتبعنا البلايا والنوائب لرأيناها على ضربين : منها ما هي مهذبة

منبهة ، مزكية لهذه النفوس ، آخذة إياها الى عوالم القدس . ذلك لأن البلايا والنوائب تصقل النفوس وتطهرها من أدناسها وارجاسها .

فالدنيا أشبه شيء بمدرسة ، وفيها مواد امتحانية ، وعلى طلابها اجتياز هذه الامتحانات ، وموادها ليست بمواد مادية كالجبر والهندسة والفيزياء والكيمياء الى ما هنالك ، وانما هي مواضيع تمس النفس الانسانية مباشرة ، وتعمل فى تربيتها وتهذيبها وتزكيتها . مواضيعها : الصبر ومخالفة الهوى والنفس الامارة بالسوء ، وترك الشهوات والموبقات والجلد امام الملذات التي نهى عنها الشرع . موادها . العفة والعفاف والتقوى واحترام الوالدين وصلة الأرحام ، ومواساة المؤمنين ومساعدة الفقراء والمساكين والتضحية والايثار في سبيل الخير ، موادها : ترك الحسد والبخل ، والتواضع والرفق بالآخرين ، موادها : تفويض الأمر الى الله والتوكل عليه وحسن الظن بالله ، والاعتراف بالتقصير ، والشكر الكثير وحسن الخلق ، والصدق وأداء الامانة والحياء وكظم الغيظ والعفو والحلم والصمت وحفظ اللسان ، والحب في الله والبغض فى الله والقناعة والزهادة والانصاف والعدل ، والاهتمام بأمور المسلمين والتزاحم والتعاطف وزيارة الاخوان في الله وقضاء حوائج المؤمنين لوجه الله وترك المكر والغدر والخديعة والغيبة والنميمة ، وسوء الظن والنفاق ، موادها : الاستغفار ومحاسبة النفس ، والتكفير عن الذنوب . ففي الحديث : « حُفت الجنة بالمكاره وحُفت النار بالشهوات » .

ومن النوائب ما هي مبيدة لهذه النفوس كالزلازل التي لا تبقي ولا

تذر والعواصف التي تغرق السفن والأوبئة التى تزهق الارواح .

أما النوع الاول فهي امتحانات بسيطة يجتازها هذا الانسان ليسير سيره التكاملي .

وهي لا تتجاوز المرض والفقر ومشاكل عائليـــة واجتماعية وامثالها وكلها مفيدة ، تصقل النفوس البشرية وتجعلها (إن كانت مؤمنة) تتقرب الى الله وترجو النجاة ، فقد قال الله تعالى :

« ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم » (١) فالله تعالى يختبرنا ليعلم (وهو العالم قبلا وبعداً) درجة مجاهدتنا مع نفوسنا الأمارة بالسوء ودرجة صبرنا ، ولكي نعلم نحن درجتنا فى الامتحان الآلهي العالمي ، لننال عنده تعالى ما نستحق من المنازل الرفيعة : « ولكل درجات مما عملوا ، وما ربك بغافل عما يعملون » (٢) .

« ولكل درجات مما عملوا ، وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون » (٣) .

ويقول تعالى : « ألم ، أحسب الناس ، ان يتركوا ، ان يقولوا : آمنا ، وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » (٤) .

فلا مناص حسب هذه الآية الكريمة من الاختبار والامتحان . فان الامتحان كان جاريا في الامم الغابرة وهو جار في الامم اللاحقة ،

---

(١) سورة محمد (ص) : ٣١ ، (٢) سورة الانعام : ١٣٢

(٣) سورة الاحقاف : ١٩ ، (٤) سورة العنكبوت : ٣

« سنة الله في الذين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » (١)

فيمتحن الفرد أو بالأحرى نفس هذا الفرد بأنواع البلايا والنوائب بالخوف والجوع ونقص من الاموال والأنفس والثمرات . وهو القائل :

« ولنبلونكم شيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون ، اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون » (٢)

فالله يبشر الصابرين على البلايا والنوائب من فقد الاولاد والارحام والثمرات والاموال بالأجر الجزيل ، شريطةَ ان يقولوا حينما يدهمهم البلاء : إنا لله وإنا اليه راجعون ، ويرجعوا امرهم الى الله المتعال ، ويعترفوا ان مآل امرهم الآخرة ، وحياة دائمة أخروية ، فهؤلاء الذين يؤمنون بالآخرة ويرجعون مآل امرهم الى الله هم الذين اختصوا برحمة الله وعظيم رفده وهم السائرون نحو سبيل السلام .

ذلك لانه ما من شيء من المواد الامتحانية التي يمتحن الله به عباده في هذه الدنيا هو كالصبر . وهو القائل : « لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا أذى كثيراً وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور » (٣) .

وفي الحديث : الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد . ولا

---

(١) سورة الاحزاب : ٦٢ . (٢) سورة البقرة : ١٥٧

(٣) سورة آل عمران : ١٨٦

جسد لمن لا رأس له ، ولا ايمان لمن لا صبر له » .

وفي حديث آخر : قال رسول الله (ص) : « ما تجرع عبد قط جرعتين أحبّ الى الله من جرعة غيظ ردّها بحلم ، وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها ، ولا قطرت قطرة أحب الى الله تعالى من قطرة دم أهريقت فى سبيل الله ، وقطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد ولا يراه إلا الله ، وما خطا عبدٌ خطوتين أحب الى الله تعالى من خطوة الى الصلاة الفريضة وخطوة الى صلة الرحم » .

وروي أن المسيح (ع) قال للحواريين : « إنكم لا تدركون ما تحبون إلا بصبركم علي ما تكرهون » . وقال رسول الله (ص) : « الصبر نصف الايمان » . وفي خبر آخر : الايمان نصفان : « نصف صبر ونصف شكر » .

انه تعالى يقول « وجعلنا منهم أئمةً يهدون بأمرنا لما صبروا » (١) « ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » (٢) ، « اولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا » (٣) .

وقال رسول الله (ص) : « أفضل الاعمال ما أكرهت عليه النفوس » ولا مراء ان الصبر في الدرجة الاولى في هذا المقام .

وقال رسول الله (ص) : « الصبر ثلاثة : صبر عند المصيبة ، وصبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية ، فمن صبر على المصيبة حتى يردها

---

(١) سورة السجدة : ٢٤ (٢) الاعراف : ١٣٧ (٣) القصص : ٥٤

بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين السماء الى الارض ، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى العرش ، ومن صبر على المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الأرض الى منتهى العرش » .

وقال (ص) : سيأتي على الناس زمان لا ينال الملك إلا بالقتل والجبر ، ولا الغنى الا بالغصب والبخل ، ولا المحبة الا باستخراج الدين واتباع الهوى ، فمن أدرك ذلك الزمان فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى ، وصبر على البغيضة وهو يقدر على المحبة ، وصبر على الذل وهو يقدر على العز آتاه الله ثواب خمسين صديقاً ممن صدق بي » . كل ذلك لأن النفس الانسانية تنصهر في تحمل المشاق والصبر عليها وتصقل فى تحمل المكاره والنوائب . ولذلك يقول الله تعالى : « إنما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب » (١) فيجازى الصابر المحتسب جزاءً موفوراً لا نهائياً خارجاً عن حدود الحساب والتقدير .

وقد قال رسول الله (ص) : « اذا اراد الله بعبد خيراً ، وأراد أن يصافيه ، صبّ عليه البلاء صبا وثجه عليه ثجا ، فاذا دعاه قالت الملائكة : صوت معروف ، واذا دعاه ثانياً ، فقال : يا رب ، قال الله تعالى : لبيك عبدي وسعديك ، ألاّ تسألني شيئاً الا اعطيتك (٢)

---

(١) جامع السعادات : الجزء الثالث : ٢٨٨ (٢) هكذا وجدناه في جامع السعادات . ج : ٣ ص : ٢٨٦ ، مطبعة النجف .

او رفعت لك ما هو خير ، وادّخرت لك عندي ما هو افضل منه ، فاذا كان يوم القيامة جيء بأهل الاعمال ، فوزنوا اعمالهم بالميزان : أهل الصلاة والصيام والصدقة والحج ، ثم يؤتى بأهل البلاء ، فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ، يُصبّ عليهم الأجر صبا كما كان يصبّ عليهم البلاء صبا ، فيود أهل العافية في الدنيا لو انهم كانت تقرض اجسادهم بالمقاريض ، لما يرون ما يذهب به أهل البلاء من الثواب ، فلذلك قوله تعالى : « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » .

وقد قال تعالى : « وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ، أتصبرون وكان ربك بصيراً » . فقد أمرنا بالصبر في الفتن والبلايا والنوائب ، لكي تظهر حقيقة النفس بهذا الجهاد المبين ، فالجهاد مع النفس لهو الجهاد الاكبر على ما جاء على لسان سيد المرسلين (ص) .

وقد قال الصادق (ع) : واذا دخل المؤمن قبره كانت الصلاة عن يمينه ، والزكاة عن يساره ، والبر يطل عليه ، ويتنحى الصبر ناحية ، فاذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مساءلته ، قال الصبر للصلاة والزكاة والبر : دونكم صاحبكم ، فان عجزتم عنه فأنا دونه » .

وقال (ع) « اذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنة فيضربونه ، فيقال لهم : من انتم ؟ فيقولون : نحن أهل الصبر ، فيقال لهم : على ما صبرتم ، فيقولون : كنا نصبر على طاعة الله ونصبر عن معاصي الله . فيقول الله تعالى : صدقوا ، ادخلوهم الجنة وهو قول الله تعالى : « إنما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب » (١) .

---

(١) جامع السعادات ، ج ٣ : ٢٨٩

وقال عليه السلام : « من ابتلى من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل أجر الف شهيد » .

ومن علامات الصبر : ان يصلَ الانسان من قطعه ، ويعطي من حرمه ويعفو عمن ظلمه ، فقد قال رسول الله (ص) : صِل من قطعك وأعطِ من حرمك ، واعفُ عمن ظلمك » .

وإن معيار الايمان الحقيقي هو الصبر على النوائب . فمن كان صبره اكثر كان ايمانه بعوالم الآخرة اكثر فأكثر .

* * *

يجدر بهذا الانسان أن يعمل في هذه الدنيا لينال درجات عالية ويذهب منها طاهراً مطهراً الى آخرة سعيدة . ذلك لان « الدنيا دار عمل ولا حساب ، والآخرة دار حساب ولا عمل » ولا مجال هناك للتهيؤ لامتحان (الاكمال) ، أي لا يكون الفرد مكملاً (كما في المدارس الحديثة) بعد الموت ، فطوبى لمن هيأ نفسه لآخرة سعيدة قبل حلول الأجل .

فقد قال رسول الله (ص) في خطبة له عندما جمع الأقربين من قريش : « ان الرائد لا يكذب أهله . والله لو كذبت الناس ما كذبتكم ولو غررت الناس ما غررتكم ، والله الذي لا إله الا هو : اني لرسول الله اليكم خاصة . والى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالاحسان إحساناً وبالسوء سوءاً ، وانها للجنة ابدا ، أو النار ابدا » .

على أن هناك ، كما في بعض الاخبار ، نوع تطهير في عالم البرزخ من عذاب وتعذيب وتأديب ، ليكون الفرد بذلك أهلا لشفاعة الشافعين اذا أذن الله بذلك ، وهو القائل : « فما تنفعهم شفاعة الشافعين » (١) « ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون » (٢) .

والعاقل هو الذي يخرج في دنياه مما تدنس به من حرام وموبقات : في عالم الفرصة والملافاة .

فقد قيل : ان حاكماً جائراً أراد أن يتوب ، فخرج من جميع ماله من مال ومنال وبيوت وعقار ، قدم جميع ذلك الى عالم البلد (العالم الديني) لتوزيعها على الفقراء والمساكين (لكونها مجهولة المالك) واستقرض من العالم الديني إزاراً يستتر به ، وصار يعمل كحمال ثم ارتقى ، فصار يكتسب كسباً بسيطاً ويكفر عن سيئاته بأعمال صالحات وعبادات يتخللها خشوع وخضوع « ان الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين » (٣)

***

فالانسان انما خلق للامتحان والابتلاء ، ولا مفرّ له من اجتياز هذه الامتحانات الهادفة الى اصلاح النفس مباشرة ، ذلك لأن كماله النفسي ينحصر في اجتيازه امتحانات تصقل النفس وتهذبها أيما تهذيب وهو القائل : « إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً

---

(١) سورة المدثر : ٤٨ (٢) سورة الانبياء : ٢٨

(٣) سورة هود : ١١٥

بصيرا » فمن الله علينا بالسمع والبصر كي نستفيد منهما للنجاح في الامتحانات النفسية .

فالغني يختبر بالفقير ، والفقير يمتحن بالصبر ، والولد يمتحن باطاعة والديه ، وصاحب الجاه يمتحن فى قضائه حوائج الناس ، فكل انسان مذ نهوضه من نومه الى ساعة منامه يختبر بأنواع الاختبارات ، فطوبى لمن راقب نفسه فى هذه الامتحانات النفسية وقدر لنفسه درجات عليها ليعلم منزلته في سيره التكاملي ، كمن يقيس ضغط الدم من حين لآخر .

انه تعالى يقول: « هو الذي خلق السماوات والارض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم احسن عملا » فجعل الله علة خلقه هذه النفوس الابتلاء ، أي ان الله انما خلقنا ليبلونا ويختبرنا بمرض وسقم وعاهة وطاعة وصبر وغيرها .

فـ « إن عظيم الاجر مع عظيم البلاء ، وما أحب الله قوماً إلا ابتلاهم » .. الحديث .

وفي حديث آخر : (اذا أحب الله عبداً ابتلاه ليسمع تضرعه) . ذلك لان هذا التضرع مطهر لهذه النفوس من ادرانها وأوضارها .

لن الله يحب ان يتضرع العبد ويبكي على ذنوبه ، وان هذا التضرع أو البكاء موصل الفرد الى مقامات رفيعة من التقرب الى الحق المتعال . فقد جاء في حديث قدسي ، حيث يقول الله تعالى : (أنين المذنبين أحب اليّ من تسبيح المسبحين) .

وكثيراً ما يكون الغنى سبباً لتسافل الانسان وتجبره وتكبره وتعجرفه

وتحقيره للآخرين وكسره الخواطر والقلوب ، فيزداد بعداً من الله تعالى مع انفاقه وبذله في بعض الاحيان . ولذلك يقول جل من قائل : « ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى » ، ويخاطب المترفين قبل غيرهم عند ارسال الرسل والأنبياء بقوله : « واذا اردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول ، فدمرناها تدميرا » . ولذا كان الأنبياء والأولياء يكتفون بالكفاف ، ويخشون الزيادة والترف فقد جاء في الحديث القدسي ، حيث يقول الله تعالى : « وإن من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو صرفته الى غيره لهلك » .

ذلك لان هذه الدنيا ، كما جاء في الحديث ، مزرعة الآخرة ، ومحل للتزود والتهيؤ لآخرة سعيدة وجنة عرضها السماوات والارض أعدّت للمتقين .

فمن أراد الله تعالى انقاذه من نار جهنم وعذاب الآخرة ، هيأ له اسباب هذا الفوز العظيم ، بتعذيبه في دار الدنيا قبل الآخرة ، لكي يطهر في دنياه ويذهب من هذه الدنيا نقي الثوب . وحاشا ان يبغض الله تعالى ويفرق بين عبد وعبد دونما سبب ويؤثر احداً على آخر دون مرجح . ان الله تعالى أعلم بما قام به هذا العبد من اعمال ، فاذا كانت اعماله السابقة اعمالا تقربه الى حد ما الى الله تعالى ، هيأ الله تعالى له في دنياه الأسباب التي تطهره وتوصله الى عاقبة محمودة بمرض واقتار وانواع البلايا حسب قابليته ومرتبته ودرجته . فقد جاء في حديث

قدسي حيث يقول الله تعالى :

« ما من عبد اريد ان ادخله الجنة الا ابتليته في جسده ، فان كان ذلك كفارة لذنوبه ، والا ضيقت عليه رزقه ، فان كان ذلك كفارة لذنوبه والا شددت عليه الموت ، حتى يأتيني ولا ذنب له ، ثم ادخله الجنة . وما من عبد اريد ان ادخله النار الا صححت جسمه ، فان كان ذلك تماماً لطلبته عندي والا أمنت له من سلطانه ، فان كان ذلك تماماً لطلبته والا هونت عليه الموت ، حتى يأتيني ولا حسنة له ثم ادخله النار » .

وان الله تعالى لا يدخل عبداً النار الا بعد اتمام الحجة عليه مرات ومرات ، الا بعد تزويده بالوسائل الهادية المرشدة الى الصراط السوي مرات ومرات . فاذا امسى جرثومة فساد وغواية وضلال لا تفيد فيه النصائح والبلايا والنوائب والامراض لم تكن له عاقبة الا النار ، فتطهره من ادرانه وتعقمه من جراثيمه وأوضاره ، وقد قال تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » . « ولله على الناس الحجة البالغة » .

فلم يترك الله تعالى شيئاً فيه ارتقاء البشر في النواحي الروحية الا وقد بينه على لسان انبيائه ولم يترك ما فيه تسافل النفس الانسانية الا وقد فصله انبياؤه وأوصياء انبيائه (ع) . ومع ذلك فقد اودع النفس الانسانية اصول المساوي والمبرات بقوله جل من قائل : « ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها » . كل ذلك ، « لئلا يكون للناس على الله حجةٌ بعد الرسل » (سورة النساء : ١٦٣) .

وعن ابي جعفر عليه السلام قال : « ان الله عزوجل اذا كان من امره ان يكرم عبداً وعليه ذنب ابتلاه بالسقم ، فان لم يفعل ذلك به ابتلاه بالحاجة ، فان لم يفعل ذلك به شدد عليه الموت ليكافيه بذلك الذنب . وان كان من امره ان يهين عبداً وله عنده حسنة صحح بدنه وان لم يفعل ذلك به وسع عليه رزقه ، فان لم يفعل ذلك به هون عليه الموت فيكافيه بتلك الحسنة » .

وعن ابي عبدالله (ع) قال : إن العبد اذا كثرت ذنوبه ولم يكن عنده من العمل ما يكفرها ابتلاه الله بالحزن ليكفرها .

ولا مراء أن المقربين عند الله (ص) امتحاناتهم أشد واصعب ، فقد أوذي رسول الله (ص) كثيراً حتى قال : « ما أوذي نبي مثل ما أوذيت » .

وان الحسين (ع) بلغ الدرجة القصوى في تقبله الشهادة بشكل لم يسبق له مثيل ولن يرى الدهر مضحياً مثله في سبيل الدين أبد الآبدين .

وقد قال رسول الله (ص) : ان أشد الناس بلاءاً النبيون ، ثم الوصيون ، ثم الامثل فالأمثل وانما يبتلى المؤمن على قدر اعماله الحسنة فمن صح دينه وحسن عمله اشتدّ بلاؤه ، ومن سخف دينه وضعف عمله قل بلاؤه ، والبلاء أسرع الى المؤمن التقى من المطر الى قرار الارض ذلك ان الله عزوجل لم يجعل الدنيا ثواب المؤمن ولا عقوبة الكافر » ولذلك يقول جل من قائل : « ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا

لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم ابواباً وسرراً عليها يتكئون وزخرفاً . وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ، والآخرة عند ربك للمتقين » .

فالامتحان أو البلاء إما يكون لزيادة الدرجات وبلوغ المنازل الرفيعة وهذا خاص بالانبياء والاوصياء (ع) ثم الامثل فالامثل . واما أن يكون لتطهير النفوس مما علق بها من أدران واوساخ ، وذنوب وآثام فهو تكفير لما اجترحت الايدي من ظلم وبغي ولما قامت به النفوس من حسد وغيبه وكل ما نهى عنه الدين .

فعلى كل فرد ان يحاسب نفسه من حين لآخر ويعمل في إزالة ما علق بها من ادران . وفي الحديث : « حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا » فعن ابي الحسن الماضي : (الامام موسى بن جعفر (ع)) « ليس منا من لم يحاسب نفسه كل يوم . فان عمل حسنة استزاد الله عزوجل ، وان عمل سيئة استغفر الله منها وتاب اليه » .

فعلينا ان نعلم انه كلما زدنا تقرباً الى الله تعالى وكلما زيد في ايماننا ويقيننا كلما زدنا بلاءاً ونوائب ، وهجمت علينا همومٌ وغمومٌ « سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا » . ولذلك يحدثنا الامام موسى بن جعفر (ع) : « ان المؤمن بمنزلة كفتي الميزان ، كلما زيد في ايمانه زيد في بلائه ، ليلقى الله عزوجل ولا خطيئة له » .

يحدثنا ابو عبدالله (ع) فيما يبتلى به المؤمن : انه يقول : اخذ الله ميثاق المؤمن على ان لا تصدق مقالته ولا ينتصف من عدوه وما من

مؤمن يشفى نفسه الا بفضيحتها ، لان كل مؤمن ماجم » .

وفى حديث آخر : قال ، قال رسول (ص) : ان الله اخذ ميثاق المؤمن على بلايا اربع . أيسرها عليه مؤمن يقول بقوله (١) يحسده ، او منافق يقفو اثره او شيطان يغويه ، أو كافر يرى جهاده فما بقاء المؤمن بعد هذا » .

ويقول ابو عبدالله (ع) ايضاً : « ما افلت المؤمن من واحدة من ثلاث ولربما اجتمعت الثلاثة عليه ، اما بعض من يكون معه فى الدار يغلق عليه بابه يؤذيه ، أو جار يؤذيه أو من فى طريقه الى حوائجه يؤذيه ويجعل الله له من ايمانه أنساً لا يستوحش معه الى احد» (٢)

فالمؤمن فى هذه الدنيا لا يخلو من أذى الآخرين لو كان مؤمناً حقاً

---

(١) أي يدين بدينه

(٢) اصول الكافي ج : ٢ ص : ٢٥٠

ننقل هنا ما جاء فى حاشية اصول الكافى . الجزء الثاني ص : ٢٥٠

ذكروا لتسليط الشياطين والكفرة على المؤمنين وجوهاً من الحكمة . الاول : انه كفارة لذنوبه ، الثاني : لاختبار صبره وادراجه فى الصابرين . الثالث : لتزهيده في الدنيا لئلا يفتتن بها ويطمئن اليها فيشق عليه الخروج منها ، الرابع توسله الى الحق سبحانه في الضراء وسلوكه مسلك الدعاء لدفع ما يصيبه من البلايا فترتفع بذلك درجته . الخامس : وحشته عن المخلوقين وأنسه برب العالمين (راجع مرآة العقول ج ٢ ص ٢٢٢)

اما بحسد او نفاق او عداء أو اغواء الشيطان . فعن ابي عبدالله (ع) : اربع لا يخلو منهن مؤمن او واحدة منهن : مؤمن يحسده وهو أشدهن عليه ومنافق يقفو اثره او عدو يجاهده او شيطان يغويه » . و(ان الله عزوجل جعل وليه في الدنيا غرضاً لعدوه) كما جاء في الحديث .

يقول محمد بن عجلان ، كنت عند ابى عبدالله (ع) : فشكا اليه رجل الحاجة فقال : اصبر ، فان الله سيجعل لك فرجاً ، قال : ثم سكت ساعة ، ثم اقبل على الرجل فقال : اخبرني عن سجن الكوفة كيف هو ؟ فقال : ـ أصلحك الله ـ ضيق ، منتن واهله بأسوء حال . قال : فانما انت في السجن ، فتريد ان تكون فيه في سعة ، أما علمت أن الدنيا سجن المؤمن .

وعن ابى عبدالله (ع) انه قال : « المؤمن مكفر » . أي ان الناس لا يشكرون له معروفه وإحسانه .

وفي خبر آخر : « ما من مؤمن إلا وقد وكل الله به اربعة : شيطاناً يغويه ، يريد ان يضله وكافراً يغتاله ومؤمناً يحسده وهو أشدهم عليه ومنافقاً يتبع عثراته » .

فالمؤمن فى هذه الدنيا مسلوب الراحة ، ممتحن لا محالة بأنواع الأذى والنوائب ، فعن ابى عبدالله (ع) ما كان ولا يكون وليس بكائن مؤمن الا وله جار يؤذيه ، ولو ان مؤمناً في جزيرة من جزائر البحر لابتعث الله له من يؤذيه .

فكلما كان العبد الى الله أقرب كان بلاؤه أشد واصعب ، فعن

ابي عبدالله (ع) : ان أشد الناس بلاءاً (١) الانبياء ثم الذين يلونهم . ثم الامثل فالامثل .

وعن ابي عبدالله (ع) قال : سئل رسول الله (ص) : « من أشد الناس بلاءاً في الدنيا فقال : النبيون ، ثم الامثل فالامثل . ويبتلى المؤمن ، بعد ، على قدر ايمانه وحسن اعماله ، فمن صح ايمانه وحسن عمله اشتد بلاؤه ومن سخف ايمانه وضعف عمله قل بلاؤه » .

فنرى ان زيادة البلاء تتناسب طرديـاً مع قوة الايمان ، حتى ان الله تعالى يدفع عن المؤمن الحقيقي بعض المتـع الدنيوية . فعن ابي عبدالله (ع) : « ان لله عزوجل عباداً في الارض من خالص عباده ، ما ينزل من السماء تحفة الى الارض إلا صرفها عنهم الى غيرهم ، ولا بلية إلا صرفها اليهم » . وفي خبر آخر : عن ابي عبدالله (ع) انه قال ـ وعنده سدير ـ « ان الله اذا أحب عبداً غتـه بالبلاء غتا ، وأنا وإياكم ، يا سدير ، لنصبح بـه ونمسي » .

وعن ابي جعفر (ع) قال : إنما يبتلى المؤمن في الدنيا على قدر دينه ـ أو قال ـ على حسب دينه » .

فلابد للمؤمن من احزان وهموم يطهر بها نفسه ، حتى لا تتراكم عليه ذنوبه فيسوّد القلب على ما جاء في بعض الاحاديث . لذلك يقول امامنا ابي عبدالله (ع) : « المؤمن لا يمضي عليه اربعون ليلة الا عُرض له أمر يحزنه ، يذكّر بـه » .

---

(١) ما يختبر ويمتحن به من خير وشر . اصول الكافي : الجزء الثاني . ط : طهران

يقول ناجيه ، قلت لابي عبدالله (ع) ان المغيرة (١) يقول : ان المؤمن لا يبتلى بالجذام ولا بالبرص ولا بكذا ولا بكذا ؟. فقال : ان كان لغافلا عن صاحب ياسين ، انه كان مكنعاً (٢) ثم رد اصابعه (٣) فقال : كأني انظر الى تكنيعه، أتاهم فأنذرهم ، ثم عاد اليهم من الغد فقتلوه ، ثم قال : ان المؤمن يبتلى بكل بلية ويموت بكل ميتة الا انه لا يقتل نفسه (٤) .

وقد قال ابو عبدالله (ع) : إن فى الجنة منزلة لا يبلغها عبد إلا بالابتلاء في جسده .

---

(١) هو المغيرة بن سعيد الذي روى الكشي روايات كثيرة تدل على لعنه وروى ان ابا الحسن الرضا عليه السلام قال انه كان يكذب على ابى جعفر (ع) فأذاقه الله حر الحديد .

(٢) (إن كان لغافلا) : ان مخففة من المثقلة ، وصاحب ياسين هو حبيب بن اسرائيل النجار رضي الله عنه ، وهو الذي جاء من اقصى المدينة يسعى ، وكان ممن آمن بنبينا (ص) وبينهما ٦٠٠ سنة وعن النبي (ص) : « سباق الامم ثلاثة ، لم يكفروا بالله طرفة عين : علي بن ابي طالب وصاحب ياسين ومؤمن آل فرعون » وفى رواية هم الصديقون وعلي افضلهم . والمكنع (بتشديد النون المفتوحة) : أشل اليد ومقطوعها . وهو من رجعت اصابعه الى كفه وظهرت مفاصل اصول الاصابع

(٣) « ثم رد اصابعه » من كلام الراوي ، أي رد عليه السلام اصابعه الي كفه اشارة الى تكنيعه .

(٤) نقلنا الحديث مع الشرح من اصول الكافي ج ٢ ص : ٢٥٤

ويقول عبدالله بن ابي يعفور : شكوت الى ابى عبدالله (ع) ما القى من الاوجاع ، وكان مسقاما ، فقال لي يا عبدالله ، لو يعلم المؤمن ما له من الأجر في المصائب لتمنى انه قرض بالمقاريض .

وقال عليه السلام : « إن اهل الحق لم يزالوا منذ كانوا فى شدة أما ان ذلك الى مدة قليلة وعافية طويلة . وعن ابى جعفر (ع) : ان الله عزوجل ليتعاهد المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل بالهدية من الغيبة ويحميه الدنيا كما يحمي الطبيب المريض (ويحميه الدنيا ، أي يمنعه الدنيا) . وعن ابى عبدالله (ع) : لم يؤمن الله المؤمن من هزاهز الدنيا ، لكنه آمنه من العمى فيها والشقاء فى الآخرة . وقال (ع) : ان المؤمن من الله عزوجل لبأفضل مكان ـ ثلاثاً ـ إنه ليبتليه بالبلاء ثم ينزع نفسه عضواً عضوا من جسده وهو يحمد الله على ذلك .

وقال علي بن الحسين (ع) : اني لأكره للرجل ان يعافى في الدنيا فلا يصيبه شيء من المصائب .

ذلك لأن من لا يبتلى بمصائب ونوائب بعيد عن رحمة الله ، تركه الله تعالى ونفسه . فتتراكم عليه ذنوبه ومآله النار « نسوا الله فنسيهم » (التوبة : ٦٨) لذلك يخرج النبي (ص) كما في الحديث الآتي من بيت رجل لم يرزأ قط . فقد قال ابو عبدالله (ع) : دعي النبي (ص) الى طعام . فلما دخل منزل الرجل نظر الى دجاجة فوق حائط قد باضت ، فتقع البيضة على وتد في حائط فثبتت عليه ، ولم تسقط ولم تنكسر ، فتعجب النبي (ص) منها فقال له الرجل : اعجبت من هذه البيضة ، فوالذي بعثك بالحق ما رزئت شيئاً قط (قال) : فنهض رسول الله (ص) ولم يأكل من طعامه شيئاً ، وقال : من

لم يرزأ فما لله فيه من حاجة (١) .

* * *

ونعوذ بالله من استدراجه وترك العبد يلهو ويلعب لا يفكر في مصيره وما سوف يعذب به في آخرته . ذلك العذاب الذي يصفه الله تعالى بقوله « إذ الاغـــلال فى اعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ، ثم فى النار يسجرون » (سورة المؤمن : ٧١ ، ٧٢) وهو القائل : « والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ، وأملي لهم ان كيدي متين » (سورة الاعراف : ١٨١) « فذرني ومن يكذّب بهذا الحديث ، سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ، وأملي لهم ان كيدي متين » (٦٨ : ٤٤)

وقد قال رسول الله (ص) في مقام تحذير الناس من استدراج الله تعالى : « اذا رأيتم الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا ان ذلك استدراج ثم قرأ قوله تعالى : فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء ، حتى اذا فرحوا بما أوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون » (الانعام : ٤٤)

وروي أن نبياً من الانبياء شكى الى ربه فقال : « يا رب ، العبد المؤمن يطيعك ويجتنب معاصيك ، تزوي عنه الدنيا وتعرضه للبلاء ، ويكون العبد الكافر لا يطيعك ويجتريء على معاصيك ، تزوي عنه البلاء وتبسط له الدنيا . فأوحى الله تعالى اليه ، ان العباد إلي والبلاء لي ، وكل يسبح بحمدي . فيكون المؤمن عليه من الذنوب ، فأزوي عنه الدنيا واعرض

---

(١) اصول الكافى . ج ٢ : ص : ٢٥٦

له البلاء فيكون كفارة لذنوبه حتى يلقاني فأجزيه بحسناته ، ويكون الكافر له من الحسنات ، فأبسط له في الرزق وازوي عنه البلاء فأجزيه بحسناته في الدنيا حتى يلقاني فأجزيه بسيئاته » .

وقد سمعت نقداً كثيراً واعتراضات واهية بالنسبة الى تنعم الكافر والافتار في الرزق بالنسبة الى المؤمن ، وأنا ادرس في جامعة استانبول . ولقد سمعت اخيراً ايضاً ان فلاناً كان في ضنك من العيش وهو يصلي ويصوم ، فترك الصلاة والصوم فوسع عليه في رزقه ، حتى ان البعض ينصح غيره بترك الدين وفرائضه ليعيش عيشة هنيئة ويبلغ مناصب دنيوية زائلة ، وما ذكرناه جواب للمعترض ، ونستجير بالله من استدراجه .

وقال رسول الله (ص) : لا حاجة لله في من ليس له في ماله وبدنه نصيب . (ويراد بالنصيب هنا : النقص) .

وعن ابي عبدالله (ع) قال : ان الله عزوجل يبتلي المؤمن بكل بلية ويميته بكل ميتة ولا يبتليه بذهاب عقله . أما ترى ايوب كيف سلط ابليس على ماله وعلى ولده وعلى اهله وعلى كل شيء منه ولم يسلط على عقله ، ترك له ليوحد الله به .

وقال ايضاً : انه ليكون للعبد منزلة عند الله ، فما ينالها الا باحدى خصلتين ، اما بذهاب ماله أو ببلية في جسده .

وقال ايضاً : قال الله عزوجل : « لولا ان يجد عبدي المؤمن في

قلبه (١) لعصبت رأس الكافر بعصابة حديد لا يُصدع رأسه ابداً » .

وقال ايضاً . قال رسول الله (ص) : مثل المؤمن كمثل خامة الزرع (٢) تكفئها (٣) الرياح كذا وكذا ، وكذلك المؤمن تكفئه الاوجاع والامراض ومثل المنافق كمثل الارزبة المستقيمة التي لا يصيبها شيء حتى يأتيه الموت فيقصفه قصفا (٤) .

وعن ابي عبدالله (ع) ، قال : قال رسول الله (ص) يوماً لاصحابه : ملعون كل مال لا يزكى ، ملعون كل جسد لا يزكى ولو في كل اربعين يوماً مرة فقيل : يا رسول الله أما زكاة المال فقد عرفنا ، فما زكاة الأجساد ؟ فقال لهم : ان تصاب بآفة ، قال : فتغيرت وجوه الذين سمعوا ذلك منه ، فلما رآهم قد تغيرت الوانهم قال لهم : أتدرون ما عنيت بقولي ؟ قالوا : لا ، يا رسول الله ، قال : « بلى ، الرجل يخدش الخدشة وينكب النكبة ويعثر العثرة ويمرض المرضة ويشاك الشوكة وما اشبه هذا ، حتى ذكر في حديثه اختلاج العين » (٥)

وقال ابو عبدالله (ع) : ان المؤمن ليكرم على الله حتى لو سأله الجنة بما فيها اعطاه الله ذلك من غير ان ينتقص من ملكه شيئاً وان

---

(١) شكا او حزنا شديداً . (٢) اول ما نبت على ساق .

(٣) (بالهمزة) أي تقلبها . الارزبة : عصبة من حديد .

(٤) قصف الشيء : كسره .

(٥) الاختلاج : مرض من الامراض وقد ذكره الاطباء وهو حركة سريعة متواترة غير عادية تعرض لجزء من البدن .

الكافر ليهوّن على الله ، حتى لو سأله الدنيا بما فيها اعطاه ذلك من غير ان ينتقص من ملكه شيئاً ، وان الله ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الغائب اهله بالطرف (١) ، وانه ليحميه الدنيا كما يحمي الطبيب المريض .

وعن يونس بن عمار قال : قلت لابي عبدالله (ع) : ان هذا الذي ظهر بوجهي (٢) يزعم الناس ان الله لم يبتل به عبداً له فيه حاجة ، قال ، فقال لي : لقد كان مؤمن آل فرعون مكنع الاصابع (٣) ، فكان يقول هكذا ـ ويمدّ يديه ـ ويقول : « يا قوم اتبعوا المرسلين » ثم قال لي : اذا كان الثلث الاخير من الليل في اوله فتوضأ وقم الى صلاتك التي تصليها ، فاذا كنت في السجدة الاخيرة من الركعتين الاوليين فقل وانت ساجد : « يا عليّ يا عظيم ، يا رحمن يا رحيم ، يا سامع الدعوات يا معطي الخيرات ، صلِ على محمد وآل محمد واعطني من خير الدنيا والآخرة ما أنت اهله واصرف عني من شر الدنيا والآخرة ما انت اهله واذهب عني هذا الوجع ـ وتسميه ـ فانه قد غاظني واحزنني ، والحّ في الدعاء قال : فما وصلت الى الكوفة حتى اذهب الله به عني كله .

***

على كل فرد ان يعتبر بما يراه من نقص في الآخرين ، فاذا

---

(١) الطرف : جمع طرفة وهي ما يستطرف أي يستملح . ويحميه : يمنعه .

(٢) الآثار التي ظهرت بوجهه كان برصاً ويحتمل الجذام .

(٣) هو الذي وقعت اصابعه .

رأى رجلا اعمى عليه أن يشكر الله الذي عافاه من العمى ، وان رأى رجلا ألكن عليه ان يشكر الله على وهبه من طلاقة فى اللسان وان رأى سائلا محتاجاً عليه ان يقدم له مع الامتنان من فضول ماله وان يشكر الله على ما انعم عليه من غنى وعدم الحاجة الى آخرين .

فعن ابى جعفر (ع) قال : اذا رأيت الرجل مرَّ به البلاء فقل : الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني عليك وعلى كثير ممن خلقه ، ولا تُسمعه .

* * *

ان ما ذكرناه لحد الآن خاص بنوائب بسيطة لا تؤدي الى الابادة والهلاك ، لكن الزلازل تزهق النفوس وتبيد القرى ، وكذلك العواصف الشديدة ، والاوبئة وامثالها ، فان الله تبارك وتعالى يريد بهذا ان يعلم الناس ان الحياة والممات بيده ولا يعجزه شيء فى الارض ولا فى السماء ، كي ينتبه هذا الانسان عن غوايته وطيشه ، فلا يعصي الله فى السر والعلن (١) ويترك ما عليه من فساد وافساد فى الارض . « والله لا يحبّ الفساد » ، وهو القائل :

« أفأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون ، أوَ أمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحىً وهم يلعبون ، أفأمنوا مكر الله ،

---

(١) انه تعالى يقول : « وذروا ظاهر الاثم وباطنه ، ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون » (سورة الانعام : ١٢٠) .

فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ، أو لم يهدِ للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون » (١) .

وفى استطاعته تعالى ان يبيد الارض ومن عليها في طرفة عين وهو القائل : فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسوّمة عند ربك وماهي من الظالمين ببعيد (سورة هود : ٨٢ ، ٨٣) .

« واخذ الذين ظلموا الصيحة ، فاصبحوا في دارهم جاثمين ، كأن لم يغنوا فيها ، الا ان ثمود كفروا ربهم ، ألا بعداً لثمود » (٢)

وحاشَ لله ان يريد ظلماً بأحد من الناس . وهو القائل : « وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون » (٣) « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير » (سورة الشورى : ٣٠)

فتارة تكون هذه الزلازل للعقاب أي ان الله يبيد قسماً من عباده العاصين لافسادهم في الارض ولعدم تأثير النصح فيهم والامهال ، بعد اتمام الحجج البالغة مع تنوعها وكثرتها .

وتارة تكون عبرة للآخرين ليعلموا : « ان ربك لبالمرصاد » ولكي ينتهوا عما هم فيه من معاصٍ وافساد في الارض ، ويتوجهوا الى الحق المتعال . فاذا كان في من ابيدوا رجال صالحون ، فسينالون اجرهم

---

(١) سورة الاعراف : ٩٦ ـ ٩٧

(٢) سورة هود : ٦٧ ـ ٦٨ ، (٣) سورة النحل : ١١٨

اضعافاً مضاعفة في آخرة سعيدة تستمر ملايين السنين . وان كان أحد هؤلاء الذين تنتابهم الزلازل او يصيبهم الغرق من الصلحاء فقد فاز بدرجة الشهادة كما جاء في بعض الاخبار . وان كان ممن « خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً » أي كانت له اعمال صالحة واعمال سيئة ، فهذا الغرق أو الحرق أو ابتلاع الارض له يكون كفارة لذنوبه ، فيكون بفضله تعالى من اصحاب الجنة فيصبح ما نعدّه نقمة ، رحمة له .

فكم من اناس ينهدم عليهم سقف أو حائط فيموتون حالا ، ولكن هذا النوع من الموت رحمة ، يجب على العبد ان يشكر الله عليه لأن مآله الجنة ان شاء الله ، شريطة ان لا يكون هذا الشخص ممن كفر بأنعم الله أو جحد وجود الله !؟ فلا تطهره الحالات الخاصة من الكوارث والبلايا المهلكة !

إذن ، ليست الزلازل والعواصف على ما يظنه البعض ، بلاءاً ونقمة ، وإنما هي ألطاف ربانية ورحمة .

يحدثنا عبدالله بن سلام عن رسول الله (ص) ، قال سألت رسول الله (ص) فقلت : اخبرني ، أيعذب الله عزوجل خلقاً بلا حجة فقال : معاذ الله ، قلت : فأولاد المشركين في الجنة أم في النار ؟ فقال : الله تبارك وتعالى أولى بهم ، انه اذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلائق لفصل القضايا . يأتي بأولاد المشركين فيقول : عبيدي وإمائي مَن ربكم وما دينكم وما اعمالكم قال فيقولون : اللهم أنت ربنا ، أنت خلقتنا ولم نخلق شيئاً وأمتنا ولم نمت شيئاً ، ولم تجعل لنا ألسنة

ننطق بها ولا اسماعاً نسمع بها ولا كتاباً نقرؤه ولا رسولا فنتبعه . ولا علم لنا الا ما علمتنا ، قال فيقول لهم عزوجل : عبيدي وامائي : إن امرتكم بأمر تفعلوه ، فيقولون : السمع والطاعـــة لك ربنا ، قال : فيأمر الله عزوجل ناراً : يقال لها الغلق ، أشد شيء في جهنم عذابا ، فيخرج من مكانها سوداء مظلمة بالسلاسل والاغلال ، فيأمرها الله عزوجل ان تنفخ في وجوه الخلائق نفخة . فمن شدة نفختها تنقطع السماء وتنطمس النجوم وتجمد البحار وتزول الجبال وتظلم الابصار وتضع الحوامل حملها وتشيب الولدان من هولها يوم القيامة . ثم يأمر الله تبارك وتعالى : اطفال المشركين ان يلقوا انفسهم في تلك النار . فمن سبق له في علم الله عزوجل ان يكون سعيداً القى نفسه فيها فكانت عليه برداً وسلاماً ، كما كانت على ابراهيم (ع) ، ومن سبق له في علم الله عزوجل ان يكون شقيا امتنع ، فلم يلق نفسه في النار ، فيأمر الله تبارك وتعالى النار فتلتقطه لتركه امر الله وامتناعه من الدخول فيها ، فيكون تبعاً لآبائه في جهنم ، وذلك قوله عزوجل : « فمنهم شقي وسعيد ، فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق ، خالدين فيها ما دامت السماوات والارض الا ماشاء ربك ان ربك فعال لما يريد . واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والارض الا ما شاء ربك ، عطاءً غير مجذوذ (١) .

وعن ابي جعفر عليه السلام قال : اذا كان يوم القيامة ، احتج الله عزوجل على سبعة : على الطفل ، والذي مات بين النبيين ، والشيخ الكبير الذي ادرك

---

(١) سورة هود : ١٠٩ . غير مجذوذ : غير منقطع .

النبي وهو لا يعقل ، والأبله ، والمجنون الذي لا يعقل ، والاصم والابكم . فكل واحد منهم يحتج على الله عزوجل ، فيبعث الله عزوجل اليهم رسولا ، فيؤجج اليهم ناراً ويقول : ان ربكم يأمركم ان تثبوا فيها ، فمن وثب فيها كانت عليه برداً وسلاماً ومن عصى سيق الى النار » .

وقد علمنا الله تبارك وتعالى على لسان انبيائه واوصياء انبيائه كيف ندرأ عنا العذاب فان الصاعقة لا تصيب المؤمن اذا كان ذاكراً لله تعالى لا ينفك عن ذكره .

فعن ابي بصير قال : سألت ابا عبدالله عن ميتة المؤمن قال « يموت المؤمن بكل ميتة : يموت غرقاً ويموت بالهدم ، ويبتلى بالسبع ويموت بالصاعقة ولا تصيب ذاكراً لله عزوجل » .

وقد يعترض البعض : لماذا يبكي الطفل ؟ ولقد ثبت ان هذا البكاء رياضة مفيدة لجوارح الطفل ، فبكاؤه يؤدي الى حركات مختلفة نافعة في اعضائه ، في القلب والدم والرئة والحنجرة والأعصاب والعضلات والاطراف والوجه والبطن الى ما هنالك . وهو نداء في بعض الاوقات لبعض حاجات الطفل وكلما تقدم هذا العلم المادي عُلم أن ما من شيء في تركيب جسم الانسان وسائر الحيوانات الا عن حكمة بالغة ، لم يقف عليها البشر لقلة معلوماته وجهله غير المتناهي وعدم تقدم العلم الى درجة مرموقة ، وقد علموا اخيراً أن للزائدة الدوديه واللوزتين آثارها وفوائدها .

إن الله قد يجعل الولد يولد اعمى ، محروماً من البصر ، وفي ذلك اسباب وحكم خفيت علينا ، منها ان هذا الاعمى قد قبل في عالم الذر وارتضى ان يكون عديم البصر ، حتى ينال في هذه الدنيا الموقتة

مراتب تقربه الى الله ومزيداً من المعارف الآلهية ، ذلك لان من أهم القربات تقبل الأذى والصبر على النوائب ، وقد صبر هذا الاعمى طوال عمره على هذه المحرومية ، ليكف عن نفسه تلك المعاصي الكثيرة التي يرتكبها بالباصرة . فأجره عظيم وثوابه جزيل ، ولعله خير فى عالم الذر بين أن يكون مبصراً مع العصيان والكفر وسوء العاقبة ، وبين ان يكون اعمى ، متقرباً الى الله مع حسن العاقبة ، فاختار لصفاء في نفسه ولعقل اودعه الله فيه ، الشق الاول ، ففاز بحسن العاقبة وجنات عدن .

واصبح بتقبله العمى عبرة الآخرين وموعظة للمبصرين ، حتى يشكروا الله على ما منحهم من نعمة الابصار ، وما اعظمها !..

فعلى المرء ان لا يغتر بأفكاره وما هو عليه من معلومات ضئيلة جداً بالنسبة لما اودع الله من قوانين وانظمة مترابطة في هذا الكون الرحيب ، « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى من فطور ، ثم ارجع البصر كرتين ، ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير » (١) .

وهو القائل : « ولو أن ما في الأرض من شجرة اقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله » (٢)

ذلك ، لأن الارض التي نعيش عليها كبهاءة ضئيلة في شعاع الشمس اذا دخل من نافذة في غرفة مظلمة . فاذا نسبنا حجم مجبرة موضوعة على

---

(١) سورة الملك : ٣ ـ ٤

(٢) سورة لقمان : : ٢٧ ما نفدت : ما انتهت

منضدة الى الغرفة بل الى البيت ، بل الى المدينة التي نعيش فيها بل الى القطر الذي نعيش فيه ، الى القارة (آسيا) التي نحن من ضمنها لكانت نسبة حجم ارضنا الى هذا الكون الرحيب ، أقل بكثير من تلك النسبة . فما اوسع هذا العالم !

ومعلوم ان ارضنا هذه ليست الا واحداً من الكواكب السيارة التسعة ، وهي تدور مع رفيقاتها (وهي بالترتيب) : عطارد ، الزهرة ، الارض ، المريخ ، المشترى ، زحل ، اورانوس ، نبتون ، بلوتو حول الشمس في منحنيات اهليليجية (قطع ناقص) . وما اصعب رسم القطع الناقص فى الهندسة ، ومعادلته :

$$\frac{س^{٢}}{ب^{٢}} + \frac{ص^{٢}}{جـ^{٢}} = ١$$

(ب = نصف القطر الكبير ، جـ = نصف القطر الصغير)

وان هذه المجموعة الشمسية تضم فضلا عن ذلك حوالي ١٦٠٠ كويكب صغير يتراوح قطر الواحد منها ما بين كيلو مترين الى ٨٠٠ كيلو متر تقريباً . وكل منها يدور في فلك خاص به ، ولكنها جميعاً موجودة فى الفضاء الواسع المحصور بين فلكي المريخ والمشترى .

وان الاجرام السماوية التي نراها منتشرة بكثرة هائلة في السماوات ليست كلها نجوماً ، كما نتحدث عنها فى حياتنا العامة ، بل انها تضم اجراماً اخرى كثيرة من اهمها الكواكب وتوابعها من الاقمار ، ولكننا مع ذلك لا نستطيع أن نميز بسهولة بمجرد النظر الى السماء بالعين المجردة بين الكواكب والنجوم لانها جميعاً تبدو متشابهة الى حد كبير .

ولهذا السبب فان لنا كثيراً من العذر فى ان نطلق عليها : اسم النجوم (١) .

أما علماء الفلك فيمكنهم ان يميزوا النجوم عن الكواكب بواسطة المناظر المكبرة ، وهم يقولون ان النجم ((Star)) يختلف عن الكوكب ((Planet)) من ناحيتين اساسيتين هما :

١ — ان النجم اعظم حجماً بكثير من الكواكب ، فبينما نجد مثلا أن قطر اكبر كوكب من كواكب المجموعة الشمسية وهو المشترى يبلغ حوالي (١٤٤) الف كيلو متر ، أو : (٩٠ الف ميل) نجد ان قطر الشمس وهي النجم الذي تتبعه هذه الكواكب ١٣٨٤٠٠٠ كيلو متر ، (٨٦٥٠٠٠ ميل) ، مع ملاحظة ان الشمس ليست هي اكبر النجوم بأي حال من الاحوال . فمن النجوم ما هو اكبر منها بكثير ومنها ما هو اصغر منها . ويطلق على الاولى اسم : النجوم العالقة ، بينما يطلق على الثانية اسم : « النجوم الاقزام » .

٢ — ان النجم يكون دائماً ملتهباً ومضيئاً إضاءة ذاتية ، ويرجع ذلك الى عظم حجمه لان هـــذا العظم يترتب عليه ازدياد الضغط والحرارة فى باطنه زيادة تؤدي الى حدوث تفاعلات كثيرة تتولد عنها باستمرار طاقة هيدروجينية وذرية عظيمة جداً . اما الكوكب فان صغر حجمه نسبياً لا يساعد على تولد مثل هذه الطاقة ، ولذلك ، فانه يكون دائماً معتماً وليس له ضوء خاص به . ولـكن على الرغم من ذلك . فان الـكواكب تبدو لنا مضيئة بسبب انعكاس ضوء النجوم على سطحها .

---

(١) أسرار غزو الفضاء : للدكتور عبدالعزيز شرف .

وتوجد فى الفضاء ملايين ملايين من النجوم والكواكب . وعدد النجوم المعروفة لنا في الوقت الحاضر اكثر من ١٥٠ الف مليون نجم بكثير وليست الشمس الا واحداً منها . وتفصل النجوم بعضها عن بعض مسافات لا يمكن تصورها ولا يمكن تقديرها بوحدات القياس العادية ، ولهذا السبب اتفق علماء الفلك على استخدام وحدة خاصة لقياس هذه المسافات (١) ، وهذه الوحدة هي السنة الضوئية ويقصد بها المسافة التي يستطيع الضوء ، وسرعته (٣٠٠ر٠٠٠) كيلو متر في الثانية ، او (١٩٥٠٠٠ ميل) ان يقطعها فى سنة كاملة وهي تساوي على وجه التقريب (٩٤٦١٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠) كيلو متر أو (٥٨٧٥ر١٥٧ر٠٠٠ر٠٠٠ ميل) .

أما البعد بين الكواكب السيارة بعضها عن بعض فتستخدم في قياسه وحدة اخرى اصغر من السنة الضوئية ، ويطلق عليها اسم الوحدة الفلكية .

Astr onomical Unit ومقدارها هو متوسط البعد بين الارض والشمس فى الفصول المختلفة وهو ١٤٨ مليون كيلو متر : (٩٣ مليون ميل) .

واذا نظرنا الى السماء في ليلة صافية لاحظنا ان بعض النجوم اكثر لمعاناً من بعضها الآخر ، ولكن يجب ان لا نأخذ هذا اللمعان دائماً دليلا على ضخامة النجم ، لان بعض النجوم قد تكون اكثر لمعاناً من نجوم اخرى اضخم منها ، لا لشيء الا لأن الاخيرة ابعد عن الاولى .

وربما يخيل الى البعض منا ان النجوم مبعثرة فى السماء دون ان يكون لها

---

(١) قد شرحنا هذا الموضوع فى بقية اجزاء التكامل شرحاً وافياً .

نظام ثابت ، وفي هذا خطأ شديد . إذ الواقع انها منظمة الى ابعد الحدود ، بحكمة الله جلت قدرته في مجموعات : هي التي تسمى بالمجرات . ومن اهمها بالنسبة لنا : المجرة التي نحن من ابنائها وهي تشتهر عندنا باسم : (سكة التبانة) ، بينما تشتهر عند الاوربيين باسم : (السكة اللبنية Milky way) ويمكننا ان نميزها بسهولة اذا نظرنا الى السماء حيث نجد انها تمتد على شكل نطاق عظيم متصل لا نهاية له ، وفي هذا النطاق تتزاحم النجوم بدرجة يجعل لونها يميل الى الى البياض ، وهذا هو السبب الذي اوحي للعرب بأن يطلقوا عليه اسم : سكة التبانة ، وفي هذه التسمية تشبيه بين النجوم الكثيرة المتناثرة وجزيئات التبن التي تتطاير على طول الطريق الذي يسير فيه بائعوه . وهو نفس السبب الذي اوحي للكتاب الغربيين ان يطلقوا عليه اسم : (طريق اللبن) .

وليست شمسنا بكواكبها واقمارها الا جزءاً من هذه المجرة ، ولكنه جزء ضئيل جداً لا يشغل منها الا مساحة اشبه بالمساحة التي تشغلها حبة رمل واحدة من اراضي مصر كلها .

وبالاضافة الى مجرتنا : سكة التبانة ، خلق الله مجرات اخرى كثيرة جداً ، بعضها اكبر من مجرتنا حجماً ويبلغ عدد المجرات المعروفة عندنا لحد اليوم مائة مليون مجرة تقريباً . ومن اقربها الى مجرتنا مجرة : الأندروميدا ، او ، المرأة المتسلسلة ، وهي تبعد عنا بنحو ٧٥٠ الف سنة ضوئية ، ولهذا فليس من العجيب ان نراها ضئيلة في الفضاء ، وهي تبدو على شكل سحابة صغيرة يبلغ طولها حوالي قطر قرص القمر عندما يكون بدراً ، بينما يبلغ عرضها نصف ذلك تقريباً وهي ذات ذراعين يميزانها عن غيرها من المجرات .

وتفصل المجرات بعضها عن بعض مسافات شاسعة جداً من الفضاء يبلغ طولها فى المتوسط حوالي مليونين من السنين الضوئية ، وهي جميعاً تتبع نظاماً واحداً فى حركاتها . فكل مجرة منها تدور حول نفسها كما يدور قرص الرحى ، وكل نجم من نجومها يدور حول نفسه بنفس النظام وكل كوكب أو قمر من اقمارها يدور كذلك بنفس النظام وفى نفس الاتجاه ولكن بسرعات مختلفة ، كما نشاهد ذلك في حركة الالكترونات حول البروتونات المتجمعة فى بطن الذرة ولكن بسرعات مختلفة ايضاً . وهذا دليل على وحدة الخلق ووحدانية الخالق جلت عظمته « ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت » (١) « ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ، ان الله سميع بصير » (٢)

ويبلغ قطر مجرتنا : (سكة التبانة) من أحد طرفيها حتى طرفها الآخر مائة الف سنة ضوئية ، وتقع الشمس على بعد حوالي ٣٠ الف سنة ضوئية من مركزها ، وتدور الشمس حول هذا المركز مرة كل ٢٥٠ مليون سنة تقريباً : « وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدّون » (٣) .

وحتى في المجرة الواحدة تجد أن الابعاد التي تفصل النجوم بعضها عن بعض شاسعة جداً . فالبعد بين شمسنا وبين اقرب النجوم الاخرى الينا يزيد على ٤١ مليون مليون كيلو متر أو : (٢٦ مليون مليون ميل) أي

---

(١) سورة الملك : ٣

(٢) سورة لقمان : ٢٨ ، (٣) سورة الحج : ٤٧

حوالي ٤ر٤ سنة ضوئية . فلو اننا مثلنا الشمس بنقطة وأردنا ان نمثل اقرب نجم لها لمثلناه بنقطة اخرى تبعد عن الاولى بنحو ٦ كيلو مترات !

وهكذا نجد اننا بأرضنا وشمسنا وقمرنا واقربائنا من الكواكب وتوابعها فى عزلة تامة عن سائر الاكوان ، ويفصل بيننا وبينها فضاء تام لا نعرف حتى الآن صفاته على وجه التحديد .

وشمسنا عبارة عن كرة ضخمة ملتهبة قطرها ١ر٢٢٤٠٠٠ كيلو متر أو : (٨٦٥٣٨٠ ميلا) ، اما الارض فقطرها بين القطبين ١٢٧١٤ كيلو متراً = (٧٩٠٠ ميل) ويزيد قطرها الاستوائي بنحو ٤٣ كيلو متراً . اما حجمها فلا يزيد على $\frac{١}{٣٣٣٤٠٠}$ فقط من حجم الشمس .

وتقدر درجة الحرارة على سطح الشمس بنحو ٦٠٠ درجة مئوية ، اما في باطنها فترتفع الى اكثر من ٢٠ مليون درجة . ويمكننا ان نقدر مدى هـذه الحرارة اذا عرفنا ان الحديد ينصهر فى ١٥٠٠ درجة مئوية فقط .

وتتولد حرارة الشمس وغيرها من النجوم نتيجة للانفجارات الذرية والهيدروجينية التي تحدث فيها باستمرار بسبب الضغط والحرارة العظيمين في باطنها من ناحية ووجود عنصري الهيدروجين والهيليوم بكثرة هائلة فيها من ناحية اخرى . فمن المعروف ان هذين العنصرين هما العنصران الاساسيان فى توليد الطاقة الهيدروجينية ، وفضلا عن ذلك فقد ثبت ايضاً : أن اليورانيوم وهو العنصر اللازم لتوليد الطاقة الذرية موجود هو الآخر بكثرة هائلة في الشمس ولـكنه أقل نسبياً من الايدروجين والهيليوم .

وتنبعث من الشمس باستمرار اشعاعات قوية جداً ولكن لا يصل الى ارضنا منها الا ما يعادل $\frac{١}{٢٢٠٠٠ \text{ مليون}}$ فقط . وهي ميزة لم يخص بها أي كوكب آخر ، فلو أن الارض اقتربت من الشمس اكثر مما عليه الآن لازدادت الاشعة التي تصل اليها بدرجة تؤدي الى امتناع الحياة فوقها ، كما هي الحال في عطارد والزهرة ، ولو انها ابتعدت عنها اكثر مما هي عليه الآن ، لحدث العكس وقلت الأشعة وازدادت قسوة البرد بدرجة تؤدي كذلك الى امتناع الحياة ، كما هي الحال في المشترى وزحل وغيرهما من الكواكب التى تلي الارض من الناحية البعيدة عن الشمس : وهو القائل : « فلا اقسم بمواقع النجوم ، وانه لقسم لو تعلمون عظيم » (١)

فالله تعالى بعظيم حكمته وسريع حسابه اختص الارض بهذا الموقع ، وكذلك اختصها بميزة اخرى لم تكن الحياة لتقوم بدونها ، وهذه الميزة هي انها مغلفة تماماً بغلاف غازي كثيف يتكون من جميع العناصر الضرورية للحياة . وهذا بخلاف الحال بالنسبة لباقي الكواكب التي ليس لأي واحد منها غلاف هوائي كافٍ لظهور الحياة ، وان كان بعض علماء الفلك يعتقدون أن المريخ له غلاف غازي ولكنه رقيق جداً ، وغير صالح للحياة لخلوه من الاوكسيجين ، وان الزهرة لها كذلك غلاف غازي . ولكنه مكون فى جملته من ثاني اوكسيد الكاربون مما يجعله هو الآخر غير صالح لظهور الحياة ، وكذلك قمرنا المعروف له غلاف غازي ولكنه رقيق جداً وخالٍ من العناصر الضرورية للحياة مثل الاوكسيجين .

---

(١) سورة الواقعة : ٧٥ ـ ٧٦

وتدور الكواكب والكويكبات كلها حول الشمس في افلاك إهليلجية (بيضاوية تقريباً) تقع كلها فى مستوى واحد تقريباً ، ولكنها تختلف فى سرعة دورانها سواء حول الشمس أو حول نفسها . إلا أن سرعة دورانها تكون اكبر بصفة عامة كلما كانت اقرب الى الشمس . فبينما يتحرك عطارد في فلكه حول الشمس بسرعة ٤ كيلو مترات في الثانية نجد ان سرعة الزهرة هي ٣٥ كم والارض ٢٩٫٥ كم والمريخ ٢٤ كيلو متراً في الثانية .

ومن المعروف أن جاذبية الشمس هى العامل الرئيسي الذي يتوقف عليه نظام حركة الكواكب في افلاكها ، وما ذلك الا لعظم حجم الشمس التى تستحوذ بمفردها على ٩٨٫٨٦٦ ٪ من حجم المجموعة الشمسية كلها . أما بقية المجموعة بكواكبها وكويكباتها واقمارها فتكون ١٫١٣٤ ٪ .

وان المشترى اكبر الكواكب حجماً ويعادل حجم الارض وحدها ٣١٨ مرة . وأقرب الكواكب الى الارض هي الزهرة التي يبلغ حجمها ٦/٥ من حجم الارض ، ويلي الزهرة في ذلك : المريخ ثم عطارد ويبلغ حجمها ٩/١ و ٢٧/١ من حجم الارض على الترتيب .

ويعتبر المشترى اكثر الكواكب اقماراً ، اذ أن له احد عشر قمراً ويليه فى ذلك زحل وله تسعة اقمار .

وتضم المجموعة الشمسية ، بالاضافة الى الكواكب والاقمار التى سبق ذكرها عدداً كبيراً من المذنبات Comets التى تدور حول الشمس في

افلاك مستقلة ليست لها علاقة واضحة بالافلاك التى تدور فيها الكواكب السيارة . وأهم ما تتميز به المذنبات هو الغازات الملتهبة التى تنبعث منها وتظهر خلفها على شكل ذنب طويل قد يمتد الملايين الكيلو مترات . وتخرج من رؤوس المذنبات كذلك اجسام مختلفة الاحجام من نوع الشهب ، وتدور هذه الاجسام مع المذنب وكثيراً ما تحترق خصوصاً عندما يكون المذنب فى اقرب وضع له من الشمس ، فيساعد احتراقها هذا على زيادة حجم المذنب ، وهناك عدد من المذنبات المعروفة التى من اشهرها : المذنب هالى Halley والمذنب مورهاوس Morehouse ويتميز هذا الاخير بأن له ذنبين .

ويجب ان نشير هنا ايضاً الى تلك الاجسام الكونية التي تنتشر بكثرة هائلة في الفضاء وتشمل الشهب والنيازك والغبار الكوني ، والشهب Meteors ليست الا جزيئات صغيرة جداً ، قد لا يزيد حجمها على حجم حبات الرمل . وهي تندفع باستمرار نحو الارض بمعدل عدة آلاف يومياً . ولكنها لا ترى الا عند اختراقها للغلاف الغازي المحيط بالارض لان احتكاكها الشديد بالهواء يؤدي الى احتراقها وظهورها مضيئة .

ومنظر الشهب المحترقة في الجو منظر مألوف لنا جميعاً . ويمكننا ان نشاهده بكثرة في الليالي الصافية . ففي مثل هذه الليالي يستطيع المرء ان يحصي اكثر من عشرة من الشهب المتساقطة في الدقيقة الواحدة ، وتكون سرعة هذه الشهب عند اختراقها للغلاف الغازي عظيمة جداً .

بحيث تصل احياناً الى حوالي ٧٠ كيلو متراً في الثانية . ولهذا فان اغلبها لا يصل الى الارض بل يحترق ويتبخر في الفضاء . وهذا فضل من الله سبحانه وتعالى ، فلولا ذلك ، لكانت لهذه الشهب اخطار شديدة جداً على كل مظاهر الحياة على وجه الارض ، بسبب قوة اندفاعها التى تزيد على قوة اندفاع اقوى المقذوفات النارية على الرغم من صغر حجمها . « وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون » (١)

أما النيازك Meteorites فلا تختلف في اصلها عن الشهب ، وكل ما هنالك هو انها لا تحترق ولا تتبخر تماماً فى الجو بل تستطيع أن تصل الى سطح الارض . ويرجع ذلك غالباً الى انها تكون اكبر حجماً واثقل وزناً من الشهب العادية ، وليس هناك حجم او وزن معين لهذه النيازك ، فقد يبلغ وزن البعض منها عشرات الاطنان . واذا ما سقطت مثل هذه النيازك على بقعة عامرة ، فقد يترتب على سقوطها حدوث خسائر جسيمة ، ولكن سقوطها نادر الحدوث جداً بفضله تعالى .

ومن اشهر النيازك التي سقطت على الارض ذلك النيزك الذي سقط على سيبريا سنة ١٩٠٨ واختفت بسببه الحياة النباتية اختفاءاً تاماً من منطقة قطرها حوالي ٧٥ ميلا ، ثم النيزك الذي سقط على اريزونا وتكونت بسببه حفرة اشبه بفوهة بركان ضخمة قطرها حوالي كيلو متر

---

(١) سورة الانبياء : ٣٢

ونصف وعمقها حوالي ١٨٠ متراً . ولا يزال هـذا النيزك ظاهراً في قاع تلك الحفرة حتى الآن على الرغم من تراكم الرمال فوقه .

اما الغبار الـكوني Cosmic Dust فيتكون من جزيئات ميكروسكوبية تسبح بكثرة هائلة في الفضاء ، وقد اجريت فى روسيا والولايات المتحدة خلال السنوات الاخيرة عدة تجارب لدراسة اثر هذا الغبار على الاجسام الصلبة ، حيث كانت تطلق في الفضاء الى اقصى ارتفاع ممكن اطباق مصنوعة من معدن مصقول جداً (الاطباق الطائرة) ، وقد تبين من اختبار هذه الاطباق بعد عودتها الى الارض أن بها آثاراً عديدة جداً لضربات الحبيبات الدقيقة للغبار الـكوني ، ولـكنها عموماً آثار صغيرة جداً ، لدرجة ان اغلبها لا يرى الا بالميكروسكوب .

وقـد تبين من بعض التجارب التي اجريت فى الولايات المتحدة خلال سنة ١٩٥٣ والتي اطلقت فيها اطباق طائرة وصلت الى ارتفـاع يتراوح بين ٤٠ و ١٤٠ كيلو متراً في الفضاء ، أن الضربات التى سجلت على هذه الاطباق من حبيبات الغبار الـكوني كانت تحدث بمعدل ٤٫٩ ضربة في الثانية على السطح الذي تبلغ مساحته متراً مربعاً واحداً .

وقد علم اخيراً ان هناك نوعاً آخر من الاشعاعات الخطرة فى الفضاء على ارتفاع ٤٠٠ كيلو متر ، وان هذه الاشعاعات شديدة جداً لدرجة انها كانت تؤدي الى تعطيل عمل الاجهزة الخاصة بقياس الأشعة فوق البنفسجية .

* * *

على الانسان ان يتصاغر امام عظمة الله تعالى ، تلك العظمة التى تتجلى بعض مظاهرها في ما خلق من هذه العوالم اللانهائية وما فيها من انظمة دقيقة ومعادلات رصينة ودساتير ثابتة ، فاذا رأى حادثة لا يقوى على تفسيرها وكشف الحكمة فيها ، فليصم نفسه بالجهل لقلة معلوماته عن هذا الكون الغامض . فمن شاهد لوحة تصوير فى غاية الاتقان والبداعة ورأى في اسفلها بعض الخطوط والنقوش ولم يتمكن من تفسيرها وتعليلها فلا ينبغي ان يصم المصور الفنان بفقدان الذوق ، بل عليه ان يتهم نفسه بعدم الفهم بعد ان شاهد الروائع والكمال الى اقصى حد ممكن في اللوحة بأسرها .

نعم ، كان يقول : (بوخنر) المادي « بما أنا لا نعلم سبب وجود هذه النجوم بهذه الكثرة إذن ليس هناك هدف من خلق هذا العالم ، وقد وجد هذا الكون بطريقة عشوائية ! » حين ان الرجل لم يكن من المتضلعين في علم الهيئة والفلك والميكانيك السماوي ، ولم يكن قد اكتشف فى وقت قال فيه قولته الالحادية : علم الفلك اللاسلكي وخصائص الذرة ومعادلاتها الرصينة . نعم ان النفوس الحالكة لا يصدر منها الا ما يناسبها . « بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » . (وكل اناء بالذي فيه ينضح) .

يقول (ويليام كروكس) وهو احد اساطين علم الذرة : « ان اعتقادي بجهلي هو الذي ساعدني فى دراساتي الروحية وكشف كثير من اسرار الطبيعة : تلك التي ما كنت اتوقع ان تنكشف لي ابداً » .

ويقول : (اوليفر لودج) ، وكانت له يدٌ في كشف اللاسلكي : « ان ما اعلمه صفر تجاه ما لا اعلمه » ، وقد يعترف البعض بجهلهم لا عن عقيدة راسخة ، الا اني اقول ذلك واعترف بجهلي عن عقيدة رصينة وايمان كامل » .

وكان يقول (اينشتاين) شيخ علماء العصر الحديث ، بعد ان رماه بعض اعدائه بالكفر والالحاد نتيجة لما نشره من نظريات في علوم الطبيعة والكون : « كيف يتهمني هؤلاء الناس بالكفر والالحاد ، وانا الذي يزداد ايماني في كل يوم بوجود الله وعظمته ، فكلما تعمقت في العلم تبين لي بجلاء ان هذا الكون بنظامه الدقيق لابد ان يكون له خالق عاقل ، له القدرة على تنظيمه والمحافظة على هذا التنظيم » (١)

ويقول العالم الامريكي (فون براون) : « ان العالم الحقيقي هو الذي يزداد ايمانه بالله كلما تبحر في العلم ، لانه كلما تعمق في دراسة علوم الطبيعة مثلا تبين له ان بعض التعبيرات الرنانة التي يستخدمها في دراساته مثل : الطاقة والمادة ما زالت في الواقع غير مفهومة له ، وفضلا عن ذلك ، فان هناك مشاكل كثيرة ما زال الانسان وسيظل دائماً عاجزاً عن تفسيرها وحل الغازها ومن اهمها مشاكل الوراثة ، ويكفي ان يعرف الانسان انه يولد من ابوين لا يمكن ان يكون له أي دخل في اختيارهما » .

* * *

فلله في خلقه شؤون ، وهو خير محض وما يصدر منه خير محض

---

(١) اسرار غزو الفضاء : ص : ٣ للدكتور عبدالعزيز شرف

وعن حكمة تامة ، ليس لهذا البشر ان يحيط بجميعها ، فيعزو لغروره الكوارث والنوائب والزلازل الى البلبلة وعدم الانتظام والهدف فى هذا الكون المنظم بدساتير رياضية وبحكمة بالغة الى أبعد الحدود .

وعلينا ان نعلم انه لم يؤتَ بنا الى هذه الدنيا الموقتة لنخلد فيها ولكي ننعم بأنواع النعم والملذات ، وانما جيء بنا ها هنا لكي نقطع هذا الدور الامتحاني ونذهب منها حسب الدرجة التكاملية التى نحصل عليها بعملنا وحسب جهدنا وجهادنا : « ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه » (١) « وان ليس للانسان الا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى » (٢) . « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » (٣) .

* * *

أما موضوع الموت ، فليس بالشيء الذي يقلق البال ، وقد يكون موت هؤلاء الاطفال لزلزلة أو عاصفة شديدة وهم غير مثقلين بالذنوب خيراً لهم من أن يموتوا بعد عمر طويل وهم مليئون بانواع الآثام والاجرام . وانهم بهذا الموت الفجائي اقرب من غيرهم الى رحمة الله تعالى . فالدنيا دار ممر والآخرة دار مقر . ويقول علي (ع) : « ماذا يصنع بالدنيا من خُلق للآخرة » .

« وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون » (٤) .

* * *

---

(١) سورة العنكبوت : ٦ (٢) سورة النجم : ٣٩ ـ ٤٠

(٣) سورة العنكبوت : ٦٩ (٤) سورة العنكبوت : ٦٤

وخلاصة القول : على الانسان ان يعلم : أن لا شر من جانب الله تعالى ، وكل ما يرد من جانب الله فهو إما رحمة أو تأديب او عقاب دنيوي لسعادة اخروية دائمة ، واما مطهر لهذه النفس من ذنوبها وادرانها ، وأن يعلم ان الله غني عن هذا الانسان وعن ظلمه وتعذيبه . ولكنه وهو الكامل على الاطلاق يريد به الكمال ، شأنه في كل ما خلق ، لأن الكامل لا يصدر منه الا الكمال . وقد يتوقف كمال هذا الانسان بما يطهره ويؤدبه ، ونعم الادب ، ادب الله تعالى . فقد قال رسول الله (ص) « أدبني ربي فأحسن تأديبي » ، وهو القائل : « يعظكم لعلكم تذكرون » (١) .

والانسان لحرصه الكثير على الراحة وحبه للخير وميله الى المادة يظن الكوارث أو بعض البلايا أو الاسقام شراً من الله تعالى ، « ان الانسان لربه لكنود ، وانه على ذلك لشهيد ، وانه لحب الخير لشديد » (٢) وهو القائل : « ما اصابك من حسنة فمن الله ، وما اصابك من سيئة فمن نفسك » (٣) فكل خير منه تعالى والشر مما اجترحت ايدينا .

فالكارثة أو المصيبة انما تأتي لتطهير النفس من ذنوب ادبرت لذاتها وأقامت تبعاتها ، فهي رحمة وأيما رحمة ، وقد أتم الله الحجة علينا بشتى الوسائل والمناسبات ، وقد تكون لمزيد الاجر ونيل درجات رفيعة ،

---

(١) سوره النحل : ٩٠

(٢) سوره العاديات ٦ ـ ٨ (٣) سوره النساء : ٧٩

وقد تضم الحادثة الواحدة بين جوانبها شتى التأثيرات . فرحمة لقوم ونعمة او عقاب لآخرين ونقمة ، أو عبرة لقوم وموعظة للمتعظين ، كالطوفان والرياح والعواصف الى ما هنالك .

فليعمل الانسان لنيل الدرجات العالية في عوالم القدس وليحسن الظن بربه ، ففي حديث قدسي عن الله تعالى : « اني عند حسن ظن عبدي » .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » (١)

* * *

ولنذكرها هنا بعض الادعية التي لها اثرها الفعال في تسكين النفس وإزالة بعض الهموم :

فعن الصادق (ع) : « اذا حزنك أمر من سلطان او غيره فأكثر من : « لا حول ولا قوة إلا بالله » فانها مفتاح الفرج . وكنز من كنوز الجنة .

وقد روي ان من صلى ركعتين بعد صلاة الظهر من يوم الجمعة ، يقرأ في كل ركعة بعد الحمد سبع مرات سورة الاخلاص (قل هو الله أحد) ويدعو بعدهما بهذا الدعاء :

« اللهم اجعلني من اهل الجنة التي حشوها البركة وعمارها الملائكة مع نبينا محمد صلى الله عليه وآله وأبينا ابراهيم عليه السلام » لم يرَ بلاءاً أو فتنةً الى الجمعة الآتية ويجمع الله بينه وبين محمد (ص) وابراهيم (ع) .

وعن ابي حمزة ، قال : قال محمد بن علي عليهما السلام : يا أبا حمزة ، ما لك اذا اتى بك أمر تخافه أن لا تتوجه الى بعض زوايا بيتك ـ يعني القبلة ـ فتصلي

---

(١) سورة التوبة : ١٠٦

ركعتين ، ثم تقول « يا ابصر الناظرين ويا اسمع السامعين ويا اسرع الحاسبين ويا ارحم الراحمين » سبعين مرة ، كلما دعوت بهذه الكلمات (مرة) سألت حاجة (١) .

وعن اسماعيل بن جابر ، عن ابي عبدالله (ع) في الهم ، قال : تغتسل وتصلي ركعتين وتقول : يا فارج الهم ، يا كاشف الغم ، يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها ، فرج همي واكشف غمي ، يا الله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد ، اعصمني وطهرني واذهب ببليتي . واقرأ آية الكرسي والمعوذتين . (سورة قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس) .

كان علي بن الحسين عليهما السلام ، يقول : ما ابالي اذا قلت هذه الكلمات لو اجتمع علي الانس والجن : بسم الله وبالله ومن الله والى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله (ص) ، اللهم اليك اسلمت نفسي واليك وجهت وجهي واليك الجأت ظهري واليك فوضت امري . اللهم احفظني بحفظ الايمان من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي ومن تحتي ومن قبلي (٢) وادفع عني بحولك وقوتك ، فانه لا حول ولا قوة الا بك (٣) .

وخاتمة المقال : علينا أن نعلم ان النوائب والكوارث بأنواعها المتعددة رحمات وألطاف ربانية تهدينا الى الصراط السوي وتزيل عنا ما علق بنا من أدران ، فتطهر نفوسنا وتجعلها قمينة لمعرفة الله المتعال ، وهي غاية الغايات .

« وما الله يريد ظلماً للعباد » (٤)

---

(١) اصول الكافي ج ٢ ص : ٥٥٦ (٢) في بعض النسخ (وما قبلي)

(٣) نفس المصدر ص ٥٥٩ (٤) سورة المؤمن : ٣١

« وما ربك بظلام للعبيد » (١)

« وما أنا بظلام للعبيد » (٢)

« ذلك بما قدمت ايديكم ، وأن الله ليس بظلام للعبيد » (٣)

« ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكةُ يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ، ذلك بما قدمت ايديكم ، وان الله ليس بظلام للعبيد » (٤) « ومن الناس مَن يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، ثاني عطفه ليضلّ عن سبيل الله ، له في الدنيا خزيٌ ونُذيقه يوم القيامة عذاب الحريق . ذلك بما قدمت يداك ، وان الله ليس بظلام للعبيد » (٥) .

« ووضع الكتابُ ، فترى المجرمين مُشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرةً ولا كبيرة إلا احصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضرا ، ولا يظلم ربك احدا » (٦) .

« ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفور . ولئن أذقناه نعماءَ بعد ضراء مسته ليقولنّ ذهب السيئات عني ، انه لفرح فخور ، إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرةٌ وأجر كبير » (٧) .

---

(١) سورة حم ـ سجدة : (٤٦)

(٢) سورة ق : ٢٩

(٣) سورة آل عمران : ١٨٢

(٤) سورة الانفال : ٥٠ ـ ٥١

(٥) سورة الحج : ٨ ـ ١٠ (٦) سورة الكهف : ٤٩ ، ٥٠ ـ مشفقين : خائفين

(٧) سورة هود : ٩ ـ ١١

ونسأل الله ان نكون ممن صبروا على النوائب والمحن وعملوا الصالحات ، فنالوا اجراً ومغفرة من الله المتعال ولم يكونوا من الآئسين من رحمته تعالى اذا نزعت منهم رحمته لحكمة ربانية خفيت علينا ، وان لا نكون فرحين فخورين ، اذا منّ الله علينا بنعماء بعد ضراء ، فنكون ممن استثناهم الله في ما سبق من آيات بينات ، بقوله جل من قائل : « إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات ، اولئك لهم مغفرة وأجر كبير » .

اسلام روجيه في بروكسل (١)

بدأ والد روجيه حياته المبكرة عامل كهرباء عند أحد المتعهدين الذين يتولون تمديد الاسلاك ، وتوقيع مرافقها المختلفة . . ولكنه كان من الفطنة ونفاذ النظر بحيث لا يفوته ان ينتفع بكل لحظة وكل سانحة ، لذلك لم يكد يستوثق من قدرته الذاتية وخبرته المكتسبة حتى عمد الى الاستقلال بعمله ، فأحدث لنفسه مركزاً صغيراً في ابرز شوارع انفرس . . ثم لم يمض سوى القليل من الزمن حتى عرف لدى اصحاب الانشاءات بأنه من ابرع العاملين في هذه المهنة واكثرهم اخلاصاً واتقاناً ، ومن هنا شق الطريق الى قمة النجاح ، حتى اصبح اليوم من اكبر تجار الادوات الكهربائية ، ليس فقط في انفرس بل في مختلف الانحاء من بلجيكا وما يجاورها من المدن الهولندية والفرنسية .

ولعل من حسن حظ (روجيه) أن يلده هذا العصامي الناجح ، وان يتولى هو نفسه تربيته وتنشئته ، بالدقة نفسها التي اعتاد ان يبذلها في ميدان العمل والتجارة ، وكان من الأسس الاولى لهذه التربية أن

---

(١) للاستاذ محمد المجذوب ، من مجلة حضارة الاسلام ، للسنة الرابعة شوال : ١٣٨٣

يحرر مواهب ولده من كل ضروب التقييد ، فيفسح له مجال البحث فى كل شيء ، ويمكنه من الاطلاع على كل ما من شأنه مساعدة هـذه المواهب على الانطـلاق . . وقد تعمد بوجه خاص ان يقوي في ولده جانب الاعتماد على النفس ، فلم يكرهه على اتجاه محدد . حتى فى نطاق الدراسة ترك له ان يقف عند حدود الشهادة الاعدادية دون ان يضغط عليه للملازمـة المدرسة . . وربما كان غرضه من ذلك ان يجعله اقرب الى عمله هو . . الذي لا يتطلب منه انقطاعاً الى الدراسة ، التي قد تحيد به الى أي اتجاه آخر .

على أن انقطاع (روجيه) عن المدرسة لم يصرفه عن مواصلة الدرس بطريقته الخاصة ، فلقد اقبل على المطالعة الحرة يلتهم بها كل ما وصلت اليه يده من الكتب ، ولاسيما فى موضوعات الادب والتاريخ والآثار القديمة ، وقد ركز ذهنه فى هذا الطريق عناية والده بالسياحات الدورية ، اذ كان شديد الحرص على هذه الهواية يخصص لها من كل عام شهراً كاملا ، فما ان تشرق شمس الربيع حتى يشحن سيارته الخاصة بضروري الامتعة وطيب الزاد ، ثم ينطلق مع ولده الى الجهة المقررة ، فلا يزالان يتنقلان بين آثارها حتى يأتيا على اجازتهما ، فيعودا وقد ملآ اعينهما ، واترعا صدريهما بالمتع التي لا تنسى . وحتى الآن لم يدعا جانباً هاماً من اوربا دون ان يأخذا بحظ من مشاهدته وتملي آثاره . . وها هما ذان يتمان طوافهما بين آثار اليونان وقد انتهت بهما الرحلة الى جزيرة (رودس) حيث مضى عليهما قرابة الاسبوع .

كان التقدير المبدئي ان لا تزيد اقامتهما فى رودس عن اليومين ، ولـكن رغبة روجيه في تمديدها ، واهتمام والده بتحقيق رغبته ، فرضا على الوالد ان

يعدل تخطيطه السابق ، ليتيح لولده ان يستكمل مشاهدته فى الجزيرة اليونانية .

وكان روجيه يقوم بجولة منفردة فى بعض شوارع رودس حين وجد نفسه امام مسجدها الوحيد . . ورأى هيكل المسجد شيئاً طريفاً تقع عليه عيناه لاول مرة خارج نطاق الرسوم السياحية . . فلم يشأ ان يبارح ذلك الموقع قبل ان يطل على داخله ، ويشهد حالة رواده اثناء بعض العبادات . . واتفق ان حدث ذلك ظهر يوم الجمعة ، اذ رأى افواج المصلين يتجهون نحو المسجد فلم ينتبه لنفسه الا وهو بينهم متجهاً الى مدخله وهناك خلع نعليه بالطريقة التي رآها من الناس ، ثم جلس كما جلسوا ، وصمت كما صمتوا ، ولما نهضوا الى الصلاة وجد نفسه يفعل فعلهم ، ولكنه اكتفى بالوقوف ينظر اليهم دون ان يعلم ماذا ينبغي ان يعمل . . ولما جلسوا يستمعون الى الخطيب شاركهم في الاصغاء دون ان يفهم حرفاً مما يسمع .

وانتظر روجيه حتى غادر معظم المصلين المسجد . . فتقدم صوب المحراب حيث كان الامام الخطيب لا يزال يستقبل الدعاء فما ان أحس هذا باقترابه حتى انهى دعاءه ونهض ليصافحه ! وكان من حسن حظ روجيه ان الرجل يحسن الفرنسية الى حد كان كافياً للتفاهم معه ، وبهذه اللغة دارت بينهما المحاورة القصيرة التالية :

— انا بلجيكي من انفرس . . اقوم بسياحة مع والدي . وقد استهواني منظر هذا المعبد الشرقي فدخلته وشهدت صلاة الناس فيه .

— الف مرحباً . . هل سرك ما رأيت ؟

— بل استهواني .

— وبماذا ؟.

— بهذه البساطة وذلك الخشوع الذي رأيته يغمر الناس .. وراح روجيه يجيل عينيه في جدران المسجد ثم تابع : ان خلو هذه الجدران من الرسوم مما يساعد النفس على الاستغراق فى اعمق الخشوع ، لانها لا تجد حولها ما يصرفها عن الله .

ولقد رأيتك تتحدث من أعلى المنبر الى الناس فى هيئتك العادية دون مساعدة من المغنين ، ودون استعانة بالبخور .. فتتجاوب معك نفوسهم حتى لتسيل دموع الكثيرين منهم دون تصنع .. وهذا ما لا يكاد المصلون الآخرون يحسونه في معابدهم التي احالتها ايدي الفنانين متاحف تشغل الناظر عن نفسه وما جاء من اجله .. ثم اصارتها حركات الكهنة وجوقات المغنين شبه مسارح ، لا يكاد المشاهد يفرق بينها وبين أي مسرح للتمثيل ! ! .

هو امتياز الاسلام .. لانه الدين الذي انزله خالق العباد لاسعاد عباده ، فطبيعي ألا يكون بينه وبين الفطرة البشرية أي تباين .

— يؤسفني أن لا اعرف شيئاً ذا بال عن هذا الاسلام .

— اكثر ما يعرف هذا الاسلام من خلال سلوك المسلمين .. وهذا ما يتعذر على الاوربي ان يدركه ، وهو الذي لا يعرف هذا الدين الا من خلال اكاذيب اعدائه ! .

— حقاً .. ان هناك اشياء سيئة قرأتها عنه فى بعض كتب « لامانس » المبشر اليسوعي البلجيكي ، وكم أود لو يتاح لي قضاء

بعض الوقت في وسط اسلامي صحيح ، لأتبين الحقيقة التي لا تتيسر معرفتها إلا من خلاله .

— كم يسرنا ان نستقبلك ضيفاً كريماً فى ما بيننا .. فلعلك بذلك واقف على بعض ما تشاء من هذا الامر ، مع العلم بأننا لا نعتبر انفسنا أهلا لتمثيل فضائل الاسلام على الوجه الذي يقتضيه .

وصحب روجيه امام المسجد الى والده الذي كان ينتظره في حديقة الفندق وهناك قر الرأي على ان يكون الأبن فى ضيافة الشيخ اياماً ثلاثة ، وبهذا قدر لروجيه ان يعيش أحب ايام حياته ، في اوساط تلك الجالية التي تعرف من سلوكها واخلاقها ومعاملاتها الكثير من حقائق الاسلام .

— ٢ —

لا يتذكر روجيه انه عاد من رحلة ما خلال عشر سنوات مضت بمثل الشعور الذي يخالجه هذه الايام التى اعقبت عودته من بلاد اليونان .

كان فيما مضى اذا رجع من رحلة أعاد النظر فى مذكراته ، يرتبها وينقح عبارتها ، ويتحقق من صحتها ، ثم يطويها فلا يعود اليها إلا في الاحيان المتباعدة ، عندما يريد التحدث عن مشاهداته الى أحد ، أو عندما يقع في مسمعه خبر عن أحد هذه الاماكن التي ألم بها اثناء هذه الرحلات ، وكلما أوغل الزمن في الكر على هذه الاحداث اسرع النسيان بدوره الى آثارها في ذهنه ، حتى تصبح اخيراً اشتاتاً من الذكريات ، لا تستيقظ في صدره إلا تحت ضغط المناسبات المشابهة .

على أن رحلته الاخيرة كانت شيئاً جديداً في وجوده ، اشبه بالبذرة

الحية صادفت الجو المخصب ، فاذا هي تربو وتنمو ثم تمد ساقها وتطلق اوراقها ، ولا تزال تنتشر هنا وهناك ، حتى تمسي دوحة ذات كيان وظل وجمال ؟. ولقد ضمرت في ذهنه آثار (الكروبول) وعبر (بومبي) وتماثيل الآلهة وروائع الطبيعة في البندقية وصقلية ، حتى كادت تغيب أو تمحى .. ولكن شيئاً واحداً من بقايا هذه الرحلة ظل ، على بساطته ، ثابتاً لا تزيده الاصباح والامساء إلا تعميقاً وامتداداً .

ذلك هو مشهد المسجد بقبته المستديرة البيضاء ، وبمنارته القائمة فى الهواء تشد أعين الناس لتذكرهم بما تحتها من خشوع لله لا يشوبه شاغل من زخارف الدنيا .. ثم ذلك الانسان العجيب الذي ترك حديثه واطمئنانه وسمو روحه في اعماق روحيه ما لا يمكن زواله على مر الايام ، وتتابع الاحداث . . انه ليتذكر هيكله الفارع ، ونظراته الرحيمة وعمامته الناصعة البياض كقلبه النقي فتتفاعل نفسه بالمعاني التي لا يسعه تحديدها ، ولم يكن له بمثلها عهد من قبل .. وتستتبع ذكريات الشيخ صور الأسر التي عاش في ظلها تلك الايام الثلاثة ، ينتقل من ضيافة كريمة الى اخرى مثلها . وكأنه يعيش في جنة من غير هذا العالم لا تقع منها العين على سوء ، ولا يمس السمع ما يجرح أو يخجل . وانما هي خلوات سعيدة يغمرها روح الايمان الذي يستولي على قلوب افرادها فيصفيهم من الخطيئة حتى في الضمير ، فاذا هم آية في نقاء الخاطر ، وسلامة الفطرة وطهارة اليد ، لا يأتون امراً ولا يذرون شيئاً إلا على ضوء من روح ايمانهم ، الذي نظم علاقتهم بما حولهم على اساس من تعاليم السماء ، فما من شيء الا وله في تعاليمهم هذه حكم الحلال او الحرام . . وقد بات انسجامهم مع هذه النظم شيئاً

طبيعياً كالملكة الاصيلة لا سبيل الى عصيانها ، بل انهم ليجدون أقل انحراف عن سبيلها باعثاً لاكبر الشقاء .

وشيء آخر لا يقل في الروعة عن كل اولئك : هو ذلك التفتح الروحي الذي يمدهم بالحل المرضي لكل معضلاتهم ، فهم يقبلون على اعمال الدنيا بأحفل طاقات النشاط البشري ، وأتم ما يملكون من وسائل الاتقان ، فاذا ما انتهوا الى ثمرات جهودهم تناولوها شاكرين راضين لا يحسد فقير منهم غنياً . ولا قروي مدنياً ، بل اعتبروا ذلك غاية ما قدر لهم ربهم في عالم الغيب ، ومع ذلك فليس ثمة موسر يضن بالمعونة على معسر ، بل انهم ليعتبرون ثرواتهم الخاصة حقاً للجميع ، ينال منها كل متخلف ما يعوزه عند الحاجة . ويكاد لا يوجد بينهم فرد لا يحفظ ؟ حكمة نبيه العربي : « ليس منا من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم به .. » ومن هنا كان مجتمعهم لوناً جديداً لا مثيل له بين المجتمعات التي يعرفها روجيه ، أو يقرأ عنها ، فلا حقد ، ولا بغضاء ، ولا تحاسد ، بل اخوة سعيدة تنتظم الكل في تناغم عجيب ، يجعل الجميع كالجسد الواحد ، لكل فرد منه منزلة العضو الحي . ولاشك ان مثل هذه الجماعة اغنى الناس عن هاتيك النظريات الفلسفية والاقتصادية التي تتمخض بها اوربا بأجمعها فتفكك الجماعات ، وتضرب الافراد ، وتثير حرب الطبقات ، حتى لتجعل الحياة كلها اشبه بالكرة في كف عفريت فلا يستريح فيها الفرد الى واقعه ، ولا يطمئن الى مستقبله ! لا بل أن روجيه ليتذكر ما أحسه من سعة الشقة بين واقع هذه الجماعة وواقع

الطوائف الاخرى ممن يجاورها فى رودس نفسها ، اذ ما يكاد الانسان يخرج من نطاقها الى غمار اولئك حتى يخيل اليه انه انتقل من عالم الى عالم . من عالم كل شيء فيه متجه الى الله مرتبط بتعاليمه ، الى عالم لا يكاد يذكر الله الا في اوقات العبادة المعينة ، حتى اذا تفلت من طقوسها انطلق الى اخرى من العبادات .. مركزها المال والجسد والوان الشهوات !.

ولقـــد بات قلب روجيه مرتعاً خصباً لموحيات تلك البيئة ، فهو اليوم يعيش الكثير من احساساتها وكأنه زود من هناك بطاقة من نوع غريب ، فيها يطل على الحياة فيرى منها ما لم يكن يرى ، ويسمع منها ما لم يكن يسمع .. انه اليوم ليقف امام الزهرة من حديقته فيتفاعل صدره بألوان المشاعر ، وينظر الى اشعة الشمس تنسكب على الأفق وتشحن الوجود بعوامل النشاط .. فاذا قشعريرة لاذة تنساب في كيانه ، فيخطفه ذلك الى ما فوق واقع التراب ، حتى ليخيل اليه انه يسمع من خلاله صوت الله او يشاهد في اليقظة وجهه !.

أجل .. انها امين ثالثة لا يعرف مكانها من جسده ، ولكنه يحس فعلها في اعصابه وخياله .. هي التي جعلته قادراً على تذوق الحياة وتلقي اشاراتها الخفية على هذا الوجه الذي لا يحسن له تحديداً ولا تفسيراً .

لقد اصبح على أتم اليقين ان الكون بما فيه من الناس شيء تافه يبعث السأم ، ويهيج الغثيان حين ينفصل عن نور الله ، ولكنه بهذا النور وحده يتحول الى سمفونيـــة ساحرة . تنشيء الغبطة ، وتنبت

السعادة ، وتفجر الالهام ، وتنشر في اعماق البشر روح الاخوة والمحبة والسلام .. وانه لادراك لا عهد له بمثله قبل ايام رودس ، بل قبل الساعة التي جمعه القدر فيها بشيخ رودس !.

ولكم يؤسف روجيه ان لا يجد في يده أي كتاب عن الاسلام ، يفصل له المزيد من حقائقه ، ويجيبه على الكثير من اسئلته !.. لقد كانت ايامه في رودس محدودة لا تتسع لكل ما يجب معرفته . . إذ كل ما حصل عليه من هناك هو كلمات ذلك الامام التي لا تزال تعمل فى قلبه عملها .. وتلك المشاهد السلوكية التي تبينها فى حياة قومه فعلمته الكثير من فضائل ذلك الدين . . لقد ايقظت هذه المؤثرات فى كيان روجيه عطش التطلع الى الحق .. فلم يعد قادراً على الاكتفاء بما انتهى اليه ، بل قد استحالت مباديء المعرفة هذه عوامل دفع تحثه ابداً المزيد من الاستكشاف .

إن شيخ رودس قد وصله بأسس الايمان القائمة على الاقرار بوجود الله واحداً لا شريك له ولا ولد ، وبالكتب التي انزلها على انبيائه ، وبالنشور لاداء الحساب على الاعمال ، فلا يضيع سعي مهما يصغر ، ولا تغفل ظلامة مهما تستر . . ثم بسلطان الله على الكائنات جميعاً بحيث لا يقع فى الكون كله شيء الا وفق قوانينه التي هي صورة العدل المطلق .

وانه ليستشعر الاطمئنان الكامل الى هذه الاسس ، لان عقله لا يتصور الانكار لخلق العالم ، الا اذا أمكن العقل ان يتصور انكار

نفسه وما يحس به من حوله .. وهو لم يقتنع قط بأن هـذا الخالق يمكن ان يكون له ند أو ولد ، ما دام بحقيقته مخالفاً لاجناس الحوادث وما دام كل موجود غيره خاضعاً للعناصر نفسها التي يتألف منها كل مخلوق من سفليات الكون وعلوياته .. وأما الايمان بالكتب والنبيين فانما هو ايمان بوحدة الدين ووحدة الانسانية ، ولا سبيل الى الاسلام الا عن طريق هاتين الوحدتين . ثم ليس فى العقل حقيقة اكبر من النشور والحساب ، لانهما السبيل الوحيد الى ضبط النفوس البشرية ضمن حدود الفضيلة العليا ، ومن ثم الى تحقيق العدل المطلق الذي كثيراً ما تنصرف النفوس البشرية عن جادته تحت ضغط الاهواء والمنافع الزائلة .. واخيراً أي جدوى من الدين كله لو رفعت سلطة الله عن مخلوقاته ؟. او ترك هذا الكون فوضى لا تضبطه سنةٌ ولا قانون !.

غير أن هذا كله ـ على جلالة قدره ـ لا يروي ظمأ روحه .. فهو يريد ان يعلم بتفصيل تام اوامر الله ونواهيه ، لانه مستيقن ان الانسان اعجز من أن يعرف طريق الحق الخالص ، اذا لم يهتـد الى التعاليم الآلهية التي تحدد له معالمه .. ولاسيما بعد التعقيد الكثيف الذي طمس به الانسان دروب الحياة ، وكاد يحجب مسالكها عن العقل المجرد .

ـ ٣ ـ

وقرأ روجيه ذات يوم نبأً حرك فضوله . نبأ يتحدث عن نشاط مسلم هندي اسمه بشير ، يقيم في لاهاي ، وقد جعل من داره مركزاً ثقافياً جامعاً ، يرتاده اساتذة الجامعات ، وطلاب المعرفة .. وتدعوه

بين الحين والحين بعض جامعات هولندة للمحاضرة في قضايا الاسلام والتعريف بعقائده .

وقد قرأ هذا فى صحيفة بلجيكية معروفة بالتعصب ، فهي اذن لم تنشر ذلك الخبر خدمة للعلم ، أو تقديراً لعمل هذا الهندي ، وانما تريد بذلك انذار من يهمهم الامر من دعاة التبشير ورجال الاستشراق ليأخذوا حذرهم بازاء هذه البادرة غير المأمونة !.

وساورته الرغبة في زيارة ذلك الهندي ، وكانت رغبة قوية لم يستطع مقاومتها ، فلم يتردد الا ريثما اعلن أباه بالامر ، ثم قاد سيارته (البويك) عبر الحدود .

ولم يجد صعوبة في العثور على الرجل إذ الفى بين عملاء ابيه فى لاهاي من يعرفه ويشهد مجالسه ، فأخذ هذا بيده اليه ، وفى منزل الرجل شاهد روجيه كل مظاهر العلم والثقافة العالية ، وحسب الزائر ان يلقي نظرة عابرة على تلك الكتب المذهبة ، المالئة جدران قاعة الاستقبال ، حتى يدرك انه تلقاء رجل غير عادي ، على انه لم يلبث هناك الا قليلا حتى صدمته الخيبة ، فعاد الى انفرس في اليوم نفسه ، وفي صدره شعور موجع بمرارة الاخفاق !.

لقد عبر الحدود الى لاهاي وفي نفسه لهفة الى روح كريم ، يتعهد مشاعره المتوهجة بمدد من الخير الذي قبس اضواءه لاول مرة في رودس .. ولكن سرعان ما فقد ذلك الحلم لانه وجد فى لاهاي العلم ولم يجد الروح .. وجد رجلا يملك زمام البلاغة فيرد على كل سؤال ،

ويجول في كل ميدان ، ولكنه يعجز عن ملامسة القلوب الظمأى الى الاطمئنان والحب ! (١) ويغلب على ظن روجيه ان موضع النقص فى الرجل انما يتجلى فى غروره بوجه خاص ، فهو شديد الثقة بنفسه ، قوي الاعتزاز بمعرفته لمذاهب الفلاسفة واصحاب النحل ، يتحدث الى زائريه في كبرياء الكهنة لا في تواضع الربانيين .. وكان هذا وحده كافياً ليملأ نفس روجيه بالنفرة من هذا الانسان ، الذي فى وسعه ان يعثر بأمثاله في كل مكان من هذا العالم .. المترع الى حلقه بأساطين المنطق المادي ممن لا يستطيعون مجتمعين أن يمنحوه لحظة من الاشراق الروحي الذي هو بحاجة الى المزيد منه ! .

كان روجيه غارقاً في غمرة هذه التصورات ، وهو يقود سيارته فى شوارع انفوس باتجاه متجر ابيه ، عندما لمحت عينه ذلك البناء الشرقى الضخم الذي يحمل اسم (مطعم قرطاجنة) .. وفي انسياق عفوي وجد نفسه يميل الى ساحة المطعم ليقف سيارته ، ثم يعرج الى داخله ليأخذ كأساً من الشاي المبرد .. وعندما همّ بمغادرة المطعم خالجته فكرة فاقترب من صاحبه التونسي ليجري معه ـ بعد تردد خجول ـ هذا الحوار :

ـ انت مسلم ..؟

ـ طبعاً .. والحمد لله !

ـ ألا تعرف مركزاً أو جماعة يعملون لعرض الاسلام فى هذه البلاد ؟.

واطرق التونسي مليا قبل ان يجيب على سؤال روجيه هذا . ثم قال :

---

(١) كان الرجل قاديانياً من صنايع الاستعمار .

— وهل لي ان اعلم الباعث لسؤالك ؟

— انها رغبة خالصة فى تعرف هذا الدين .

— هل قرأت عنه شيئا ؟.

— قليلا .. ولكني اتصلت ببعض اتباعه من سكان رودس ، فاستهواني ما رأيت لديهم من فضائله .

— اذن فسأرشدك الى شابين من الشام يدرسان فى جامعة بروكسل واني لأرجو ان تجد لديهما ما ينقصك معرفته عن الاسلام .

واخذ التونسي يحدد لروجيه الشارع والمنزل والاتجاه . . وذكر له رقم الهاتف الذي يوصله بمسكن الشابين ، واشار عليه بكتابته . . ولكن الغبطة اعجلت روجيه عن كتابة أي شيء ، ومضى الى سيارته وهو يردد اسم الشارع ، ورقم الهاتف واسم الشاب الشامي الذي لقنه إياه .. واستمر على ذلك حتى دخل بروكسل ، غير انه ما كاد يغيب في زحامها حتى فقدت ذاكرته كل علامة ورقم واسم ، وراح يدور كالمولب في دائرة مغلقة على غير هدى أو تعيين .. وكان مستحيلا ان يستعين بأحد لمعرفة ما يريد ، ما دام هو نفسه لا يملك أي اشارة تساعد على تعيين ما يريد !.

وبعد تجوال طويل وقف سيارته فى زاوية أحد المفارق من شارع (١٠ فيلان ١٩) ، وفي نيته ان يتصل بهاتف المطعم ، ليستعيد من صاحبه التونسي صورة المكان ورقم الهاتف .. وبينما هو متجه ناحية المكتبة المجاورة لاستعمال هاتفها اذا هو بفتى يغادرها ، وفي سمرته الجذابة

هويته العربية .. فجمد قليلا يتبين ملامحه ، كأنه يستعيد بعض الصفات التي سمعها من صاحب المطعم .. ورأى الفتى يبتسم له ثم يحييه ، فلم يتمالك أن دنا منه ، ثم صافحه كأنه صديق قديم .. وقال في أدب بالغ :

« انني افتش عن فتيين من الشام يدرسان فى جامعة بروكسل . وكنت أردد قبل قليل اسم احدهما ، غير انني نسيته في زحام الشوارع ونسيت معه صورة المسكن الذي ينزلانه !! » .

فابتسم الفتى مجدداً .. وقال « .. وأنا شامي .. فلعلي استطيع مساعدتك على الاجتماع بمن تقصد . . ألا تذكر بعض حروف الاسم الذي أضعته ؟ »

— بلى .. انه أ .. أ .. « الحرف الذي ليس فى لغة الاوربيين » .

— حرف العين !. عدنان مثلا ؟..

وصاح روجيه بمثل فرحة الانسان الذي استرد مفقوداً عزيزاً !

— أدنان !.. هو نفسه .

— وأنا ايضاً اسمي عدنان .

ومرة اخرى يحدق روجيه في وجه الفتى .. وفي نشوة آسرة جعل يهز يده بكلتا راحتيه وهو يقول : « يجب أن تكونه . . انك هو حتماً !. »

وضحك عدنان مشاركة للفتى .. وقال : ارجو ان اكونه .. فلنمضِ اذن الى المسكن .. انه قريب .. في هذه البناية المقابلة .

— ٤ —

لم يراود روجيه أي شعور بالغربة وهو يلج مع عدنان مدخل الدور العلوي بل لقد صعد الدرج الحجري الانيق يده فى يده كأن بينهما وداً قديماً ، يسقط

معه كل تكليف ، ولما صارا الى قاعة الاستقبال راح يصافح الحضور بالروح نفسها التي دخل بها المنزل .

وقدم عدنان اليه كلا من هؤلاء باسمه وجنسيته : هذا اخي محمد يستعد لاجازة الدكتوراه في الكيمياء والصيدلة ، وهذا السيد .. عامل من لاجئي الالبان الهاربين بدينهم من الشيوعية ، وهذه هدى اخت لنا في الله ، فرنسية الاصل بلجيكية المولد ، قد شرح الله صدرها للاسلام ، وهذه الاخت فاطمة ابنة سفير السنغال . وهذه اخت لنا اخرى اندونيسية واسمها فاطمة ايضاً » .

واخذ روجيه محله في المقعد الذي اخلي له في صدر القاعة ، وهنا قدم نفسه للجميع بهذه الكلمات البسيطة . روجيه بن .. تاجر الادوات الكهربائية في شارع .. من انفرس .. اساعد والدي في تجارته ، ولكن مشغلتي الكبرى في هذه الايام البحث عن الحق .

وجواباً على بعض الاستيضاحات قص روجيه على الجماعة حكايته في ايجاز بليغ ثم قال : اني في التاسعة عشرة من سني الزمن ، ولكن حياتي الروحية والعقلية لم تبدأ الا منذ ربيع العام الفائت منذ ايام رودس .. التي قدحت في صدري جذوة القلق .. فأصبحت ثائر الشوق مرهف الشعور الى حد لا أجد معه قراراً .

ولم ينس ان يحدثهم عن سفره الى لاهاي ، والخيبة التي مني بها هناك حتى هداه القدر الى سؤال التونسي صاحب مطعم قرطاجنة .. وختم ذلك بقوله : لقد بت على يقين ان يداً خفية تقود خطاي الى مواطن الخير الذي أنا بحاجة اليه ، ولعل عثوري — بعد يأس — بمقركم هذا من طلائع التوفيق

الى هذا الخير . . « . . وتصاعدت اصوات الحضور فى انسجام حنون : ان شاء الله ! . »

وكان كل ما فى القاعة مساعداً علي التركيز حول الهدف الروحي الأعلى : الكتب المرصوفة على النضـــد النصفي ، والمصحف فى غلافه الحريري الشرقي ذي الوشي المذهب معلقاً فى صدر القاعة . . وبجواره تلك القطعة الفنية الانيقة مرسوماً على جانب منها بخط عربي ساحر آية من القرآن الكريم ، وعلى جانب آخر ترجمتها الفرنســـية التي تعني (إن هذا القرآن يهدي للتي هى أقوم) .

وليست مظاهر الحضور دون ذلك كله ايحاء . . ولاسيما اولئك النسوة الثلاث اللواتي أضفين على المجلس فيضاً من المعاني السامية ضاعف من روعته . . ولقد وجد روجيه نفسه مدفوعاً الى التفكير بهؤلاء النسوة وما يوحيه منظرهن . . اكثر من أي شيء يتعلق بأولئك الحضور من الرجال .

ان أول ما لفت نظره منهن تلك الوجوه الملائكية التي خلت من كل اثر للصنعة ، فبدت نسيج وحدها ، فى بـلاد تحرم حضارتها على وجه الانثى ان يواجه الناس بصورته الطبيعية . . ثم اردیتهن السـابغة التى تشبه الى حد بعيد اردية الرواهب الـكاثوليكيات . . لا تـكشف منهن أي جزء خارج حدود الوجه والـكفين . وهي ظاهرة قد تكون مألوفة بالنسبة للاندونوسية والسنغالية بوجه خاص ، بما حملتاه من تقاليد اوطانهما ، ولـكنها شيء لا يصدق بالنسبة الى تلك الفرنسية التي سلخت

الاربعين من السنين فى مجتمع يعتبر التبرج ، بل التعري ، أول معالم الانوثة الراقية !.

وطبيعي ان يعجب روجيه لهذه المظاهر الغريبة فى محيطه ، ولكن عجبه لم يكن ليحجب عن وعيه موطن العبرة .. فقد تحقق لديه حتى الآن ان الاسلام نظام كامل متميز ، لا يأتلف مع التلفيق والترقيع ، يصفي النفس من كل انحراف عن الله ، ويؤلف بينها وبين تعاليمه ، حتى يصبحا معاً وحدة لا سبيل الى تجزئتها .. وبذلك يكون اعتناق الاسلام نقطة البدء في هجرة تامة من عالم الى عالم .. من عالم الظلام الذى تمحي فيه معالم الحقائق وينتهي السالك فيه الى الضياع ، الى عالم النور الذى وضع فيه كل شيء وفق قوانين الفطرة ، فكل سالك فى ضوئه موقن انه على بينة من ربه .. وليس هذا التستر الذى يشهده الساعة في ثياب هذه الفرنسية ، الا توكيداً لهذه الحقيقة ، حقيقة الهجرة الى فضائل الاسلام وهي بذلك تقرر لكل ناظر فلسفة هذا الدين ، من حيث نظره الى المرأة ككيان انساني كامل ، عليها من المسؤولية نحو المجتمع مثل الذى على اخيها الرجل ، وذلك على النقيض من هذه الحضارة الاوربية التى زيفت طبيعة الانسان ، حتى جعلت من المرأة أداة للتسلية الفاجرة ، فشغلت الرجل عن مواهبها وفضائلها بما عرته لعينه من جسدها ومفاتنها !.

وشيء آخر لا يقل عن ذلك اثراً فى قلب روجيه .. انه الانسجام الذى يطالعه بين هذه الاجناس التى يتألف منها مجتمع القاعة .. ان هنا الاسود والابيض والاصفر ، في وحدة اخوية لا يشوبها شيء مما يجيش به مجتمع البيض خارج هذا المكان .. وهي صورة طالما غُذي بالنفور منها ، بعد ان اقتنع بنظرية

(مونتسكيو) التى تؤكد ان الله قد حمل الجنس الابيض رسالته الى الارض ، فهو وحده الجنس السيد ، اما الآخرون فلايعدون منزلة الحيوانات والحشرات كل مهمتهم خدمة البيض ، وتوفير الوسائل المحققة لهناءتهم ، حتى اذا ما قاضوا عن حاجتهم كان من حق السادة ان يتخذوا الوسائل الممكنة للتقليل من وجودهم الى الحد الضرورى كما صنع رجال الدين المسيحي في هنود امريكا ، اذ قتلوا الكثير منهم بواسطة الحصبة التي قدموا اليهم جراثيمها في الاغطية الموبوءة !.

أجل .. انه لانسجام مدهش ... ومخالف لكل ما قرأه روجيه وما لقنه ، ولكنه ـ على غرابته ـ اصبح شيئاً مقبولا في قلبه الذى بات فريسة للارتياب في كل ما جاءه عن طريق هؤلاء الاوربيين من فلاسفة أو رجال دين !.

ـ ٥ ـ

وتناول الدكتور محمد الحديث فقال موجهاً الكلام الى الضيف :

اليوم الاثنين .. وهو موعدنا الاسبوعي لقراءة بعض ما ينبغي معرفته عن الاسلام .. وما يفتريه خصومه من المبشرين والمستشرقين وموضوعنا الآن حول النبوة في كتاب (الوحي المحمدى) المترجم الى الفرنسية .. ولكنه لا بأس ان نؤخر هذه الحصة اذا شئت لنجعل منها فرصة لما عندك من الاستيضاحات .. فلعلنا واصلون بالتعاون الى الخير الذى افتقدته عند ذلك (القادياني) في لاهاى !. وشكر روجيه للمتكلم اهتمامه واخوانه .. وأعلن ان حاجته لا تنحصر في سؤال او جانب ، ولكنها واسعة تتطلب الالمام بكل ما امكن الالمام به

من حقائق هذا الدين . ولا شك أن موضوع الوحي من اوليات هذه الحقائق لانه من الغوامض التي قلما يعيها العقل الاوربي المحبوس في نطاق المادة !. ولهذا فهو يؤثر الآن المشاركة في الاستماع الى ذلك البحث .

ولقد كان البحث شائقاً وممتعاً . تناول موضوع (الوحي) الآلهي بطريقة لا تدع مجالا للريبة في حقيقته ، اذ تعتمد بالدرجة الاولى على موازين الفطرة الانسانية بكل ما فيها من قوى الفكر والحدس والتخيل ، حتى ليحس السامع والقارىء انهما يتحدثان الى نفسيهما من خلال البحث نفسه ، فلا يلبثان ان يستروحا نفحات الاطمئنان ، ثم يخرجا من الحديث وقد أيقنا ان الوحي الآلهي الى محمد واخوانه من سابقي الانبياء انما يمثل ذروة الشرف بالنسبة الى الجنس البشرى ، لانه المظهر الاسمى لعناية الله به ، ورعايته لمصالحه ، واهتمامه بهدايته .

وعلى الرغم من قوة المؤلف في عرض الموضوع ، لم يشأ القوم ان يتلقوه بالاستسلام بل كانت الخطة ان يقرأ احدهم البحث ، ثم يعمد آخر الى تقسيم فقراته وفق الفكر الرئيسية ، ثم يأخذون في مناقشتها جزءاً جزءاً .

وكان الباب مفتوحاً لكل مستوضح . . فلم يجمجم روجيه عن اقتحامه بما خالجه من تساؤلات لم تخل من الفائدة .

ولما آذنت حصة البحث بالانتهاء نهض الحضور ليؤدوا صلاة العصر فى جماعة ، وخيره الدكتور بين ان يستريح قليلا بانتظارهم ، او ينتقل معهم الى القاعة الاخرى ليشهد صلاتهم ، ولكن روجيه لم يستطع الا ان يعرب للدكتور عن شوقه الحار الى مشاركتهم في تلك العبادة التي طالما شهدها في رودس فاستهوت لبه ، وأسرت قلبه .

وهنا افتر ثغر الدكتور عن ابتسامة سعيدة وقال لروجيه :

« .. ذلك حق كل انسان عندما يقتنع بحقائق هذا الدين » .

فقال روجيه فى حماسة لم يطق كتمانها : « .. انني مقتنع .. فما السبيل الى اعلان هذا الاقتناع ؟. »

— الشهادتان .. ثم تغتسل وبذلك تتهيأ للدخول في الصلاة .. التى لا تصلح الا مع الطهارة .

وسرت رعشة بارزة في جسد روجيه .. ثم نظر الى محدثه بعينين تتوهجان بروعة الحزن ، ومضى يقول : « أود لو استطيع ذلك لفوري فانني لأخشى ان يدركني الأجل وأنا على هذه الحال ! . »

وخرجت كلماته هذه في غصة مؤثرة ، لم تلبث أن هزت اعصاب الحضور جميعاً ، فاذا هي تلهب مشاعرهم ، وتفجر في اعماقهم منابع الغبطة ، حتى غلبت بعضهم دموعه ، فراح يذرفها في صمت وخشوع .

ولم يجد محمد في لسانه القدرة على الكلام في هذا الجو المشحون بالانفعال ، فاكتفى بأن تأبط ذراع روجيه ، ثم مضى به نحو حمام المنزل وفي جهد استطاع ان يقول له وهو يمسح جفونه : « تستطيع ان تستحم ، وسآتيك بثوبين داخليين طاهرين .. ولسوف تجدنا بانتظارك للصلاة » .

وفي تلك القاعة التى طالما ضمت صفوف المصلين . والمتهجدين .. اعلن روجيه اسلامه على مسمع من شهود جمعتهم اخوة الاسلام ، من مختلف اقطار الدنيا واجناسها .. واختار لنفسه اسم (اسماعيل) جد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم اخذ مكانه من الصف ، في اول صلاة قام بها لله ، على نحو من الخشوع لم يحلم بمثله قبل اليوم .

صلة الارحام والكمال النفسي

ان الاسلام دين متكامل يعالج جميع النواحي الحياتية معالجة جذرية معالجة لا تشبه معالجات الفلاسفة وعلماء النفس المحدثين في شيء ، ذلك لان ما يسنه هؤلاء وما يقترحونه إنما هو بشريّ حالك ، تنم عن نفس صاحب النظرية . ونفوس الفلاسفة وعلماء الاجتماع أو علماء النفس نفوس ناقصة وان سموا انفسهم فلاسفة وحملوا القاباً مختلفة ومنحوا لقب الدكتوراه لتلاميذهم خريجي الجامعات .

فالنفس الناقصة لا يترشح منها إلا شيء ناقص مبتور ، كيف لا تكون هذه النفوس ناقصة ، وهي تحلل حرمات الله فى ارضه : بسكر أو فسق أو فجور أو اكل الربا أو الحرام أو افساد في الارض « والله لا يحب الفساد » (١) . كيف لا تكون هذه النفوس بعيدة عن الله وهي تتبع الهوى : « إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى » (٢) .

لذلك : كان من فضل الله على البشر أن لا يتركهم وشأنهم يملي عليهم دساتير الكمال ! (هذا الكمال الناقص أو المفسد) من هم على

---

(١) سورة البقرة : ٢٠٥ (٢) سورة النجم : ٢٣

شاكلتهم من حيث النقص ، وإن دعوا على لسان البعض : فلاسفة وعلماء .. الخ « فأرسل رسولا ليزيل به علتهم » (١) : يملي عليهم دساتير الكمال ، تلك الدساتير التي لا شائبة فيها ولا نقص ، لأنها جاءت من عين صافية وضاءة ، جاءت من وراء الحجب ، جاءت من جانب الله تعالى على لسان انبيائه (ع) .

يقول (هوكنج) استاذ الفلسفة بجامعة (هارفرد) في كتابه : روح السياسة العالمية : « إن سبيل تقدم الممالك الاسلامية ليس في اتخاذ الاساليب الغربية التي تدعي أن الدين ليس له ان يقول شيئاً عن حياة الفرد اليومية وعن القانون والنظم السماوية ، وانما يجب ان يجد المرء في الدين مصدراً للنمو والتقدم » .

وقد شبه غوته (گوته) شاعر المانيا الشهير الدين الاسلامي بالنبع الذي تدفق فشكل النهر الكبير وبعد ذلك صبّ في البحر الواسع : الأوقيانوس .

وقد قال العلامة : (سانتيلانا) : « ان فى الفقه الاسلامي ما يكفي المسلمين فى تشريعهم المدني إن لم نقل أن ما فيه يكفى للانسانية كلها » .

ومن جملة تلك الدساتير أو سنن الكمال : صلة الارحام ، ذلك لان الاسلام دين اجتماعي وليس بدين انزواء ورهبنة ، دين يريد من الناس ان يتقربوا بعضهم من بعض ، بالمعونة والمساعدة والألفة والتحابب والتعاطف .

ولا مراء ان كل مجتمع مؤلف من عوائل ، والعائلة مؤلفة من الارحام والاقارب ، فلو كانت العلاقات بين افراد العائلة علاقات متينة على اساس الحب والولاء والمحبة سعدت هذه العائلة في الدنيا وبسعادتها تسعد الامة

---

(١) من كلام لعلي عليه السلام

إذ لا مفهوم للامة عدا انها مؤلفة من عوائل عدة وأسر متعددة ، فبسعادة هذه الأسر تسعد الامة وبشقائها تشقى .

لذلك حثّ الدين الاسلامي على صلة الارحام وجعل ذلك من أفضل القربات ، وذلك بقوله جل من قائل : « واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام » . فذكر الله جل جلاله لفظ الارحام بعد اسم الجلالة مباشرة لما هنالك من خطورة فائقة .

فالله تبارك وتعالى يأمرنا ان نتقي الله في قطيعة الارحام . فالمراد بالتساؤل في قوله تعالى : « واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام » سؤالُ بعض الناس بعضاً بالله ، يقول احدهم لصاحبه : اسألك بالله ان تفعل كذا وكذا . فكما يجب ان نتقي الله تبارك وتعالى في اعمالنا كذلك يجب ان نتقي الله في قطيعة الرحم : بأن لا نقطعها وأن نصلها بأنواع المحبة والمودة والتزاور والتعاطف .

فقد قال رسول الله (ص) : من ضمن لي واحدة ضمنت له اربعة يصل رحمه ، فيحبه الله ويوسع عليه في رزقه ويزيد في عمره ويدخله الجنة التي وعده .

وقد قال رسول الله (ص) : « صلوا ارحامكم ولو بالسلام عليهم » .

وقال (ص) : الرحم اذا وصلت ثم قطعت قطعها الله .

وقال (ص) : بلوا ارحامكم ولو بالسلام .

وقال (ص) : برّ الوالدين وصلة الرحم يهونان الحساب .

وقال (ص) : حسنوا اخلاقكم والطفوا بجيرانكم واكرموا

نساءكم تدخلوا الجنة بغير حساب (١) .

وقال (ص) : صلة الارحام وحسن الجوار زيادة في الاموال .

* * *

ثم انه تعالى يقول : « وقضى ربك ان لا تعبدوا الا إياه وبالوالدين احسانا » (٢) . فجعل (الأحسان بالوالدين) في المرتبة الثانية ، أي بعد عبادته تعالى وتقديسه وتوحيده .

فاذا كان للوالدين هذا المقام الرفيع فيجب ان يكون لمن يتصل بهما من اخوان واخوات وجدود وجدات واعمام وعمات واخوال وخالات وغيرهم من الارحام مقام يناسبهم . فالعطف عليهم والقيام بخدمتهم خدمة للوالدين وموجب لادخال السرور عليهم . كل ذلك لما للوالدين من حق كبير على الاولاد ، فلا يمكن ان يؤدى شكر هذا الحق إلا بخدمة الارحام خدمة صادقة . لذلك جاء في خبر عن الرسول (ص) : « نظر الولد الى والديه حبا لهما عبادة » ، ذلك لان هذا الحب الذي ملؤه الاخلاص والولاء مقرّب العبد الى الله ، وكل ما يقرب العبد الى الله عمل عباديّ .

* * *

وفي حديث آخر : « ووالديك فبرّهما وأطعمهما حيين وميتين . فان امراك أن تخرج من أهلك وما لك فافعل . فان ذلك من الايمان » .

---

(١) ذكرت هذا الحديث في غير محله لأهميته .

(٢) سورة الاسراء : ٢٣

فعلى الانسان ان يبرّ والديه حيين كانا أم ميتين . وأن يطعمها كذلك ، فالبر بهما حيين هو إطاعتهما والقيام بشؤونهما وتحقيق آمالهما المشروعة .

حتى ان الله تعالى أمرنا أن نصاحبهما فى الدنيا بالمعروف وان امرانا بالشرك بالله تعالى ، لا سمح الله . « وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم ، فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من أناب إليّ » (١) . ومعلوم انه لا ظلم أشد من الشرك بالله ، وان الله قد يغفر لعباده ذنوبا عظاما ، ولكنه لا يغفر لمن يشرك به ابدا . وهو القائل : « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » (٢) . ذلك لأن الشرك يضاد الفطرة ويخالفها لما جبل عليه الانسان من توحيد الله . فـ « ان الشرك لظلم عظيم » (٣) وما يشرك بالله الا من أمسى جرثومة فساد وإفساد وعصارة الشر والبغي والظلم مع نفس متحجرة ، مدلهمة ، لا تصلحها إلا النار ! وهيهات ان تصلح وإن خلد في السعير .

والبر بالوالدين ميتين ، هو التصدق عنهما والاستغفار لهما وتلاوة القرآن على مرقديهما وسورة الفاتحة والاخلاص كذلك ، وكذلك تلاوة القرآن فى اوقات مختلفة وجعل ثوابها على روحيهما .

---

(١) سورة لقمان : ١٥ (٢) سورة النساء : ٤٨

(٣) سورة لقمان : ١٣

فقد قال رسول الله (ص) : « اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا عن ثلاث : صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له » ،

يقال : قد مرّ عيسى (ع) بقبر ، فرأى بنظر النبوة : أن من فيه يُعذّب ، ثم مرّ بعد سنة على ذلك القبر فرأى من فيه قد رفع عنه العذاب . فسأل الله تعالى عن السبب ، فجاءه الوحي : أن ولد هذا الرجل قد سوى طريقاً واكسى يتيماً ، فرفع الله العذاب عن والده .

وكم يرى الناس الآباء والامهات فى منامهم بعد وفاتهم وهم يطلبون الى ابنائهم وبناتهم ان يتصدقوا عنهم أو يقوموا بعمل عبادي ليرفع عنهم العذابُ .

ويقال عن مغنية كانت قد توفيت قبل امها ، تأتي في منام امها تلتمس ان تشتري جميع الاسطوانات التي تخص صوتها وتحرقها جميعاً ، لأنها تعذب ، كلما خرج صوتها في آلة الكرامافون أو غيرها .

وان كثيراً من الناس يحفظون كثيراً من هذه الاحلام واستغاثة الموتى بالاحياء لقيام الاحياء بعملٍ ، لعل الله تعالى يرفع عنهم العذاب في عالم البرزخ ، وقد ذكرت بعضها في الجزء الثالث من هذا الكتاب .

واني اذكر هنا من تلك الاحلام حلماً واحداً :

كان لي صديق من الاخيار رحمه الله ، وقد توفى صديق له ، وان هذا الصديق الحي كان يقرأ كل يوم بالنيابة عن صديقه المتوفي (زيارة عاشوراء) . ويجعل ثوابَ ذلك على روح صديقه . ثم انة ترك هذا

العمل اياماً ، فجاءه صديقه المتوفى في منامه كئيباً حزيناً معاتباً . يلتمسه ان يثابر على عمله وان لا ينقطع عن زيارة عاشوراء بالنيابة عنه ، لاحتياجه الشديد الى هذا العمل العبادي المكفر عن ذنوبه والرافع عنه العذاب .

وقد نقل لي احد الاخيار : انه كلما تعسرت اموره وقتر في رزقه جاء الى قبر والده يقرأ الفاتحة وسوراً من القرآن . فيفرج الله عنه عاجلا ، ويوسع عليه فى رزقه .

* * *

انه تعالى يقول : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احسانا وبذي القربى » (١) .

فالاحسان بالوالدين من الاهمية بمكان . لذلك يذكرهما الله تعالى بعد توحيده وعدم الشرك به . لما لهما من حقوق عظيمة ومقام رفيع .

وخص الله تعالى حال الشيخوخة بمزيد من الحنو والترفق والاكرام والتوقير ، فهي المرحلة التي يجنى الوالدان فيها ثمار الكدح ويتوجان بتاج الكفاح ويجزيان جزاء الجهاد والدأب ، انه تعالى يقول :

« اما يبلغن عندك الكبرَ احدُهما او كلاهما ، فلاتقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » (٢) .

---

(١) سورة النساء : ٣٦ (٢) سورة الاسراء : ٢٤

وتلك مشاعر الفطرة نحو من لم يشب احسانهما غرض ، ولم يبغيا بجهادهما اجراً ، بل بذلا الرعاية الموصولة والحنان الغامر قربة وفطرة فلا أقل من التقدير والعرفان . حفظاً على الوفاء وصيانة للانسانية من آفات الجحود والنكران .

ثم انه تعالى يقول : « وإذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى » (١) .

فجعل الله تعالى للوالدين حق البر واللطف والرعاية والرحمة واكد هذا الحق بان قرنه بحقه تعالى .

فان عقوق الوالدين (أي الاساءة اليهما) وجحد احسانهما من كبائر الذنوب ، اذ هو قرين الشرك بالله تعالى ، وان رضا الوالدين طريق للجنة ، فاذا حازه الولد فقد بلغ الغاية وأدرك في الكمال النفسي النهاية .

* * *

ولا بأس بذكر هذا الحديث ، لنتعلم منه دستوراً قيماً فى خدمة الوالدين .

يقول زكريا بن ابراهيم ، قال : كنت نصرانياً ، فأسلمت وحججت فدخلت على ابى عبدالله (ع) فقلت : اني كنت على النصرانية واني اسلمت فقال : وأي شيء رأيت فى الاسلام ، قلت : قول الله عزوجل ، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه

---

(١) سورة البقرة : ٨٣

نوراً نهدي به من نشاء » فقال : لقد هداك الله ثم قال : اللهم اهده - ثلاثاً - سل عما شئت يا بني ، فقلت : ان ابي وامي على النصرانية وأهل بيتي ، وامي مكفوفة البصر ، فأكون معهم وآكل في آنيتهم فقال يأكلون لحم الخنزير قلت : لا ، ولا يمسونه فقال : لا بأس ، فانظر امك فبرها . فاذا ماتت فلا تكلها الى غيرك ، كن انت الذي تقوم بشأنها ، ولا تخبرن احداً انك اتيتني حتى تأتيني بمنى ان شاء الله .

قال : فأتيته بمنى والناس حوله كأنه معلم صبيان . هذا يسأله وهذا يسأله فلما قدمت الكوفة ألطفت لأمي وكنت اطعمها وأفلي ثوبها ورأسها واخدمها فقالت لي : يا بني ما كنت تصنع بي هذا وانت على ديني ، فما الذي أرى منك منذ هاجرت فدخلت في الحنيفية ، فقلت : رجل من ولد نبينا امرني بهذا فقالت : هذا الرجل هو نبي ؟ فقلت : لا ، ولكنه ابن نبي ، فقالت : يا بني ، ان هذا نبي ، ان هذه وصايا الانبياء فقلت : يا أُمه ، انه ليس يكون بعد نبينا نبي ، ولكنه ابنه ، فقالت : يا بني دينك خير دين ، اعرضه عليّ ، فعرضته عليها ، فدخلت في الاسلام ، وعلمتها فصلت الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ، ثم عرض لها عارض في الليل فقالت : يا بني ، أعد عليّ ما علمتني ، فأعدته عليها . فأقرت به وماتت فلما اصبحت كان المسلمون الذين غسلوها وكنت أنا الذي صليت عليها ونزلت في قبرها (١) .

* * *

وفي حديث آخر عن ابي عبدالله (ع) قال : جاء رجل الى النبي (ص) فقال : يا رسول الله ، من أبرّ ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال :

---

(١) اصول الكافي . ج : ٢ ص : ١٦٠

أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أباك .

وعن ابي ولاد الخياط قال :

سألت أبا عبدالله (ع) عن قول الله عزوجل : « وبالوالدين احسانا » ، ما هذا الاحسان ؟ فقال : الاحسان : ان تحسن صحبتهما وان لا تكلفهما ان يسألاك شيئاً مما يحتاجان اليه وان كانا مستغنيين أليس يقول الله عزوجل : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » . قال : ثم قال ابو عبدالله (ع) : واما قول الله عزوجل : اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما » . قال : ان اضجرك فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما إن ضرباك . قال : « وقل لهما قولا كريما » قال : ان ضرباك . فقل لهما : غفر الله لكما ، فذلك منك قول كريم . قال : « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » ، قال : لا تملأ عينيك من النظر اليهما الا برحمة ورقة ، ولا ترفع صوتك فوق اصواتهما ولا يدك فوق ايديهما ولا تتقدم قدامهما (١) .

وقد سئل رسول الله ، ما حق الوالد على ولده ؟ قال : « لا يسميه باسمه ، ولا يمشي بين يديه ولا يجلس قبله ولا يستسب له » (٢) .. (اصول الكافي . ج : ٢ ص : ١٥٩)

* * *

ذكر لي استاذي في الفقه اني زرت الحسين (ع) يوم عرفة ، فقلت في نفسي : أزور زيارة عرفة مرة اخرى بالنيابة عن جدي ،

---

(١) اصول الكافي : ج : ٢ . ص : ١٥٨

(٢) أي لا يفعل ما يكون سبباً لسب الناس له ولوالديه .

حتى اذا رجعت الى النجف الاشرف قال لي ابي : وما الذي قمت به بالأمس ؟ قلت : زرت زيارة عرفة بالنيابة عن جدي ، فقال : قد رأيتُ الليلة البارحة جدك في المنام وقد نزل من اعلى جواده ، وهو يقول : ها إني راجع من حج بيت الله الحرام . فعلمت : ان زيارة عرفة تعادل عند الله من الاجر بقدر حج بيت الله الحرام .

* * *

وعن معمر بن خلاد قال : قلت لابى الحسن الرضا (ع) : ادعو لوالديَّ اذا كانا لا يعرفان الحق ؟ قال : ادعُ لهما ، وتصدق عنهما وان كانا حيين لا يعرفان الحق فدارهما ، فان رسول الله (ص) قال : « ان الله بعثني بالرحمة لا بالعقوق » (١)

وعن جابر عن ابى عبدالله (ع) قال : اتى رجل رسول الله (ص) فقال : يا رسول الله انني راغب في الجهاد نشيط ، قال : فقال له النبي (ص) : فجاهد في سبيل الله ، فانك ان تقتل تكن حياً عند الله ترزق . وان تمت فقد وقع اجرك على الله . وان رجعت رجعت من الذنوب كما وُلدت ، قال يا رسول الله ، ان لي والدين كبيرين يزعمان انهما يأنسان بي ويكرهان خروجي . فقال رسول الله (ص) : فقر مع والديك ، فوالذي نفسي بيده لأنسهما بك يوماً وليلة خير من جهاد سنة » (٢) .

---

(١) اصول الكافي : ج ٢ ص : ١٦٠

(٢) اصول الكافي : ج ٢ ص : ١٦٠

عن عمار بن حيان ، قال : خبرت أبا عبدالله ببر اسماعيل ابني بي فقال : لقد كنت أحبه وقد ازددت له حباً . ان رسول الله (ص) أتته اخت له من الرضاعة (١) . فلما نظر اليها سرّ بها وبسط ملحفته لها ، فأجلسها عليها ثم اقبل يحدثها ويضحك في وجهها ، ثم قامت وذهبت وجاء اخوها ، فلم يصنع به ما صنع بها . فقيل له : يا رسول الله صنعت بأخته ما لم تصنع به وهو رجل ؟ فقال : « لانها كانت أبرّ بوالديها » (٢) .

وفي اصول الكافي عن عنبسة بن مصعب عن ابي جعفر (ع) قال : ثلاث لم يجعل الله عزوجل لأحد فيهن رخصة : اداء الامانة الى البر والفاجر ، والوفاء بالعهد للبر والفاجر ، وبر الوالدين برين كانا أو فاجرين » (٣)

وقد قال ابو عبدالله (ع) : « من السنة والبر ان يكنى الرجل باسم ابيه » (٤) .

وعن ابي عبدالله (ع) قال : جاء رجل وسأل النبي (ص) : من برّ الوالدين ، فقال : إبرر امك ، إبرر امك ، إبرر امك . إبرر اباك ، إبرر اباك ، إبرر اباك . وبدأ بالام قبل الأب (٥) .

---

(١) اخته واخوه صلى الله عليه وآله من الرضاعة هما ولدا حليمة السعدية .

(٢) اصول الكافي : ج : ٢ ص : ١٦١

(٣) اصول الكافي : ج٢ ص : ١٦٢

(٤) « « « « : ١٦٢

(٥) « « ٢٢ « : ١٦٢

وقد قال رسول الله (ص) : « كن باراً واقصر على الجنة ، وان كنت عاقـاً فاقصر على النار » (١) .

وقد قال ابو جعفر (ع) قال رسول الله (ص) في كلام له : « إياكم وعقوق الوالدين . فان ريح الجنة توجد من مسيرة الف عام ، ولا يجدها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زانٍ ولا جارّ أزارَه خيلاءَ ، انما الكبرياء لله رب العالمين » . وقال ايضاً : « من اصبح مسخطـاً لأبويه اصبح له بابان مفتوحان الى النار » (٢) .

وقد قال الصادق (ع) : من نظر الى ابويه نظر ماقت وهما ظالمان له لم يقبل الله له صلاة (٣) .

وقال الصادق (ع) : اذا كان يوم القيامة كشف غطاء من اغطية الجنة ، فوجد ريحها من كانت له روح من مسيرة خمسمائة عام إلا صنفاً واحداً ، فقيل له من هم ؟ قال : العاق لوالديه » (٤) .

وقال (ع) : لو علم الله شيئـاً هو ادنى من أفّ ، لنهى عنه وهو من ادنى العقوق . ومن العقوق ان ينظر الرجل الى والديه فيحد النظر اليهما .

---

(١) عق الولدُ والده : عصاه وترك الشفقة عليه والاحسان اليه واستخف به فهو عقّ وعاقّ .

(٢) جامع السعادات ج ٢ ص ٢٥٧

(٣) » » » » ٢٥٧

(٤) » » » » ٢٥٨

وفي حديث قدسي : « بعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لو ان العاق لوالديه يعمل بأعمال الانبياء جميعاً لم اقبلها منه » .

وروى ايضاً : « ان اول ما كتب الله في اللوح المحفوظ اني انا الله لا إله الا أنا ، من رضي عنه والداه فأنا منه راضٍ ، ومن سخط عليه والداه فأنا عليه ساخط » (١) .

وقد ورد عن رسول الله (ص) انه قال : « كل المسلمين يروني يوم القيامة إلا عاق الوالدين وشارب الخمر ومن سمع اسمي ولم يصلّ عليّ » .

كما انه ثبت من الاخبار والتجارب ان دعاء الوالد على ولده لا يرد ويستجاب البتة (٢) .

وفي الاخبار ان من لا ترضى عنه امه تشتد عليه سكرات الموت وعذاب القبر ، وقد يموت كافراً .

فقد ورد ان رجلا قد حضرته الوفاة ، فلقن الشهادتين ، فأبى أن يقر بهما . فأخبر رسول الله (ص) بذلك . فقال (ص) احضروا لي امه فأحضرت بين يدي رسول الله (ص) فقال لها (ص) هل بينك وبين ولدك شيء ؟ قالت : ان ولدي كان يداريني ويحسن إلي ويتفقدني حتى اذا تزوج تركني ولفظني ولم يسأل عني . فقال رسول الله (ص) يا بلال احضر الحطب واضرم فيه النار . فقالت الأم ، لمَ يا رسول الله فقال (ص) حتى أريك كيف يحرق ولدك اذا مات وانت غير راضية عنه . فقالت ، اشهد الله ورسوله وملائكته اني قد

---

(١) جامع السعادات ج ٢ ص ٢٥٨

(٢) « « « « ٢٥٨

رضيت عنه . فقال رسول الله (ص) يا بلال ، اذهب ، ولقنه الشهادتين ، فذهب بلال ولقنه الشهادتين ، واذا به يقول : اشهد ان لا إله الا الله وان محمداً رسول الله (١) .

وقال رسول الله (ص) رضا الله مع رضا الوالدين ، وسخط الله مع سخط الوالدين (٢)

وقال «ص» ما من ولد بار ينظر الى والديه نظر رحمة الا كان له بكل نظرة حجة مبرورة ، قالوا يا رسول الله ، وان نظر كل يوم مائة مرة ؟ قال نعم ، الله اكبر وأطيب .

وقال رسول الله « ص » من بر والديه زاد الله في عمره .

وقال الصادق (ع) من أحب ان يخفف الله عنه سكرات الموت فليكن بقرابته وصولا وبوالديه باراً ، فاذا كان كذلك هون الله عليه سكرات الموت ولم يصبه في حياته فقر أبداً .

وعن الباقر « ع » قال : سئل رسول الله «ص» من اعظم حقاً على الرجل ؟ قال : والداه .

* * *

وقد قال رسول الله « ص » بر الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج

---

(١) من كتاب محمد المثل الكامل ، بتصرف

(٢) من كتاب مصابيح الهداية للسيد عبدالحسين الحائري ج ٢ ص ٦٨

والعمرة والجهاد في سبيل الله (١) .

وقال (ص) من اصبح مرضياً لأبويه اصبح له بابان مفتوحان الى الجنة (٢)

وقد ورد ان رجلا اتى النبي (ص) فقال يا رسول الله أوصني فقال « لا تشرك بالله شيئاً وان حرقت بالنار وعذبت الا وقلبك مطمئن بالايمان ووالديك فأطعمهما وبرهما حيين كانا او ميتين ، وان امراك ان تخرج من اهلك ومالك فافعل ، فان ذلك من الايمان » (٣)

* * *

انه تعالى يقول « ووصينا الانسان بوالديه ، حملته امه وهناً على وهن وفصاله فى عامين ، ان اشكر لي ولوالديك وإلي المصير » ... سورة لقمان ١٤

وفى آية اخرى « ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته امه كرهاً ووضعته كرهاً ، وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ... سورة الاحقاف ١٥

ان الولد جزء من الام حملته فى الاحشاء وغذته من الغذاء ، فلما خرج الى الدنيا حضنته وسهرت عليـــه وربطت حياتها به ، تتحمل الاثقال وتنهض بالاحمال عن رضا وفرحة ، فهل يسوغ ان يذهل الانسان عن تلك المضحية من اجله ، المنهكة في سبيله . فقد جاء في الحديث « الجنة تحت اقدام الامهات » .

---

(١) جامع السعادات ج ٢ ص ٢٥٩

(٢) نفس المصدر

(٣) ذكرنا هذا الحديث من جامع السعادات ج ٢ ص ٢٥٩ بشكل آخر لما فيه من زيادة .

ان إطاعة الوالدين واجبة وطلب رضاهم حتم ، فيجب ان لا يرتكب الولد شيئاً من المباحات والمستحبات بدون اذنهما . حتى ان الفقهاء قد أفتوا انه لا يجوز السفر لطلب العلم الا بأذن الوالدين ، ويستثنى من ذلك سفر الولد لطلب علم الفرائض من الصلاة والصوم واصول العقائد اذا لم يكن في بلده من يعلمه .

وروي أن رجلا هاجر من اليمن الى رسول الله (ص) وأراد الجهاد ، فقال له رسول الله (ص) : « ارجع الى ابويك ، فاستأذنهما ، فان اذنا فجاهد ، وإلا فبرهما ما استطعت فان ذلك خير مما كلف به بعد التوحيد » . وجاء آخر اليه للجهاد فقال : ألك والدة ؟ قال : نعم : قال : فالزمها ، فان الجنة تحت قدمها (١) . وجاء آخر وطلب البيعة على الهجرة الى الجهاد قال : ما جئتك حتى أبكيت والديّ قال (ص) : ارجع اليهما ، فأضحكهما كما ابكيتهما » .

ويجدر بمن أراد أن يبر والديه بعد موتهما :

١ ـ ان يصلي هذه الصلاة في اوقات فراغه وان امكن ففي كل يوم .

وهي ركعتان ، يقول في الركعة الاولى بعد الحمد (٢) عشر مرات « ربنا (٣) اغفر لي ولوالديّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب » .

---

(١) جامع السعادات ج ٢ ص ٢٦٢ (٢) سورة الفاتحة

(٣) فى القرآن : ربنا ، وفي المفاتيح : رب

ويقول في الركعة الثانية بعد الحمد عشر مرات : « ربّ اغفر لي ولوالديّ ولمن دخل بيتي مؤمناً والمؤمنين والمؤمنات » .

ويقول بعد التسليم (بعد الانتهاء من صلاته) عشر مرات : « رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » .

٢ ـ وان يتصدق عنهما

٣ ـ وان يقضي ما فاتهما من صلاة وصوم

٤ ـ وان يقضي ما عليهما من ديون

٥ ـ وان يحج عنهما

٦ ـ وان يزور المراقد المتبركة عنهما ويدعو لهما في تلك المشاهد المشرفة وفى صلاة الليل وليالي الجمعة .

فان فعل ذلك فقد فتح على نفسه ابواب الرحمة والسعادة في النشأتين وختمت اعماله بحسن العاقبة وذلك غاية الغايات .

* * *

ان المدنية الحاضرة لتحجرها وغلبة النزعة المادية عليها باعدت بين الآباء والأبناء ، فلا ترى كثير علقة بين الابناء وآبائهم . وقد لا يجتمع الولد بوالده أو امه الا قليلا ، لذلك عمدت بعض الجمعيات الدينية كجمعية الشبان المسيحيين الى الجمع بين الآباء والأبناء فى مجلس واحد وايجاد التآلف والمحبة بينهم .

وقد رأيت ان مؤسس جمعية الشبان المسيحيين : Y. M. C. A.

في استانبول يفتخر لقيام الجمعية المذكورة بالجمع بين ٤٠٠ ولد ووالد في مجلس واحد . لتقوى أواصر المحبة بينهم .

أن الحياة الميكانيكية المجردة عن الروح والعواطف والمحبة ترجع بالفرد الى جاهلية جهلاء . بل أشد من ذلك ، فلا يشعر الفرد إلا بمنافعه الذاتية ولا يرى وراء المادة شيئاً ، والحضارة الحقيقية هي التي تحقق رغبات الروح والجسم في وقت واحد فلا يضحى بالكمال النفسي على حساب عمارة الجسم وتطمين شهواته ونزواته ، فـ « حضارة الاسلام » هي الحضارة الحقة لجمعها بين عمارة الروح والبدن في وقت واحد .

صلة الارحام

ان الله تعالى قد أمر في آيات جمة بصلة الرحم وأكد ذلك رسول الله (ص) في مواضع عدة . ذلك لأن الاسرة اساس المجتمع ، فان سعدت الأسرة سعد المجتمع ، انه تعالى يقول :

« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى (١) » وفى آية اخرى يقول الله تعالى : « والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرؤون بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار : جنات عدن .. (٢) »

فالله امرنا في الآية المتقدمة بصلة الرحم . فصلة الرحم واجبة

---

(١) سورة النساء : ٣٦ (٢) سورة الرعد : ٢١ ـ ٢٢

وجوب الصلاة ولا يدخل قاطع الرحم الجنة .

وقال رسول الله (ص) « أوصي الشاهد من امتي والغائب ومن في اصلاب الرجال وارحام النساء الى يوم القيامة ان يصل الرحم وان كانت منه على مسيرة سنة ، فان ذلك من الدين » (١) .

وجاء في كتاب انوار الهداية (٢) قال النبي (ص) : من مشى الى ذي قرابة بنفسه في ماله ليصل رحمه اعطاه الله عزوجل أجر مائة شهيد وله بكل خطوة اربعون الف حسنة ومحى عنه اربعون الف سيئة ، ورفع له من الدرجات مثل ذلك وكأنما عبد الله مائة سنة صابراً محتسباً .

وعن الحسين بن علي (ع) انه قال : من سره ان ينسأ في اجله ويزاد في رزقه فليصل رحمه .

وقال رسول الله (ص) : بر الوالدين وصلة الرحم يهونان الحساب ثم تلا : « والذين يصلون ما أمر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب » .

وقال رسول الله (ص) : عن جبرائيل عن الله عزوجل قال : « أنا الرحمن ، شققت الرحم من اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته » .

---

(١) جامع السعادات ج ٢ ص ٢٥٤

(٢) نقلا من كتاب : مصابيح الهداية ، للسيد عبدالحسين الحائري ج ٢ ص ٦٩

وقال رسول الله (ص) ان اعجل الخير ثواباً صلة الرحم، وقال: « من سره النساء (١) في الأجل والزيادة في الرزق فليصل رحمه » .

وقال: « ان القوم ليكونون فجرة ولا يكونون برة، فيصلون ارحامهم فتنمى اعمالهم وتطول اعمارهم، فكيف اذا كانوا ابراراً برة » (٢) .

وقال (ص): الصدقة بعشرة، والقرض بثمانيـــة عشر وصلة الاخوان بعشرين، وصلة الرحم بأربعة وعشرين » .

سُئل رسول الله (ص) أيّ الناس أفضل؟ فقال: « اتقاهم لله وأوصلهم للرحم، وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر » .

وقال (ص): أفضل الفضائل ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك (٣) .

وقال (ص): « من سرّه ان يمد الله في عمره وأن يبسط في رزقه، فليصل رحمه، فان الرحم لها لسان يومَ القيامة ذلق، تقول: يا رب، صِل من وصلني، واقطع من قطعني. فالرجل ليرى بسبيل خير، اذا أتته الرحم التي قطعها فتهوى به الى أسفل قعر في النار » .

وقال الباقر (ع): « ان الرحم متعلقة يوم القيامة بالعرش تقول: اللهم صِل من وصلني، واقطع من قطعني » . وهذا تمثيل للمعقول

---

(١) النساء: طول العمر، نَسأَ الله اجله: أخره .

(٢) جامع السعادات ج ٢ ص ٢٥٤

(٣) جامع السعادات ج ٢ ص ٢٥٥

بالمحسوس واثبات لحق الرحم علي ابلغ وجه ، وتعلقها بالعرش كناية عن مطالبة حقها بمشهد الله (١)

وقال (ع) « صلة الارحام تحسن الخلق وتسمح الكف وتطيب النفس وتزيد فى الرزق ، وتنسىء الأجل » . وقال ايضاً : « صلة الارحام تزكي الاعمال وتنمي الاموال وتدفع البلوى وتيسر الحساب وتنسيء في الأجل » .

وقال الصادق (ع) صلة الرحم والبرّ ليهونان الحساب ويعصمان من الذنوب ، فصلوا ارحامكم وبروا باخوانكم ولو بحسن السلام ورد الجواب .

وقال عليه السلام « صلة الرحم تهون الحساب يوم القيامة وهي منسأة في العمر وتقي مصارع السوء » وقال ايضاً « صلة الرحم وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الاعمار » . وقال ايضاً « ما نعلم شيئاً يزيد فى العمر إلا صلة الرحم ، حتى ان الرجل يكون اجله ثلاث سنين ، فيكون وصولا للرحم ، فيزيد الله في عمره ثلاثين سنة ، فيجعلها ثلاثاً وثلاثين سنة ، ويكون أجله ثلاثاً وثلاثين سنة ، فيكون قاطعاً للرحم ، فينقصه الله تعالى ثلاثين سنة ويجعل اجله الى ثلاث سنين » (٢)

---

(١) جامع السعادات ج ٢ ص ٢٥٥

(٢) « « « « ٢٥٦

وفى اصول الكافي ج ٢ ص : ١٥٠ ، ان رجلا اتى النبي (ص) فقال يا رسول الله أهل بيتي أبو إلا توثباً علي وقطيعة لي وشتيمة . فأرفضهم ؟ قال إذن ، يرفضكم الله جميعاً قال فكيف اصنع ؟ قال تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ، فانك اذا فعلت كان لك من الله عليهم ظهير » .

وعن ابى الحسن الرضا (ع) قال ، قال ابو عبدالله عليه السلام « صل رحمك ولو بشربة من ماء ، وافضل ما توصل به الرحم كفّ الأذى عنها ، وصلة الرحم منسأة في الرجل ومحبة فى الاهل » .

قال ابو ذر رضي الله عنه ، سمعت رسول الله (ص) يقول . حافتا الصراط يوم القيامة الرحم والامانة ، فاذا مرّ الوصول المؤدي للامانة نفذ الى الجنة ، واذا مرّ الخائن للامانة القطوع للرحم لم ينفعه معهما عمل وتكفأ به الصراط في النار » (١)

وعن ابى جعفر (ع) قال ، قال رسول الله (ص) وان اعجل الخير ثواباً صلة الرحم .

عن عبدالله بن سنان ، قال : قلت لابى عبدالله (ع) ان لي ابن عم أصله فيقطعني وأصله فيقطعني ، حتى لقد هممت لقطيعته إياي ان اقطعه قال : إنك اذا وصلته وقطعك وصلكما الله جميعاً ، وان قطعته وقطعك قطعكما الله » (٢)

---

(١) أي تقلب .

(٢) اصول الكافى ج ٢ ص ١٥٦

وعن داود بن فرقد قال : قال لي ابو عبدالله ﴿ ع ﴾ اني أحب أن يعلم الله اني قـــد أذللت رقبتي في رحمي واني لأبادر اهل بيتي ، اصلهم قبل ان يستغنوا عني » .

عن عمر بن يزيد قال : سألت أبا عبدالله ﴿ع﴾ عن قول الله عزوجل : الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل فقال : قرابتك .

عن الجهم بن حميد . قال قلت لأبي عبدالله ﴿ع﴾ تكون لي القرابة على غير امري . ألهم علي حق ؟ قال نعم ، حق الرحم لا يقطعه شيء ، واذا كانوا على امرك لهم حقان : حق الرحم وحق الاسلام .

وقال ابو عبدالله : ﴿ع﴾ صلة الرحم تهون الحساب يوم القيامة وهي منسأة في العمر وتقي مصارع السوء وصدقة الليل تطفيء غضب الرب » .

* * *

ويراد بالرحم مطلق القريب المعروف بالنسب ، وان بعدت النسبة وجاز النكاح ، فهذه الرحم يحرم قطعها وتجب صلتها ولو وهب لها شيء لا يجوز الرجوع عنه .

والمراد بقطع الرحم ايذاؤها بالقول والفعل او منعها مما تحتاج اليه من مسكن وملبس ومأكل مع وجود زيادة عن قدر الحاجة او عدم دفع ظلم الظالم عنها مع القدرة ، او هجرها غيظاً وحقداً .

قطيعة الرحم

ولنورد ها هنا بعض ما جاء في قطيعة الرحم ، فان قطيعة الرحم كما

يستفاد من الاخبار والآثار تؤدي الى قصر العمر والضيق في الرزق وتفكك اواصر الأسرة والتحلل الاجتماعي وان الاسلام بحثه على صلة الرحم والتزاور والتعاطف والتراحم وعيادة المرضى وتشييع الجنائز ، دين اجتماعي بكل ما في الاجتماع من معنى سامٍ رفيع .

انه تعالى يقول « والذين ينقضون عهدالله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض ، اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار » (١) .

وقد قال رسول الله (ص) : أبغض الاعمال الى الله : الشرك بالله ثم قطيعة الرحم . ثم الامر بالمنكر والنهي عن المعروف » .

وقال (ص) : « لا تقطع رحمك وان قطعتك » .

وقال امير المؤمنين علي عليه السلام في خطبته : أعوذ بالله من الذنوب التي تعجل الفناء ، فقام اليه عبدالله بن الكوى اليشكري فقال : يا امير المؤمنين ، أوَ تكون ذنوب تعجل الفناء ؟ فقال : نعم ، ويلك : قطيعة الرحم ، ان أهل البيت ليجتمعون ويتواسون وهم فجرة ، فيرزقهم الله وان اهل البيت ليتفرقون ويقطع بعضهم بعضا فيحرمهم الله وهم اتقياء » (٢) .

وقال (ع) : « اذا قطعوا الارحام جعلت الاموال في ايدي الاشرار » .

وقال الباقر (ع) : في كتاب علي صلوات الله عليه ، ثلاث خصال :

---

(١) سورة الرعد : ٢٥

(٢) جامع السعادات ج ٢ ص ٢٥٣

لا يموت صاحبهن ابداً . حتى يرى وبالهن : البغي وقطيعة الرحم ، واليمين الكاذبة يبارز الله بها ، وان اعجل الطاعات ثواباً لصلة الرحم ، وان القوم ليكونون فجاراً ، فيتواصلون ، فتنمى اموالهم ويثرون . وان اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم لتذران الديار بلاقع من اهلها ، وتنقل الرحم ، وان نقل الرحم انقطاع النسل » (١)

وقال الصادق (ع) : اتقوا الحالقة (٢) فانها تميت الرجال ، قيل : وما الحالقة ؟ قال : قطيعة الرحم .

« جاء رجل اليه (ع) فشكى اقاربه فقال له : « اكظم وافعل » فقال : انهم يفعلون ويفعلون .. فقال : أتريد ان تكون مثلهم ، فلا ينظر الله اليكم » .

أثر صلة الارحام فى الايمان بالله

كان لي صديق شاهدته بعد مدة مديدة ، فألفيته قد ترك صلاته وتسبيحه واندمج فى العالم الجديد . وصرت انصحه واوجهه الى عالم العبادة والتقوى ، الى عوالم القدس والصفاء . فرأيته ذات يوم فى حرم الكاظمين عليهما السلام ، يصلي . وقال لي : انه يصلي في الاسبوع مرة واحدة يوم الجمعة عند زيارته مرقد الامامين (ع) .

---

(١) مجامع السعادات ج ٢ ص ٢٥٣

(٢) الحالقة : هي الخصلة التي من شأنها ان تحلق أي تهلك وتستأصل الدين كما يستأصل الموسى الشعر .

ثم زدت في النصيحة له وصرت اقرأ عليه بعض الاشعار العرفانية وشرحت له فلسفة الصلاة وكيف انها تطهر النفوس وتزيل الادران ، وكيف ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق . وان الانسان لا يصلحه الا الصلوات الخمس لطرد الشيطان ووساوسه في فترات متقاربة ، ولئلا يستفحل امره ، فتتراكم الذنوب ويسوّد القلب ، ذلك لان الذنوب تسدّ على الانسان ابواب السماء .

دعاني صديقي هذا يوماً الى طعام الظهر ، ذهبت الى بيته . فاستقبلني اخوه قلت : أين اخوك ؟ قال : ذهب الى مسجد قريب ، ليصلي صلاة الظهر ، ثم انه حضر بعد دقائق فقال : آليت على نفسي ان لا انتعم بنعمة من نعم الله إلا وقد اديت واجب الشكر قبلا .

وعلمت من حاله ، انه كان يأخذ امه العرجاء كل مساء حاملا إياها على ظهره الى السطح العالي وينزلها على ظهره الى قاعة الدار كل صباح ، ويخدمها خدمة صادقة (١) فعلمتُ ان ايمان الرجل انما هو نتيجة تلك الخدمة الصادقة نحو امه العجوز .

* * *

عرفت رجلا آخر كان قد استولت عليه افكار غربية وكان متأثراً الى

---

(١) عن ابراهيم بن شعيب قال : قلت لابي عبدالله عليه السلام : ان ابي قد كبر جداً وضعف ، فنحن نحمله اذا اراد الحاجة . قال : ان استطعت ان تلي ذلك منه ، فافعل ولقمه بيدك . « فانه جنة لك غدا » ... من اصول الكافي ج ٢ ص ١٦٢

حد بعيد بأخلاق الغرب وعاداته وحضارته المادية وحياته الاجتماعية ويقدرها أيما تقدير ، ويرى ان اصلاح الشرق انما يتم باتباع الغرب في حياته الاجتماعية ، ومع ذلك ما كان لينقطع عن صلاته وتلاوة القرآن كل صباح وعن الصوم في شهر رمضان المبارك . فكان مسلماً متطرفاً بعيداً عن كثير من حقائق الاسلام ، يجهل الآداب الاسلامية التي فيها حياة القلوب وسعادة الدارين .

ولكن الله تعالى أراد ان يمنّ عليه بتوفيق الهداية ، فأتيح له ان قام بخدمة صادقة نحو خالته العجوز ، التي كادت ان تصاب بالعمى من جراء رمد شديد ، فاهتم اهتماماً بالغاً في شفائها وصرف مبالغ لا يستهان بها وشفيت خالته ونجت من العمى ، فرأى الشاب بعد ذلك في نفسه توجهاً عجيباً نحو تفهم الدين الاسلامي من منابعه وتطبيق بعض المستحبات التي فيها جلاء القلوب وتزكية النفوس ، واذا به يقف على مواطن الضعف في الحضارة الغربية المادية ويزيفها بأدلة رصينة من نواح شتى ويتضح له انها حضارة شهوات ونزوات في جميع المجالات حتى في الكنائس ! انها جاهلية جهلاء بكل ما في الجاهلية من تسافل مرير . انها جاهلية القرن العشرين ، جاهلية أشد خطراً على البشر من الجاهلية الاولى ، من الدور الجاهلي قبل الاسلام .

وقد جاء في الحديث ما مؤداه : ان رجلا اتى رسول الله (ص) قائلا : يا رسول الله ، ما من ذنب الا وقد ارتكبته . فما هو خير عمل اقوم به لكي يغفر الله لي .

فقال رسول الله ، « هل لك أم . احدمها يغفر الله لك . قال الرجل كلا ، انها توفيت . فقال رسول الله ، هل لك خالة ؟ قال الرجل ، نعم ، فقال

رسول الله : اخدمها ، يغفر الله لك .

* * *

هذه دساتير اجتماعية جاءتنا من جانب الله تبارك وتعالى على لسان الرسول والأئمة من بعده عليهم افضل الصلاة والسلام ، لو عمل بها البشر « لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم » (١) ولنالوا سعادة النشأتين .

* * *

ولنختم هذا المقال بما جاء في رسالة لمولانا وإمامنا زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام بشأن حق الأم وحق الأب وحق الولد وحق الأخ من الأقارب والأرحام .

يقول عليه السلام : واما حق امك : ان تعلم انها حملتك حيث لا يحتمل احد احدا . وأطعمتك من ثمرة قلبها ما لا يطعم احد احدا . ووقتك بجميع جوارحها ، ولم تبال ان تجوع وتطعمك وتعطش وتسقيك وتعرى وتكسوك وتضحى وتظلك وتهجر النوم لأجلك ووقتك الحر والبرد لتكون لها . وانك لا تطيق شكرها الا بعون الله وتوفيقه .

وأما حق ابيك ، فأن تعلم انه أصلك فانه لولاه لم تكن ، فمهما رأيت من نفسك ما يعجبك فاعلم ان اباك اصل النعمة عليك فيه . فاحمد الله واشكره على على قدر ذلك ولا قوة الا بالله .

---

(١) سورة المائدة : ٦٦

وأما حق ولدك : فأن تعلم انه منك ومضاف اليك في عاجل الدنيا بخيره وشره ، وانك مسؤول عما وليته من حسن الأدب والدلالة على ربه عزوجل والمعونة على طاعته . فاعمل فى امره عملَ من يعلم انه مُثاب على الاحسان اليه ومعاقب على الاساءة اليه .

وأما حق اخيك : فأن تعلم انه يدك وعزك وقوتك ، فلا تتخذه سلماً على معصية الله ولا عدة للظلم لخلق الله ولا تدع نصرته على عدوه والنصيحة له ، فان اطاع الله ، والا فليكن الله اكرم عليك منه ، ولا قوة الا بالله .

***

فحقوق الوالدين والارحام ليست من قبيل التزين بالأدب الاجتماعي بل هي فروض وواجبات وعزائم ، اذا اداها المرء فقد ابرأ ذمته من تبعة المسؤولية بين يدي الله ، واذا لم يؤدها فلن تنفعه صلاة ولا صيام ولا غير ذلك من اعمال البر والطاعة . فالاسلام لا يحبَ ان يخرج للمجتمع إلا انساناً دقيق الحس ، مرهف الوجدان ، يفيض قلبه بالبر والمواساة والحب ، ولاشك ان الوالدين هما اول من يجب أن يمسه نفح ذلك الود بما اسلفاه من جميل ومن بعدهما الارحام .

هذه دساتير لها قيمتها الاجتماعية والتوجيهية ، فبتطبيقها تعمر البلدان ويسعد الناس فيشد بعضهم أزر بعض بالتواصل والتعاطف والتراحم والحب والولاء ، كما يؤدي تطبيقها الى الايمان الرصين وازالة الشكوك والأوهام ، يؤدي الى الايمان بالله وملائكته واليوم الآخر واقامة

الصلاة وايتاء الزكوة والخمس وبقية الحقوق ، يؤدي الى سعادة أبدية ، سعادة الآخرة ، وهي التي تدوم ملايين السنين في « جنة عرضها السماوات والارض اعدت المتقين » (١) .

---

(١) سورة آل عمران : ١٣٢

سؤال عن حكم شرعي

يسأل احد الاطباء ، لماذا : البول نجس والعرق طاهر ؟ وهما شيء واحد . ذلك ، لان البول يخرج مع العرق في الصيف ، فيقل البول ، وفي الشتاء يكثر البول لعدم خروج العرق من البدن .

بسم الله الرحمن الرحيم

الجواب :

اخي الدكتور ، زاده الله تعالى توفيقاً

بعد تقديم خالص التحية والتقدير لشخصيتكم المؤمنة ، ابدي :

ان احكام الشرع توقيفية ، يجب اتباعها على ما جاء من الشارع سواءً ظفرنا ببعض العلل الطبية أو الاجتماعية أو لم نظفر ، وان العلم الحديث فتح علينا ابوابًا لتفهم علل كثير من الاحكام الشرعية ، على ان العلل قد لا تنحصر في ما اكتشفه العلم الحديث ، ووراء هذا الكشف علل وعلل قد خفيت علينا وسوف نظفر بها مع تقدم العلم ، غاية ما هنالك ان ما جاء من احكام في الشريعة الاسلامية لا يمجها العقل ان جهل بعض الاسباب او كلها . لذلك يقال : كل

ما حكم به الشرع حكم به العقل ، أي يراه العقل مستساغاً وان جهل العلة ؛ ولا عكس . أي لا كل ما حكم به العقل البشري حكم به الشرع ، لان العقل البشري قد لا يستوعب الاحكام ويرى الامور من ناحية او ناحيتين وتبقى بقية النواحي خافية عليه . والله هو المحيط بالحكم والاسباب والنتائج .

اما الجواب على سؤالكم : من الواضح ان مقدار البول يقل في الصيف لخروج قسم من السائل بشكل عرق دون الشتاء ، فيزداد مقدار البول . ولكن هل أن كل ما في البول لدى التحليل من عناصر وجراثيم وميكروبات و (كاست) : Casts وبلورات يوجد في العرق . ذلك لان رائحة البول تختلف كثيراً عن رائحة العرق . وهذا دليل على الاختلاف والفرق في العناصر والكميات والجراثيم الى ما هنالك وليس في العرق إلا الماء والملح ومواد دهنية .

فالبول ، وهو الذي تفرزه الكليتان في المثانة ثم يخرجه الانسان بالارادة على الاغلب يشتمل على مواد واملاح كثيرة منها مادة فوسفات وحامض الصوديوم وحامض اللاكنيك ومواد عطرية وعناصر جامدة واكسانتين وكرانتين وحامض الايبوريك وحوامض دسمة ومواد ملونة وملح الطعام والفوسفات القلوية وفوسفات النورة وفوسفات المنيزى والسلفانات القلوية وحامض السليك والامونياك وغيرها ومادة الأورة .

وتكون غالباً في البول بنسبة ثلاثين الى الف واربعمائة من مجموع البول ومادة تسمى حامض الاوريك ونسبتها الى مجموع البول أقل من نسبة الواحد الى الالف الا انها سامة قوية التأثير جداً تقرح الجلد وتخدش ما اتصل به ، والمواد البولية بتراكيبها سامة مضرة . وما دامت في بدن الانسان لا تضر ، لان تأثيرها

ضعيف او معدوم فاذا مسها الهواء بعد خروجها اشتد ضررها كماء الاستنجاء ، ويزداد ضررها كلما طال زمن اتصالها في الهواء ولا تخلو من لزوجة .

وبول المرأة يختلف عن بول الرجل من حيث المواد ، كما ان بول الصبي قبل ان يأكل شيئاً من الطعام كالخبز وغيره يختلف عن بوله بعد ان اعتاد الاكل ، لذلك تختلف كيفية التطهير من البول فى ابوال من ذكرنا ، وان الطب والفسلجة ليؤيدان ذلك .

وبما ان العرق يختلف عن البول من حيث التحليل والوزن النوعي والرائحة ومروره ببعض اعضاء الجسم الانساني لا يكون ضاراً كي يصب عليه الماء بعد الخروج من الجلد ، كما فى البول .

وبالختام اتمنى لتلك النفس الطاهرة التي اخذت على عاتقها خدمة هـذا الدين في النواحي العلمية سعادة أبدية ، سعادة الدنيا ونعيم الآخرة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

اسلام عائشة بردجت هني [١]

Aisha Bridget Honey

يعرف المسلمون في بريطانيا عائشة المسلمة بنشاطها المتوقد ، وكتاباتها التي تدل على فهمها الاسلامي ووعيها حقيقة هذا الدين الحنيف ، فهي عضو في لجنة تحرير « رسالة الاخبار » التي يصدرها شهرياً اتحاد الجمعيات الطلابية الاسلامية فى المملكة المتحدة وايرلندا . . وهي عضو في الجمعية الاسلامية بمدرسة الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن . . وهي كذلك امينة سر جمعية النساء المسلمات فى بريطانيا Moslem women Association وهي تساهم في جميع وجوه النشاط الاسلامي الذي تنظمه جمعيتها او اتحاد الجمعيات الاسلامية . تعرض عائشة قصة اسلامها ووجهة تفكيرها . وهذه هي الاسئلة واجابات عائشة عليها .

س١ ـ متى اسلمت ؟ وكم كان عمرك عندها ؟

ج ـ هداني الله للاسلام منذ ثلاث سنوات ونصف ، وقد كنت عندها في الحادية والعشرين .

س٢ ـ هل لك ان تروي لنا قصة اعتناقك الاسلام ؟

---

(١) من مجلة حضارة الاسلام للسنة السادسة (٣ ٤) (جمادي الاولى والآخرة عام ١٣٨٥)

ج ـ نشأت في اسرة هي فى رأيي مثل للأسر البريطانيـة اليوم من حيث نظرتها للدين .. فوالدتي نصرانية غير انها لا تمارس أيـاً من العبادات النصرانية .. ووالدي لا يؤمن بأي دين من الاديان. وقد سجلت فى طفولتي باحدى مدارس الاحد « وهي مدارس دينيـة تشرف عليها الـكنيسة » وتلقيت علوم مدارس الكنيسة الانكليزية (١) غير ان احاديثنا في المنزل لم تكن تتعرض للدين من قريب او بعيد. ولا استطيع ان اتذكر يوماً واحداً من ايام طفولتي سمعت فيه اسم الله يذكر في منزلنا.

لم استطع في خلال سنوات دراستي فى مدرسة الكنيسة ان اقتنـع ببعض الافكار الجوهرية فى النصرانية ، وخصوصاً فكرة التثليث وفكرة الفداء .. « وهي ان الله ـ أو المسيح ـ قد افتدى الناس وكفر عنهم سيئاتهم عندما صلب » ولـكم نوقشت هاتان الفكرتان .. ولـكم دارت الاحاديث حولها .. إلا ان كل ما سمعته عنهما ، كان فى رأيي مجانباً للحقيقة التي حيرتني معرفتها . والتي طال شوقي اليها ، لقـد كانت مدرستي مدرسة نصرانية إلا انني تخرجت منها ملحدة .

كنت محبة للفلسفة ، مغرمة بها وكنت في شوق لمعرفـة الحقيقة

---

(١) أوجدت الكنيسة الانكليزية بأمر ملـكي . بعد ان برم القصر بالخلافات الدينية بين الـكاثوليك والبروتستانت وغيرهم .. وهي بمثابة حل وسط يجمع بين المتناقضات .

فقرأت وأنا في الخامسة عشرة كتاب تاوته تشنغ Taoteh Ching الذي يضم اوائل الكتابات في الفلسفة التاوية الصينية ، وقد تأثرت بنظرة الكتاب تأثيراً عميقاً . وسمعت عن البوذية ، واخذت اقرأ بنهم عن هاتين العقيدتين الفلسفيتين وعزمت على تعلم اللغة الصينية والذهاب الى الصين غير ان هذا لم يكن بالامر السهل بالنسبة لفتاة في الخامسة عشرة من عمرها ، لا مال لديها ولا مؤهلات . لذا ذهبت عندما بلغت السابعة عشرة الى كندا حيث عملت مدة سنتين وجمعت مبلغاً من المال يكفيني لمتابعة دراستي كي احصل على الشهادة الثانوية وادخل الجامعة لدراسة اللغة الصينية .

وفي كندا عرفت الفلسفة الهندية ، وقرأت الكتب الهندوسية المقدسة ولقد وجدت في كتب العقائد الفلسفية الثلاث التي عرفتها ـ التاوية والبوذية والهندوسية ـ جمالا وسموقاً وعمقاً .. غير انها جميعاً لم تكن لترضي تفكيري واحساسي .. فلقد اخطأت جميعها الوصول الى توازن بين الكون الواسع العظيم من جهة ، ومتطلبات الحياة اليومية الاجتماعية والعملية من جهة اخرى .. بل مالت جميعها الى اهمال الاخيرة او نبذها . ويروى ان صاحب التاوية ومنشئها هام على وجهه في ارجاء الارض كصوفي زاهد . كما هجر بوذا زوجته واسرته كي يبحث عن الحقيقة أما الكتب الهندوسية فهي كتب اخلاقية في جوهرها فهل ترى كل الاواصر الانسانية والحياة الاجتماعية اوهام وخيالات لا معنى لها ؟

ازعجني هذا السؤال وأقض مضجعي طويلا ، ولم استطع ان اؤمن

بأي من هذه العقائد .. وعشت في حيرة .. بماذا اؤمن ؟ ما هي غاية الحياة ؟ أهي مجرد مصادفة كما يقول البعض ؟ أن كانت كذلك فالموت افضل منها الف مرة ! وزادت حيرتي ، وزاد أرقي .

لذا كان نجاحي فى امتحانات الثانوية العامة وقبولي في جامعة لندن لدراسة اللغة الصينية انتصاراً هزيلا فارغاً لا معنى له .. صحيح انني حققت طموحي بدراسة الصينية الا ان الحقيقة التى كنت انشدها بدت أبعد مما كانت .

جاء تعرّفي بالمسلمين بعد التحاقى بالجامعة .. ولم اكن قد سمعت أو قرأت شيئاً عن الاسلام من قبل ، بل لقد كان لدي ما لدى كل الغربيين من احقاد ومفاهيم خاطئة عن الاسلام . ولقد شرح لي الطلبة المسلمون مبادىء دينهم بصبر وأناة ، واجابوا علي كل ما اعترضت عليه ، وأعطوني بعض الكتب لاقرأها .. وقد كنت في البدء أتصفح هذه الكتب تصفحاً سريعاً ارضاءً لبعض فضولي ، وكنت انظر اليها على انها مدعاة للضحك والسخرية .. الا ان الشذرات التى قرأتها جعلت شكي في سمو الاسلام يتلاشى شيئاً فشيئاً ، وبدأت اقرأ الكتب بعناية واهتمام .. فأذهلني الوضوح الرائع فى اسلوبها ، واخذت بقوة الحجة والمنطق التي تعتمد عليها في نظرتها للخلق والخالق وتأكيدها حقيقة البعث بعد الموت .

ثم اعطاني الطلبة المسلمون القرآن مترجماً للانكليزية .. ولست مستطيعة مهما حاولت ان اعبر عن مدى تأثير هذا الكتاب فى نفسي

فقبل أن انتهي من قراءة السورة الثالثة سجدت لله تعالى . وكانت هذه اول مرة في حياتي اصلي فيها لله . . ومنذ تلك اللحظة اصبحت بحمد الله مسلمة .

اعتنقت الاسلام ولما تمض ثلاثة شهور على بدء معرفتي به . وطبيعي انني لم أكن اعرف منه إلا الافكار الاساسية . . وبدأت بعدها سلسلة طويلة من الاسئلة اطرحها على اخوتي المسلمين واناقشها معهم فى جزئياتها وتفصيلاتها .

يسألني كثير من الناس عن الاسباب الرئيسية التى دعتني الى اعتناق الاسلام . وهذا سؤال يصعب علي ان اجيب عليه اجابة مقتضبة إذ أن مثل الاسلام ـ كما يقول احد المسلمين الاوربيين ـ كمثل عمل هندسي متكامل رائع كل جزء فيه يتمم الاجزاء الاخرى ويجملها . وهذه الظاهرة في الاسلام هي الشيء الذي يترك في النفوس أروع أثر عن الاســـلام . فاذا ما نظرت اليه عن بعد اخذت بعمق نظرته للاشياء . وسحرتك روعة تشريعاته بشمولها اهداف واعمال وطبيعة الدولة المسلمة . ولئن بحثت فى جزئياته فانك واجد الطريقة المثلى للحياة الاجتماعية المبنيـة على الخلق القويم . ورأيت ان كل عمل يقوم به المسلم يذكره بالله . . وعندما يذكر الله يراجـع نفسه ويحـاول البلوغ بعمله ذاك مرتبة الكمال . . وهكذا يزول ما كان بين متطلبات الحياة اليومية ومتطلبات الدين من صدع ، ويصبح الطرفان متكاملين متناسقين .

س٣ ـ ماذا كان رد الفعل عند اسرتك واصدقائك عندما عرفوا باعتناقك الاسلام ؟

ج ـ تقبل والداي اعتناقي الاسلام دون كبير عناء ، واعتقد انهم اول الامر ظنوا اسلامي مجرد « فكرة غريبة » اخرى من افكاري التى تبدو شاذة لبعض الناس ـ كتعلمي الصينية ـ وانها ستنطفىء بهجتها وتزول مع الايام .. الا انهم بعد ذلك بدأوا ينحون علي باللائمة خاصة بعد ان وجدوا أن ظنهم قد خاب وأن ايماني يزداد رسوخاً مع الايام الى حد أن تأثيره لم يقتصر على طريقة تفكيري بل امتد الى عاداتي وطريقة حياتي فغيرها وقد كرهوا ان يروني امتنع عن شرب الخمور وأكل لحم الخنزير .. كما كرهوا ان يروني ملتفعة بخماري ، وأضعه على رأسي في كل مكان وأعتقد أن اهتمامهم ينصب على آراء الناس وماذا يقولون عني ، دون ان يهتموا بالعقيدة والايمان .

أما اصـــدقائي الانكليز فأمرهم مختلف .. إذ انهم على استعداد للمناقشة ومحاولة التفهم .. فهم عاقلون متقبلون للمنطق . وعندما اناقشهم في نظرة الاسلام ومبادئه فى الحياة الاجتماعية مثلا أرى لديهم استعداداً للاعتراف بحكمة النظرة الاسلامية واصالتها . واذكر مرة دار فيها نقاش بيني وبين بعض صديقـاتي حول نظرية تعدد الزوجات وحدودها التى وضعها الاسلام .. والحلول التى تقرها الحضارة الغربية .. فاعترفن جميعاً ـ وبينهن فتاة مجازة في عـلم اللاهوت النصراني ـ بأن تعدد الزوجات المحدود بشروطه الاسلامية افضل الحلول لمشكلات الزواج .

س٤ ـ هل لاقيت أية مضايقة أو ايذاء نتيجة اسلامك ؟

ج - ان الذين لم يؤتوا درجة طيبة من العقل والفهم هم بصورة عامة متحاملين على الاسلام يكنون له في صدورهم الاحقاد والضغائن ، وهم دوماً يسخرون من المسلمين ويهزؤون بهم ، ولئن اخفوا سخريتهم فى حضور احد المسلمين فهم لاشك ساخرون منه في غيبته هازئون به غامزون منه ومن دينه . وهؤلاء لا يعبؤون بالملحدين بل يحترمونهم لتفكيرهم « الحر » كما يقولون ، لكنهم متحاملون حاقدون على الاسلام والمسلمين . ومع اني شخصياً لم ألق أية مضايقة جديه نظراً لانني طالبة في الجامعة في مدرسة الدراسات الافريقية والشرقية واختلاطي دواماً بأناس يعرفون شيئاً من الاديان والمعتقدات ، الا انني أعلم ما يقاسي غيري من المسلمين .

س٥ - ماذا قمت به من دراسات اسلامية منذ اعتنقك الاسلام ؟ وكيف تتطور مشاعرك كلما ازدادت معلوماتك عن هذا الدين الحنيف ؟

ج - انحصرت دراساتي عن الاسلام في قراءة ما وصل الى يدي من كتب اسلامية ، وفي اسئلة اوجهها الى بعض المسلمين ذوي المعرفة الجيدة به ، وفى مناقشات تدور حول بعض التعاليم والآراء الاسلامية ، بيني وبين من اعرف من المسلمين الذين ينتسبون الى مختلف الامصار الاسلامية . ولقد سعدنا في العام الماضي بوجود طالب سوداني اوتي معرفة كبيرة بالفكرة الاسلامية والفلسفة الغربية على السواء ، وقد دعا هذا الطالب الى عقد اجتماع دوري اسبوعي كان ذا فائدة كبيرة .. فقد حصر الحضور بعشرة اشخاص كي تتركز الفائدة وتتسع . وقد كانت طريقتنا في هذه الندوة ان ندرس أهم ترجمات القرآن بالانكليزية ونقارنها بالاصل العربي لنصل الى اقرب

معنى للآية (١) ثم نناقش المعنى معتمدين على مختلف التفاسير بصورة عامة وتفسير الطبري بصورة خاصة . كما نناقشها من زاوية فهمنا ولكنه يؤسفني ان اقول انه منذ رحيل هذا الاخ السوداني لم نستطع ان نجد في لندن شخصاً عنده مثل معرفته ورغبته في مواصلة هذا الجهد القيم والعمل النافع .

س٦ ـ هل تعتقدين ان الاسلام يستطيع التأثير في الحضارة الحديثة ؟ وبأية طريقة ؟

ج ـ لاشك ان الاسلام يستطيع كبح جماح الحضارة الحديثة وتوجيهها الوجهة الصحيحة . فالعالم الغربي يعيش اليوم في عماوة لا يكاد يرى فيها بصيص أمل ينير له الطريق لسعادة النفس والروح .. وأن من يعرف حقيقة المجتمعات الاوربية ليرى الفراغ الهائل الذي يختفي تحت ستار براق خداع من الرقي والازدهار ان القلق النفسي قد عم الجميع .. والناس اليوم يبحثون عن منفذ يخلصون منه من مشاكلهم ولكن بلا جدوى والطريقة الوحيدة التي تبدو امامهم هي ان يزيدوا في سرعة سيرهم نحو الهاوية .. فالتحلل الجنسي الواسع أدى الى اقامة مستعمرات العراة ، والى انتشار الشذوذ الجنسي والاسلام يستطيع بما يوفره من توازن رائع بين متطلبات الجسم ومتطلبات الروح ان يوجه الحضارة الحديثة في الوجهة التي تستطيع ان توفر للانسان سعادته وتجعله

---

(١) ان التراجم الانكليزية لمعاني القرآن ـ على كثرتها ـ تختلف اختلافات كبيرة في اعطاء المعنى المراد . ومن المؤسف انه لا توجد بعد ترجمة واحدة يمكن ان يقال عنها : انها وافية وجيدة . « المترجم »

يحس الغاية من وجوده في هذه الحياة كما تجعله يسعى حثيثاً للفوز برضاء الله الكبير المتعال كي يسعد في حياته الاخرى اللهم اجعلنا جميعاً من سعداء الدارين .

س٧ - ما هي في رأيك افضل طريقة لنشر الاسلام ؟

ج - قبل ان نفكر في نشر الاسلام علينا ان نحاول ان نكون في حياتنا واعمالنا على المستوى الذي يطلبه منا هذا الدين الحنيف . ان الله تعالى يقول : « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن » فالمفروض فينا ان نكون دعاة للاسلام ، لا نشرك فيه أية فكرة اخرى . . الا ان علينا ان نكون داعين له عالمين به بحيث نستطيع ان نجيب على سؤال من يسأل واعتراض من يعترض . ولاشك ان توفر بعض الكتب الجيدة عن الاسلام يفيد كثيراً في الدعوة اليه اذ عندما نعير كتاباً لشخص غير مسلم يقرؤه بتمعن اكثر من تمعنه في مناقشة شفهية . . غير ان من المؤسف ان الكتب الاسلامية الجيدة المتوفرة باللغة الانكليزية قليلة .

ولكني أعود فأركز على اهمية المثل الحي إذ لاشيء يترك في النفوس انطباعاً اقوى من المثل الحي فعلينا ان نكون في حياتنا امثلة للانسان المسلم كما يتطلب منا القرآن .

س٨ - ماذا يحتاج المسلمون البريطانيون خاصة ؟

ج - يعتنق بعض البريطانيين الاسلام لدى زواجهم او زواجهن بنساء مسلمات أو رجال مسلمين . . وهؤلاء يجدون عادة الحياة العائلية الاسلامية ويسعدون بها . . اما غير المتزوجين الذين يعتنقون الاسلام بالاقتناع الشخصي وحده سواء كانوا فتياناً او فتيات . . نساء او رجالا فانهم

يواجهون بعض المشكلات . فهم الى حد ما لا يشعرون بأن جو المجتمع البريطاني جوهم ولا هو مجتمعهم .. وهم في نفس الوقت لا يعيشون في مجتمع اسلامي .. وهم يجدون عنتاً في المحافظة على الصلاة والصيام في مواقيتهما .. الخ لذا فان القضاء على الشعور بالعزلة عند المسلمين الجدد أمر متوقف على العائلات الاسلامية الموجودة هنا .. ويسعدني ان اقول ان معظم الأسر الاسلامية هنا تقوم بواجبها من هذه الناحية خير قيام .

كذلك فاننا نحتاج ـ كما ذكرت آنفاً ـ الى مدرسين ذوي ثقافة اسلامية جيدة كي يساعدوا المسلمين الجدد في فهم القرآن . فكثير من المسلمين الجدد يتوقون الى فهم القرآن فهماً جيداً الا انهم لا يستطيعون ذلك .. ويؤسفني ان اقول ان المركز الثقافي الاسلامي في لندن لا يقوم بأي نشاط من هذا القبيل وانما ينحصر مثل هذا العمل بالطلاب الذين لا يستطيعون تكريس جزء كبير من وقتهم لهذا العمل نظراً لانشغالهم بدراساتهم .

س٩ ـ هل زرت بعض الاقطار الاسلامية ؟ وما هي انطباعاتك عنها ؟

ج ـ لقد سعدت بزيارة لمصر قمت بها منذ عامين بدعوة من اسرة مصرية كريمة .. وقد اعجبت بها اعجاباً كبيراً .. واخذت بكرم الشعب هناك .. غير انى اعيب على الشعب المصري المسلم ان معاملته للخدم وللحيوانات ليست من الاسلام في شيء . فلئن كان ديننا قد اوصى بحسن معاملة الرقيق والحيوان فان علينا ـ نحن المسلمين ـ ان ننفذ اوامره

ووصاياه . . وفى هذا اذكر حديثين شريفين فقد قال رسول الله (ص) « اخوانكم خولكم . . جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس » وقال : « اذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد احدكم شفرته وليرح ذبيحته » . فاذا كانت المعاملة الطيبة واراحة الحيوان مطلوبة ساعة قتله فهي مطلوبة فى حياته . واذا كان من الواجب علينا معاملة العبيد كأخوان لنا ، فأن معاملة الخدم كأخوة أمر مفروض ايضاً .

كذلك آخذ على الشباب انبهارهم ببعض المظاهر الزائفة في الحضارة الغربية فهم ينخدعون ببريقها الوهاج دون ان يعرفوا زيفها .

وأحب هنا أن اسطر اعجابى بقوة الاواصر العائلية وبالحياة الاجتماعية الكريمة التى ان قورنت بالحياة الاجتماعية في الغرب بدت في القمة فكيف بالحياة الاجتماعية الاسلامية الحقة ؟ اللهم اجعلنا مسلمين حق الاسلام .

جاهليـــة الغرب

إن شبابنا المتعلم عندما يذهب الى الغرب ويتصل بالعلم المـادي وما فيه من دقة متناهية وحسابات دقيقة ومعادلات رصينة ، ودسـاتير متنوعة وكتب انيقة ومختبرات عديدة ومعامل تطبيقية مدهشة ، يزعم بل يوقن ان الغرب قد بلغ مرتبة الـكمال في كل شيء وان لا سبيل لنجاة الشرق الا باتباع اساليب الغرب الحضارية في كل شيء .

وقد فاته أن الموضوع ذو فرعين مستقلين : (١) عمارة الاوضاع المادية ، (٢) عمارة النفس الانسانية . وان العلم المـادي لا يؤثر فى عمارة النفس وصناعتها . وهو يجتمع مع الموبقات وانواع الفحشـاء وما يؤدي الى تحطيم النفس وابعادها عن خالقها والازدراء بالمقدسات وعوالم الآخرة .

إذ لا علاقة بين حل المعادلات التفاضلية Equations différentielles والتخلق بالأخلاق الكريمة والتجنب عن الفحشاء والظلم والبغي والخشوع لله المتعال وتقديســه وتسبيحه بأنواع التسبيح . ولا رابطة بين تحضير واستحصال حامض الكبريتيك : (H_2SO_4) والـكمال النفسي كما لا علاقة بين تحطيم الذرة والحصول على طاقة ذرية تقدر بـ (MC^2) مربـع سرعة الصوت في الكتلة . وبين كف النفس عن هتك

الحرمات وتجنب المحارم ، هما من واديين مختلفين .

فالعلم المادي ينمو سواء أكان الفرد العامل فى نموه فاسقاً او مؤمناً والله تعالى يقول :

« أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون » . (سورة :)

ولأجل هذا السبب نفسه لم يعن الانبياء عليهم السلام بالعلوم المادية وحصروا همهم في تكميل النفوس وتطهيرها ، اصلاحها وتزكيتها ، ذلك لان العلم المادي ينمو نتيجة قابليات وملكات اودعها الله تعالى في العقل الانساني : من تجربة ومشاهدة واستقراء واستنتاج الى ما هنالك .

الا ان هذا العقل نفسه لا يصل ، لكونه اسيراً بين ايدي الشهوات والنزوات والميول الحيوانية الى جميع ما من شأنه تكميل النفس ، فوجب اذن تعميماً لسنة الكمال في هذا الكون المتكامل في النواحي المادية ان يتعلم هذا العقل اصول تكامل النفس عما وراء الطبيعة : عن الرسل سلام الله عليهم اجمعين .

فعندما ترك الغرب اتباع اوامر الرسل (ع) لغرورهم العلمي وقولهم : العلم يغزو الفضاء ! والعلم وحده يوصلنا الى الكمال المنشود وتطبيقهم الطريقة العلمانية Laïcisme في معزل عن الله تعالى ، انطمس في جاهلية جهلاء ورجع القهقرى في حقل الكمال النفسي وهو ، دون ريب أهم الحقول وغاية الغايات لتحقق انسانية هذا الانسان ، وأهم من اختراع قنبلة ذرية او هيدروجينية ، سواء استخدمت للهدم والبطش او في امور عمرانية .

ونحن ها هنا نورد نماذج من جاهلية الغرب ، لكي يعلم شبابنا ، ـ حفظهم الله من مضلات الفتن ـ ان الغرب اخذ يتردى يوماً بعد يوم . وإن هذه الحضارة المادية بجميع اساليبها آئلة الى انهيار ، ولا نجاة لهذا العالم الا بالتمسك بروحيات صحيحة إلهية وبما يؤدي الى خشوع النفوس تجاه خالقها وبارئها ، فما من شيء في هذا الكون الا ويسبح الله تبارك وتعالى ، حتى الطير فى السماء .

« ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والارض ، والطيرُ صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون » (١) .

* * *

(البروفو) الذين يريدون تحطيم كل شيء

برزت في هولندا فى الآونة الاخيرة حركة تمرد غريبة يقوم بها الشباب الجانح المتمرد الذي يشتبك مع البوليس بمناسبة أو بدون مناسبة بحيث تطور الأمر الى قذف قنابل الدخان على موكب الملكة مؤخراً . ويطلق هؤلاء على انفسهم اسم (البروفو) او الساخطين الذين ملوا كل الاوضاع القائمة ! ! والمقال التالي هو تحليل طريف لتصرفات هؤلاء الشبان الذين يغرقون فى الانحلال والضياع والفوضى .

كان الاسبوع الماضي حافلا بالنشاط المحموم للشباب الهولندي المتمرد وهم بدون شك من اكثر احداث العالم المنحرفين اثارة ومتعة ، وقد يتصور الناس انهم يثيرون السخرية والضحك ، غير ان هؤلاء الشبان يزعمون

---

(١) سورة النور : ٤١

انهم فنانون يتمتعون بقوة سياسية بحيث يتمكنون من تدبير مظاهرة سيرالية(١) لتحطيم السيارات في الشوارع ! ففي لاهاي ـ عاصمة هولندا ـ قاموا قبل

---

(١) السيريالية : هي حركة فنية ادبية نشطت في مطلع القرن العشرين . وقد اخذت وجهاً سياسياً في الفترة الاخيرة قوامها الثورة المطلقة ، والعصيان التام والتخريب المنظم ، وعبادة اللامعقول ، انها دعوى ضد كل شيء ، ورفض لكل الحدود والقيود باصرار وتحدٍ ، تنكر وتهدم كل قيمة وكل موروث في كل ما وصل اليه الانسان في كل الميادين . تنظر الى الانسان على انه رغبة ، لذلك تسعى الى تحرير هذه الرغبة تحريراً مطلقاً ، تقدس التناقض وعدم المعنى ، لهذا كان المذهب العقلي اعدى اعداء السيريالية .

تحاول السيريالية ان تدمر الأدب بالأدب والرسم بالرسم ، فهي تحاول ان تحقق العدم عن طريق امتلاء الكينونة الطافح ، بواسطة حذف (الأنا) حذفاً رمزياً بالتناوم والكتابة الآلية ، وحذف المواضيع حذفاً رمزياً بانتاج موضوعات تتلاشى تدريجياً ، وحذف اللغة حذفاً رمزياً بانتاج معانٍ مضللة ، ويعتبر كل اثر من آثارها بألوانه المتقلبة على سطحه عدم وليس هو الا ذبذبة للمتناقضات لا نهاية لها .

يتجسد أمل السيريالية البعيد في ادراك نقطة موهومة تكف فيها متناقضات الحياة والموت ، الواقعي والخيالي ، الماضي والمستقبل ، القابل الايصال وغير القابل الايصال ، العالي والداني .

وقد أشادت السيريالية بالقتل والانتحار ، واعتقد « كرفيل » ان هذا الحل : « صحيح ونهائي على ارجح احتمال » .. وانتحر « كرفيل » مثل الشاعرين الفرنسيين السيرياليين : (ريفو ، فاشيه) اللذين سبقاه الى الانتحار =

ايام بمهاجمة موكب الملكة (جوليانا) اثناء شق طريقه الى البرلمان لافتتاح دورته الجديدة رسمياً ، فقذفوا قنابل الدخان على الموكب وكانت النتيجة ان القت سلطات البوليس القبض على (٨١) مشاغباً منهم ! وفي يوم الاربعاء الماضي صرح احد قادتهم بأنهم سيقومون برش مسحوق قابل للانفجار في كل نافورة للزينة بامستردام ولكن يبدو ان الخطة احبطت قبل التنفيذ ولهذا لم يتدفق الزبد الابيض في الشوارع !

وفي يوم الخميس هتف (روبرت جاسبر غروتفليد) الزعيم البارز بين هؤلاء المنحرفين والذي كان هو مدبر معظم حوادث الشغب هتف بالمتمردين، قائلا : هيا وتدفقوا للتفرج على الحادث المثير فى قارب البروفو . اما الحادث المثير الذي قصده فكان جلوس (٥٠) من هؤلاء الناقمين للتفرج على افلام تلفزيونية سبق التقاطها اثناء ممارستهم الفوضى في الشوارع واماكن تجمعاتهم ، وتضمنت المشاهد هؤلاء الفتيان وهم يتصارعون فوق الوسائد فى الصالة الخافتة الاضاءة بينما كانت المخدرات تنتقل من يد الى يد !

ويقول الزعيم الفوضوي غروتفليد :

« إننا مجتمع مُدمن على العقاقير وعبيد للظروف ، وقد سببت

= وقد قال (اندريه بريتون) زعيم السيريالية : « ان ابسط عمل يقوم به السيريالي هو النزول الى الشارع بمسدس في اليد واطلاق النار على الجماهير حيثما اتفق » (١) .

(١) من مجلة حضارة الاسلام العدد العاشر السنة السادسة من مقال للاستاذ غازي التوبة بعنوان : الحضارة الغربية .

المواصلات الحديثة تفسخنا ، كما ان السجاير تسبب السرطان » ، ثم يأخذ بالقهقهة بشكل جنوني !

وفى الساعات المبكرة من صباح السبت الماضى وتحت تأثير المخدرات وضع المستر (روب ستولك) وهو احد قادة الساخطين ، اجراء خطة لهؤلاء البروفو حتى الآن : وهي الاستيلاء على ميدان (دام) الذي هو الميدان الرئيسي فى امستردام ، استناداً الى ان هذا الميدان كان قد بيع قبل عشرين عاماً الى مواطني امستردام بثمن رمزي هو (غليدر) واحد لكل سانتيمتر مربع واحد . وذلك لجمع المال اللازم لاقامة نصب تذكاري لضحايا الحرب ، وما زالت وثائق البيع موجودة لدى المواطنين الذين احتفظوا بها كأثر تذكاري . والآن ينوي البروفو الحصول على هذه الوثائق بواسطة الاستجداء والاستعارة أو حتى السرقة بحيث يتجمع لديهم منها ما يكفي للادعاء بأن ميدان دام اصبح ملكهم ومن ثم يبادرون الى منع جميع مواطنيهم الآخرين والذين يكبرونهم سناً من دخول الساحة ، ورغم غرابة الفكرة الا ان خيال (البروفو) الخصب فيه متسع للعمل على تنفيذ مثل هذا المشروع الجنوني !!

ومن الطبيعي أن كل هذا ما هو إلا سخف صادر عن احداث جانحين ، ومع ذلك فانه يجسد ثورة من لدن الشباب ، ذات مظهر سيريالي مضحك ، ثم انهم يزدادون قوة ونفوذاً !!

ففي امستردام تم انتخاب المستر (برناردي بيرز) مرشح (البروفو) لعضوية مجلس المدينة بأغلبيـــة ١٣٠٠٠ صوت . ويزعم البروفو انهم

يتمتعون بمساندة ٤٠٠٠٠ شاب على الأقل في الجامعات والمدارس ، ممن هم في السن التي تخولهم حق الانتخاب ، واذا علمنا ان عدد سكان امستردام لا يتجاوز المليون شخص فان رقم مساندي البروفو لا يستهان به ! (١)

شبان مخنثون يغرقون السويد ويزحفون الى كل الغرب

استكهولم — موضة شاذة جديدة تزحف اليوم بسرعة لتغرق المجتمعات الغربية (الراقية) . انها موضة الشبان الذين يتخنثون فيطيلون شعر رؤوسهم ويستعملون احمر الشفاه والبودرة ويزججون حواجبهم ويعمدون الى تقليد الاساليب النسائية كلها ، ويعرف هؤلاء باسم (البوب) أو الشبان اصحاب الشعر الطويل .

وتعتبر السويد ـ وعاصمتها استكهولم على الأخص ـ المركز الرئيسي لهؤلاء المخنثين !

منذ سنوات كانت هذه الظاهرة امراً شاذاً . . اما اليوم فقد اصبح التخنث فلسفة وطريقة خاصة في الحياة كما يزعم المخنثون ويجاهرون بذلك بكل فخر انهم يتركون شعورهم تتدلى ويتزينون بالمجوهرات ، ويتطيبون بالعطور النسائية ويرتدون ايضاً الالبسة النسائية الداخلية . وهم يفاخرون بتخنثهم ويقولون : إن تشبههم بالنساء يزيد من شعورهم برجوليتهم . . اما كيف ذلك . . فان المخنثين يؤكدون انها فلسفة خاصة.

---

(١) مجلة حضارة الاسلام ، شعبان : ١٣٨٦

اما علماء النفس فانهم يرفضون هذه الفلسفة ويحتارون كيف يصنفون هؤلاء الشبان المتأنثين ، ولكن قد يكون تفسير فلسفتهم وزعمهم هو ان تخنثهم جعلهم صنفاً مرغوباً من قبل النساء كما ثبت ذلك فى ليالي السويد الماجنة . بل حتى فى الحدائق والمتنزهات وفي الشوارع ايضاً . وفى كل وقت ، فهنا الحرية الاباحية !! (١)

***

جاء في مقال نشر فى مجلة Stern الصادرة في همبورغ فى في المانيا الغربية بتاريخ ١ ايلول ١٩٦٣ برقم ٣٥

« ان الاولاد الصغار بين ١٤ و ١٦ سنة الذين يتأهلون للعمل ، يقولون حينما يبحث امر الزواج امامهم : أنا اتزوج ؟! لماذا ؟! انني استطيع الحصول من أي فتاة في العمل على كل ما اريد دون أن اتزوجها » .

إن اتصال المرأة الدائم بالرجال اثناء العمل قد قل من حدة شعورها الحقيقي تجاه الرجل ، فلم يعد عندها شوق اليه ، واصبح الرجل عندها شيئاً عادياً ، وكذلك الرجل ، فانه لم يعد يتشوق المرأة لانها تحت نظره فى كل لحظة وسهلة التناول ، وكما انه لم يعد يشعر بالاحترام نحوها ، لانها اصبحت رخيصة . ان شباب اليوم لم يعودوا يتحرجون من الخوض في مواضيع او نكات جنسية عميقة بمحضر

---

(١) مجلة حضارة الاسلام : ربيع الاول ١٣٨٦

من زميلاتهم (١)

* * *

ويقول المتتبعون : ان بريطانيا تنغمس اليوم في الفجور الى حدود مذهلة ، حتى ان الدعوة الى اباحة الشذوذ الجنسي بين الرجال استطاعت ان تظفر بالاباحة من مجلسي اللوردات والنواب ، وبارك هذه الاباحة معظم الشعب الانكليزي وعلى رأسه اساتذة الجامعات والاطباء والمفكرون بل حتى رجال الكنيسة !؟.

لقد انتشر الانهيار الخلقي فى ربوع بريطانيا على نحو يفوق كل تصور . ويجعل من العاصمة البريطانية ـ بدون مبالغة ـ ماخوراً كبيراً للدعارة والموبقات ! فقد اصبح الشذوذ الجنسي هو موضة اليوم التي يباركها المسؤولون الكبار ، واصبح من الصعب التمييز بين الشبان والفتيات ، لان الشبان اصبحوا يطيلون شعورهم ويرتدون الملابس النسائية ويطلون وجوههم بالاصباغ والمساحيق ، كما ان البغاء فى لندن قد انتشر ولم يعد محصوراً فى المحترفات ببيع الفجور ولكن اصبحت تمارسه نساء وفتيات من مختلف الفئات والطبقات .

وقد جاء في تقرير اللجنة الذي رفعته الى البرلمان : ان كثيراً من الزانيات فى لندن لسن من المحترفات المتفرغات لهذه المهنة القذرة ، وانما هن من صغار الموظفات اومن طالبات الجامعات او من المعاهد ، اللواتي

---

(١) حضارة الاسلام : العدد السابع ، السنة الرابعة .

يمارسن البغاء الى جانب اعمالهن ليحصلن على دخل اضافي يمكنهن من الانفاق عن سعة على الثياب المغرية وعلى مستحضرات التجميل .

ولذلك كله . فقد نشأ الجيل الجديد فى بريطانيا وقد اهتزت جميع القيم وانهارت لديه ولم يؤمن بشيء الا بالبحث عن المتعة وعن المال الذي ييسرها له ، بأي ثمن وأي طريقة ! ولذلك فقد انتشرت جرائم الاحداث فى بريطانيا ، واصبح البغاء مهنة تمارسها الطبقة المتوسطة والطبقة العاملة على اوسع نطاق (١) .

* * *

وفى خبر : ان الدكتور رسلي باري اسقف (نوتنجهام مشبر) دعا رجال التعليم ورؤساء اتحادات الطلبـــة والمسؤولين الى حضور مؤتمر لمناقشة مشكلة ما سماه « انهيار مستوى الاخلاق » بين الاطفال والمراهقين من سن العاشرة الى سن التاسعة عشرة .

وفى خبر آخر : وافق مجلس النواب الامريكي على اعتماد ٢٢ الف دولار لتزويد سفارات امريكا فى افريقيا بالويسكي . وقال النائب الديموقراطي جون روني : ان الويسكي هو (عدة الشغل) في سفارات امريكا !

وفي تقرير انه تتصدر التكساس قائمة اكثر الولايات الامريكية من حيث الجرائم ، ففي كل ٣ دقائق و ٤ اعشار الدقيقة ترتكب فيها جريمة جنائية وفي خلال السنوات الاربع التي سبقت ١٩٦١ فاق عدد جرائم

---

(١) حضارة الاسلام ، جمادي الاولى : ١٣٨٦

القتل المرتكبة في التكساس ١٠٨٠ شخصاً أي ضعف عدد من قتلوا في نيويورك .

ومن بين مدن التكساس تبرز (دالاس) في عدد الجرائم والمجرمين . فجرائم القتل في (دالاس) يفوق عددها جرائم القتل في بريطانيا كلها .

وفي خبر ان عالماً نفسانياً بريطانياً اعلن : ان ربع عدد البالغين فى بريطانيا يعانون من الشذوذ العقلي .

***

وجاء في تقرير لوزارة الداخلية البريطانية عام ١٩٦١ ان عصابات النساء والمراهقات زادت زيادة خطيرة مما يهدد الامن العام . وقد القي القبض على ٧٤٢ الف فتاة وسيدة خلال العام الماضى بتهمة السطـــو والسرقة و١٠٠٠٠ فتاة تحت سن العشرين بتهمة الدعارة والتسكع والتحريض على الفسق .

اصدرت ادارة احدى المؤسسات الامريكية منشوراً تحرم فيه على الموظفات لبس الفساتين القصيرة ، جاء فيه : « محظور ان تكون ركبتا العاملات بالمؤسسة عاريتين وهن جالسات الى مكاتبهن » وقـد ثارت ثائرة الجمعيات النسائية هناك لهـــذا القرار وبعثت احـــداها لادارة المؤسسة تقول « ان هـذا أمر تعسفي . . . وتقول أن جو العمل سوف تنقصه متعة كبيرة اذا لم تكن الركبتان مرئيتين » .

جنيف ٨ آذار ١٩٦٤ ـ اعلنت منظمة الصحة العالمية المجتمعة الآن فى جنيف بأن اهم مشكلة صحية ، تعانيها اوروبا هي انتشار الامراض الجنسية ـ التناسلية بين الشباب الاوروبي بصورة مخيفة . ولقد وصلت نسبة الاصابـــات بمرض (السفلس) حدا قياسيا منذ الحرب العالمية

الثانية حتى اليوم . وتقول هذه المنظمة في تقريرها : بان الامراض الجنسية هذه تنتشر ايضاً فيما عدا بين الشباب ، بين التجار والعمال الاجانب والعاهرات والغانيات والمصابين بالشذوذ الجنسي .

فى إحصائية لمكافحة تهريب المخدرات في امريكا جاء ان ٠.٦٥٪ من الرجال والشباب يدمنون المخدرات وان النسبة في فرنسا ٠.٥٥٪ وان النساء والفتيات تشترك فيها وفي انكلترا تبلغ النسبة ٠.٢٥٪ من الرجال و ٠.١٥٪ من النساء المدمنات . اما في ايطاليا فلا تزيد على ٠.٧٪ فقط .

جاء فى تقرير لرجال التربية في امريكا : ان الطفل الامريكي اصبح كسولا مائعاً وغير مطيع . وقد علق الرئيس الامريكي المتوفى ـ كنيدي ـ على هذا التقرير : ان الطفل الامريكي اصبح ايضاً : رخواً وناعماً ويعمل والداه على تسمينه .

وفى نبأ انه يموت فى فرنسا كل دقيقة شخص واحد بسبب ادمانه على الخمر ويبلغ متوسط مايشربه الفرد في فرنسا كل عام ٧ غالونات من الكحول النقي . وتحاول الحكومة الفرنسية معالجة المدمنين ويبلغ ماتنفقه على علاج المدمنين ١٧٠ مليون دينار .

تعاني وزارة الداخلية في امريكا مشكلة معقدة للغاية وهي العمل على منع رجل البوليس الامريكى من التحول الى لص او مجرم بعد ان كثرت في الآونة الأخيرة حوادث سرقة وقتل ، كان ابطالها من رجال البوليس انفسهم ، وآخر هذه الحوادث هو اقدام احد الضباط الكبار في وزارة الداخلية الامريكية على سرقة بضائع ومجوهرات قيمتها ثلاثون الف دولار . وفي المحكمة العسكرية

المختصة اعترف (وليام مارلو) الضابط السارق بجريمتـــه . وقام بتمثيل الحادثة . الا انه اتهم في نهاية المحاكمة عدداً من زملائه الضباط ورجال البوليس العاديين بالاشتراك معه في هذه العملية ، كما اعترف بأنـــه قام هو وزملاؤه بحوادث مماثلة في العام الماضي ! ! . .

يقول الدكتور : الكسيس كاريل في كتابه : الانسان ذلك المجهول :

« ان المادية البربرية التي تتسم بها حضارتنا لاتقاوم السمو العقـــلي فحسب ، بل انهـــا تسحق ايضاً الشخص العـاطفي واللطيف والضعيف والوحيد واولئك الذين يحبون الجمال ويبحثون عن اشياء اخرى غـير المال (ص : ٣٧١)

ويقول في مقام آخر :

« يكاد المجتمع الحديث ان يهمل الاحساس الادبي اهمالا تاماً ، بل لقد كبتنا مظاهره فعلا ، فقد اشربنا جميعاً الرغبة في التخلص من المسؤولية . اما اولئك الذين يميزون الخير من الشر ، والمرأة التي انجبت عـــدة اطفال واوقفت نفسها على تعليمهم ، بدلا من الاهتمام الخاص بها تعتبر ضعيفة العقل ، واذا ادخر رجل بعض المال لزوجته وتعليم اولاده سرق منه هذا المبلغ بواسطة الماليين اصحاب المشروعات او اخذته الحكومة ».

ص : ١٨٥

ويقول :

« الانسان نتيجة الوراثة والبيئة وعادات الحيـــاة والتفكير التي يفرضها المجتمع العصري . وقد وصفنا كيف تؤثر هـــذه العادات في

جسمه وشعوره وعرفنا انه لا يستطيع تكييف نفسه بالنسبة للبيئة التي خلقتهـا « التكنولوجيا » . (١)

وان مثل هـذه البيئة تؤدي الى انحلاله . وان العلم والتكنولوجيا ليسا مسؤولين عن حالته الراهنة . وانما نحن المسؤولون لاننـا لم نستطع التمييز بين الممنوع والمشروع . لقد نقضنا القوانين الطبيعية فارتكبنـا بذلك الخطيئـة العظمى . الخطيئة التي يعاقب مرتكبها دائماً . ان مبادىء « الدين العلمي » والآداب الصناعية قد سقطت تحت وطأ غزو « الحقيقة البيولوجية » . . . فالحياة لاتعطي الا اجابة واحدة حيـثما تُستأذن في ارتياد الارض المحرمة . . . هي اضعاف السائل . . .ولهذا فان الحضارة آخذة بالانهيار . لان علوم الجماد قادتنا الى ارض ليست لنا ، فقبلنا هداياها جميعاً بلا تمييز ولا تبصر . ولقـد اصبح الفرد ضعيفاً ، متخصصاً ، فاجراً ، غبياً ، غير قادر على التحكم في نفسه ومؤسساته » .

---

(١) التكنولوجيا : Technologie مبحث الفنون والصنائع

من خرافـــات الغرب

كل عقيدة او عمـل لايستند الى ركن وثيق : الى نص سمـاوي صحيح او تجارب علمية صحيحة ، فهو خرافة يجب ان يلفظها الانسان ، لو كان تابعاً للمنطق الصحيح ، بعيداً عن الوساوس الشيطانية .

وان الغرب يصم الشرق بأنه منبع الخرافات والاوهام كي يلفـظ الشرقي معتقداته الدينية ويظنهـا خرافة يأباها العقل والمنطق . امـــا المستشرقون والقسيسون الذين قاموا بتأسيس مدارس تبشيرية في الشرق ليحققوا بذلك اغراضاً سياسية واقتصادية وتبشيرية . فهم ان لم يستطيعوا تنصير الشاب المسلم ، فلا اقل يجعلونه عدواً للاسلام والمسلمين !

ولقد سمعت منذ اربعين عاماً ممن كان قد رجع من دراستـه فى الجامعة الامريكية ببيروت : ان الشرق منبع الخرافات ، وبلاء الشرق دينه فلو لفظ الشرق هذا الدين فهنـــاك التقدم وهناك الازدهار ! فالصلاة خرافة والصوم خـرافة والحج خرافة .... الى ماهنالك . والمدنية القائمة في الغرب هي التي يجب ان تُتبع ، ففيها الحياة والنجاة من عقائد بالية وافكار خرافية لاتلائم مفاهيم القرن العشرين : عصر النور والثقـافةوالتقدم المطرد .

وان شبابنا بجهله معالم دينه وحقائق الاسلام وحكمه وتجرده من كل خرافة وكل مالا يسنده المنطق غير المغلوب بشهوات النفس ونزواتها، يتقبل مايملى عليه من قبل اعداء الاسلام ، بل الانسانية ، ظناً منه انه قد خرج من الظلمات الى النور ، من عالم رجعي الى آخر تقدمي ، وهو يأسف على ماكان فيه من رجعية مريرة وخرافات وسخافات !

ونحن هاهنا نورد بعض خرافات الغرب ولا نتطرق الى مافي المسيحية من خرافات اولدته اليد البشرية الاثيمة ، فسمته ديناً سماوياً ، مع العلم ان مايأتينا من جانب الله تعالى مجرد عن كل خرافة ، ومطابق للمنطق الصحيح الى ابعد الحدود ، شريطةَ ان لاتمسه يد التحريف والاهواء .

١ ـ كان (دوبربويل) البريطاني فيزياويا مشهوراً وكيميائيا معروفا، يحمل معه دائماً جمجمة انسان ظناً منه انه لايبتلى بحمله هذه الجمجمة بنزيف دموي في انفه .

٢ ـ (باسكال : Blaise Pascal) الفرنسي من اشهر الفلاسفة الرياضيين ، كان قد خاط في قسم من لباسه قطعة من جلد الغزال ، ظناً منه ان هذا العمل ينجيه من كل ريب وخيبة .

٣ ـ كان السحر رائجاً في اوربا فى القرون الوسطى الى حد بعيد . فالعجائز كن يتعاطين السحر . وكن يحتفظن في بيوتهن بسنور اسود وبومة . وقد تفاقم امر السحرة في اوربا في ذلك الحين حتى احرق منهم عدد كبير من قبل القسيسين .

٤ ـ ان القرويين فى فرنسا لحد اليوم يخافون من حيوان موهوم لايرى بالعين رأسه كرأس الذئب وبدنه كبدن الانسان . يدعى : بـ (لوكارو) وهم يضعون الطلاسم فى بيوتهم للتخلص من شرور هذا الحيوان الخيالي !

٥ ـ وفي القرون الوسطى كانوا يلقون المتهم فى حوض ماء كبير، فان طاف على سطح الماء ، ولم يغرق فهو بريء والا فهو مجرم يستحق العقاب !

٦ ـ ولا يزال في الغرب من يتفاءل اذا التقطت دجاجة بسرعة ما يلقى لها على الارض من حبوب ، وكذلك اذا صادف احدهم طيراً يطير نحو اليمين او صادف نحلة او نملة او سمع احداً يعطس قبيل الظهر . او اذا اضطرب جفن العين اليمنى .

وعلى العكس يتشاءم الغربي اذا رأى سنوراً او قرداً او ذئباً او ثعلباً أو حية ، او دجاجة لاتلتقط مايلقى لها على الارض من حبوب ، او اذا تعلق ثوبه بمسمار الكرسي ، فيصيب الغربي في كل هذه الحالات : حزن وأسى .

٧ ـ ان الغربي ليعتقد ان العدد ١٣ عدد نحس وشؤم وتعس ، ولذلك لايجلسون حول منضدة الطعام اذا كانوا ١٣ شخصاً . حتى ان الشرقي صار يقلد الغربي ، فلا يكتب على باب غرفته ١٣ وانما يكتب ١٢ + ١ . دفعاً لشرور العدد المنحوس وشؤمه !

٨ ـ والاوربيون لايمرون من تحت السلم ويتشاءمون من ذلك . كما

انهم يحملون معهم نعل الفرس كطلسم السعادة ! ويهابون السنور الاسود والبومة كذلك .

٩ ـ ولقد رأيت قبل حوالي اربعين عاماً مفتشاً للمعارف بريطانياً كان اذا نظر في اوائل الشهر الى الهلال غمض عينيه حتى يفتحهما على شيء او رجل يتفاءل من النظر اليه ، كي لايرى في ذلك الشهر الا خيرا .

ولكن نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم يخاطب علياً في هـــذا المقام قائلا :

« ياعلي اذا رأيت الهلال فكبر ثلاثاً . وقل : الحمد لله الذي خلقني وخلقك وقدرك منازل وجعلك آية للعالمين » .

فنبينا محمد (ص) : لاينطق عن الهوى ، ان هو الا وحي يوحى . والادب الاسلامي يهدف دائماً الى توحيد الله وتجليله وتقدير ماخلق كي يزداد الفـــرد ايماناً بالله فمعرفة ، وهي غاية الغايات ، فلا ترى عملا في الدين الاسلامي يمجه العقل او يأباه الا اذا كان العقل قد انسحب نتيجة الاسراف والسفه والآثام ، فيرى الحق باطلا والباطل حقاً .

وقد نهى الاسلام عن كل خرافة بقوله : « ماآتاكم الرسول فخـذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (١) .

١٠ ـ في ضواحي باريس (Paris) محل يدعى : لورد . وان امرأة من اهالي لورد ادعت ذات يوم قبل حوالي تسعين عاماً انهـــا رأت في الغار بالقرب منها : مريم عليها السلام . واعلمت الناس بذلك .

---

(١) سورة الحشر . آية : ٧

فهرع الناس افواجاً الى ذلك المحل يقدسونه ويتبركون به وهكذا في كل سنة ، في يوم معين .

وان قسما من المسيحيين يعلقون مجسمات الحيوانات في رقابهم للحفظ !

* * *

وفي لندن توجد محلات خاصة بالفقراء : قذرة مملوءة بالاوساخ والذباب وانواع الميكروبات والباعة البستهم قذرة وهم في فقر مدقع .

فانك لو ذهبت الى حارة (كوى ليفربول) لشاهدت ازقة ضيقة ، مملوءة بالاوساخ ومزدحمة بالسكان وهم باشكال غريبة . وباعة السمك والخضرات والفواكه جالسون بعضهم جنب بعض ينادون باصوات مزعجة لجلب الناس الى شراء بضائعهم وفيها النتنى ، وهناك حمالون يحملون البضائع على رؤوسهم وظهورهم وعليها الذباب !

وتجري في تلك الازقة مياه نتنة (١) ملوثة بدم الخنزير والسمك وترى هناك اطفالا مشردين متسكعين عراة ، يجولون هاهنا وهاهنا حرفتهم السرقة ونهب الجيوب .

وليس لاحد من الاجانب ان يصور هذا المنظر ويستعمل جهاز التصوير فان البوليس له بالمرصاد .

وهناك حارة اخرى في لندن تسمى (كونت كاردن) يباع فيها الخضرات والفواكه ، فاذا دخلت فيها لشاهدت عددا لايستهان به من الحمالين بثياب رثة وسخة ، كما ان هناك قرى اخرى اطراف لندن سكانها

---

(١) مؤنث نتن : نتنى ، وما تعارف عليه الناس نتنة

كسكان المغارات والحفر الجبلية .

ولقد قرأت قبل حوالي خمسة وعشرين عاماً مقالا لعراقي كان قد ذهب الى المانيا لينال درجة الدكتورا في الكيمياء . جاء فيه : انه اتفق ان قال لامرأة انها ستلد ولدا بعد سنة ، وشاء الله ان تلد هذه الامرأة ولدا فشاع الخبر واذا بنساء كثيرات يراجعن هذا العراقي ليبشرهن بمولود ، ويطلبن منه بعض الادعية والطلاسم .

فالمأمول من شبابنا ان لا ينظر الى كل مافي الغرب نظرة تجليل واكبار، فليس كل مافى الغرب كمالا وجمالا ، انهم ركزوا جهودهم نحو الحياة المادية وخواص المادة واهملوا النواحي النفسية وما يؤدي الى سعادة النفس في النشأتين . وان المادية لتجتمع مع كل خرافة ، والاسلام بعيد عن كل خرافة ، لانه آت من منبع صاف نمير . لاكدر فيه ولا انحراف . لذلك ينهي عن الظن ويأمر بالتدبر والتفكر : « أفلا يتدبّرون القرآن ام على قلوب اقفالها » (١) .

« قل هل يستوي الاعمى والبصير . افلا تتفكرون » (٢)

« الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السماوات والارض،ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار »(٣)

« قل الله يهدي للحق ، أفمن يهدي الى الحق أحق ان يُتبع أمّن

---

(١) سورة محمد (ص) : ٢٤ .

(٢) سورة الانعام : ٥٠

(٣) سورة آل عمران : ١٩١

لا يهدي الا ان يُهدى . فمالكم كيف تحكمون . وما يتبع اكثرهم الا ظنًا ، ان الظن لا يغني من الحق شيئا ، ان الله عليم بما يفعلون » (١)

« ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى » (٢) .

فلا تكامل لهذا الانسان الا بنبذ الظنون الباطلة والخرافات المضلة وجاهلية القرن العشرين الملوثة بمادية عمياء واتباع العقل المجرد عن الشهوات وتطبيق سنة سيد المرسلين واولاده المعصومين عليه افضل الصلاة والسلام .

انتهى ، والحمد لله ، الجزء السادس ، وسيليه ، ان شاء الله تعالى ، الجزء السابع .

---

(١) سورة يونس : ٣٦

(٢) سورة النجم : ٢٣

الفهرست

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧
« قل سيروا في الارض ، فانظروا كيف بدأ الخلق »	١٨
عوالم القدس	٥٦
العلوم الكونية في القرآن	٦٨
هل يجوز لنا : ان نقول : رجل عظيم	٧٥
علي عليه السلام والتقويم	٧٩
ليلة ميلاد الحسن عليه السلام	٨١
لماذا هذه الزلازل ؟	٩٢
اسلام روحية فى بروكسل	١٤١
صلة الارحام والكمال النفسي	١٦١
سؤال عن حكم شرعي	١٩٢
اسلام : بردجت هني	١٩٥
جاهلية الغرب	٢٠٦
من خرفات الغربيين	٢٢٠

- تصويب -

الصفحة	السطر	الخطأ	الصوب
٧	٣	ويات	ويلات
١٧	٥	ٱلا	ألا
١٩	٩	الاذره	الانارة
٢٦	٥	اليودانيوم	اليورانيوم
٣٠	١٠	تتداخلت	تداخلت
٤٧	١٤		
٤٨	١	ضو	ضوء
٥٣	٥	سوفطائى	سوفسطائي
٥٣	٥	دع	يخدع
٦٣	٥	حب	أحب
٧٦	١٣	قوانا	قولنا
٧٦	١٧	أسسأنا	أنشأها
٧٦	١٧	رطها	ربطها
٩١	٦	لم إنك	إنك لم
٩٤	٦	تهديبها	تهذيبها
٩٤	١٥	التزاحم	التراحم

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٩٦	٤	شيء	بشيء
٩٦	١٦	وان	فان
١١٥	١٨	كان	كانت
١١٦	٢	على	على ما
١٣٧	١	او	و
١٣٧	٢	او	و
١٤١	١١	يجاور	يجاورها
١٤٩	٢٠	لخلق	لحالق
١٦٤	٩	عليهم	عليهما
١٧٦	٩	والى	الي
١٨٣	٧	الرجل	الاجل
١٨٧	١٨	حمه	جنة
١٩١	١	قية	بقية
١٩٨	١١	اباه	أناة
٢٠٧	٤	حم،	سجده ١٨
٢٠٧	٨	مشاه ة	مشاهدة

مطبعة النعمان النجف الاشرف تلفون ٩٩٧

يطلب من
دار الكتب العلمية
في النجف الاشرف

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 073838367